الافتتاحية

التراث والمعاصرة

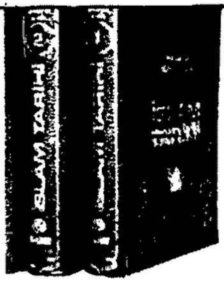
تراث الامم حجر الزاوية في ماضيها الغابر، ومهماز انبعاثها في حاضرها ، واساس تجددها على طريق مستقبلها المنشود .
وتراث امتنا المجيدة غنيّ وخالد في آن ، وعلى الرغم من المساحات الشاسعة التي تم الكشف عنها واضاءتها ، وبيان اثرها في بنية الحضارة الإنسانية ، الا ان ثمة مساحات اخرى لاتقل عن سابقتها اتساعاً ، وعمقاً بحاجة الى معاينة ودرس وتحليل . وليس المهم حجم الكم المدروس ، ولكن المهم تحديد زاوية النظر اليها ، واثبات خط سيرها واتجاهها .
ان الاكتفاء باطالة الوقوف امام التراث ، والإنبهار باعجازه ، عملية مبتورة . فليس من الحكمة عزل تراثنا عن العصر الذي نعيش فيه ، وليس من الإبداع الإقامة عند حدود الاجترار لكشوفه . ان طموح المجلة يتزايد الى قراءات جديدة ، واضاءات مستقبلية ، باعثة لا منفعلة ، فاعلة لا ماضوية ، وعندئذ نكون قد قدمنا لتراثنا وامتنا خدمة جليلة ، ولاجيالنا الراهنة والقادمة ما يعينها على تلمس الطريق بخطى ثابتة ، وثقة قائمة على المعرفة العصرية ، والانتماء الحق لروح العصر .
ان ثيمات تراثية في الآداب والعلوم والفنون والتاريخ والاجتماع وفي شتى حقول المعرفة ماتزال نيئة .. تنتظر مواسم الانضاج والقطاف . والامل اكيد بهذه الصفوة من الباحثين والكتاب الاجلاء في ان يحققوا بعون الله ما يصبو اليه الجميع من رصانة البحث ، وعمق الدراسة ، بما يلبي حاجات امتنا في هذا المضمار الخالد .

والله الموفق .

رئيس التحرير

مما أخلت به معجماتنا

د. خليل بنيان الحسون
كلية التربية / جامعة بغداد



تهيأ لنا بتيسير من الله سبحانه وتعالى ان نستدرك على معجماتنا مائة وواحداً واربعين مستدركاً ، في بحثنا الموسوم بـ « المستدرك على معجماتنا »(1) مائة واربعة منها افعال جاءت على ابنية الزيادة المعروفة ، وسبعة وثلاثون مصدراً ، مما جاء على وزن « تفعال » .

وقد تكشف لنا ان الاخلال في ابنية الزيادة يأتي في معجماتنا على صورتين ، إخلال بالبناء وبمعناه ، وذلك حينما لا يذكر البناء لاصل من الاصول بمعناه الموافق لدلالة الفعل ودلالة البناء او المخالف لهما ، وإخلال بمعناه فقط حينما يكون البناء مذكوراً ، الا انه بمعنى آخر غير المعنى المستدرك .

ومعلوم ان ابنية الزيادة لا تقف عند حدود ما حُدّد لكل منها من دلالات ، فان زيادة الهمزة ، وتضعيف العين ، وزيادة الالف ، وزيادة حرفين في بنية المطاوعة ، او ثلاثة احرف في غير ذلك على الاصل الثلاثي يتجاوز كثيراً ما حُصر لامثال هذه الزيادات من دلالات ، إذ قد يخرج البناء الواحد في أصل او في أصول مختلفة الى معان متعددة ، تبعد كثيراً عن دلالة البناء ، وعن دلالة الفعل نفسه ، وعلى الرغم من ذلك فانه بوسعنا ان نسلك هذه الدلالات في اضرب ثلاثة :

١ ـ الدلالات التي اثبتها الصرفيون لكل بناء ، وانتقوا لكل منها امثلة محددة ، كنحو قولهم في معاني « أفعَلَ » إنها تفيد التكثير ، مثل : أعال الرجل إذ اكثرت عياله وأضبّ المكان ، اي كثرت فيه الضباب ، والصيرورة مثل ألبن ، اي صار ذا لبن ، وأثمر أي صار ذا ثمر ، والتمكين والاعانة مثل احلبت زيداً : أعنته على الحلب وأحفرته النهر أعنته على حفره ، والتعريض مثل : أرهنت المتاع أعرضته للرهن ... الى غير ذلك من الدلالات .

وشبيه بهذا ما سبق من الدلالات والامثلة للابنية : فعَّل وفاعل وافتعل وانفعل وتفعَّل وتفاعل واستفعل وغيرها .

٢ ـ الدلالات التي تتمثل بالتقاء كل من هذه الابنية مع بناء آخر منها او بناءين او اكثر .

فقد يلتقي بناءان لاداء دلالة واحدة ، مثل : بدأ وابتدأ ومدحه وامتدحه ، وأنقذه واستنقذه ، وتجاوروا واجتوروا وسارع اليه وتسارع اليه ، وانفرد به ، واستفرد به وتأخر عنه واستأخر عنه ، وانتصحه واستنصحه .

وقد تلتقي ثلاثة ابنية لاداء دلالة واحدة ، مثل « تعهده وتعاهده واعتهده بمعنى تفقده ، وأوقد النار وتوقد واستوقدها ، وتعسّر عليه الامر وتعاسر واستعسر اشتد والتوى ، وانكره واستنكره وتناكره بمعنى جهله »(2)

وقد تلتقي اربعة ابنية في دلالة واحدة ، ففي التاج « وتعبّد فلاناً اتخذه عبداً فاعتبده وعبّده واستعبده عن اللحياني » .(3)

وفي التاج ايضاً ومما يستدرك عليه « خدّعه تخديعاً وخادعه واختدعه وخدعه » .(4) وقد تلتقي خمسة ابنية لاداء دلالة واحدة ، ففي القاموس « وجنبه وتجنبه واجتنبه وجانبه وتجانبه بعد عنه » .(5)

وفي اللسان « واكتحلت الارض بالخضرة وكحُلت وتكحّلت واكحلت واكحالت ، وذلك حين تُرى أول خضرة النبات » .(6)

والامثلة كثيرة لكل من هذه الصور .

٣ ـ الدلالات المتعددة للبناء الواحد ، إذ يأتي الفعل او مصدره في البناء مشتملاً على دلالات قد تصل الى العشر ، مما يوافق دلالة البناء ودلالة أصله المجرد ، او مايخالفهما ، ويناى عنهما نأياً شديداً .

من ذلك « أنجد القوم من تهامة الى نجد ذهبوا ، وأنجد

خرج اليه رواها ابن سيده عن اللحياني ، وأنجد الرجل عرق ، وأنجد أعان ـ وأنجد الشيء ارتفع عن ابن سيده ، وانجدت السماء أصحت حكاها الصاغاني ، وانجد الرجل قرب من أهله حكاها ابن سيده عن اللحياني ، وانجد فلان الدعوة أجابها كذا في المحكم » .(٧)

ومنه ايضاً « اعترض على الدابة إذا صار وقت العرض راكباً عليها ، واعترض الشيء صار عارضاً ، واعترض الشيء دون الشيء حال دونه كما في الصحاح ، واعترض الفرس رسنه لم يستقم ، نقله الجوهري ؛ واعترض زيد البعير ركبه وهو صعب كما في الصحاح واعترض لى بسهم اقبل به قبله فرماه فقتله نقله الجوهري واعترض الشهر ابتدأه من غير اوله نقله الجوهري ، واعترض فلان فلاناً وقع فيه نقله الجوهري او قابله او ساواه في الحسب ، واعترض القائد الجند عرضهم واحداً واحداً واعترض المتاع ونحوه ، واعترضه على عينه عن ثعلب » .(٨)

وجلي أن مثل هذا التعدد في اضربه الثلاثة لا مدخل له في القياس وانما المرجع فيه الى السماع ، وآية ذلك اننا راينا اللغويين حراصاً على توثيق هذه الابنية بنسبتها الى راويها او ناقلها ، كما رأينا في الامثلة السابقة ، سواء أكانت موافقة لدلالة البناء ودلالة أصله مجرداً او مخالفة لهما .

وفي كثير من الاحيان يكون الغرض من اثبات البناء المعروف وتفسيره ، مع وضوح دلالته هو التأكيد على وجوده في اللغة والتبرؤ بذكره من شبهة الاخلال .

وفضلاً عن هذا فاننا نجد معجماتنا تقتصر في سياق عرضها لابنية الزيادة ودلالتها على ذكر ما تثبت وجوده في اللغة ، وتغفل ما عداه ، ومن أجل هذا لا تأتي فيها الابنية بقدر متساوٍ لكل فعل ، فقد تورد اكثرها لافعال ، في حين تكتفي بايراد بناءين فقط او بناء واحد ، وقد تقتصر على إثبات الاصل المجرد لافعال اخرى فمما ذكر له بناءان : ثلب وخاب وسكب وعاب وصمت وشخ وجمح وطمح وفرح وشاد وهذر وجسم وجثم .

ومما ذكر له بناء واحد منها ، غصب ونعب وبجث ومكث وجمد وركد وسهر وبهظ وهتف وحسم وسنم وصام .

اما الافعال : شجب ونضب وعبث ونعث وصدح ولفح وشمخ ونكص ونمق وصقل وكظم وعتا وعصى فهي مما اقتصر عند تفسيرها على إثبات الاصل المجرد ، ولم يردف كلا منها باي بناء من ابنية الزيادة .

وقد اقتصرنا في اختيار هذه الامثلة على ما كثر استعماله . أما ما قل استعماله مما لم يذكر له إلا بناء واحد او بناءان ، او ما لم يذكر له اي بناء من ابنية الزيادة فامثلته كثيرة في معجماتنا .

ولكن كان التفاوت في حجم معجماتنا ابتداءً من العين وحتى تاج العروس يرجع الى مقدار ما يزيده بعضها على الاخر من الاصول المستدركة فانه يرجع ايضاً في شطر منه الى التفاوت في مقدار ما اثبت في كل منها من ابنية الزيادة ، وما استتبع ذلك من ادلة التوثيق لها .

وإنا لنجد ان الباحث المحقق يعمد احياناً الى التحول من معجم الى آخر حينما يعييه البحث عن دلالة بناء من ابنية الزيادة لعله يقع عليه في احدها بمعناه الموافق لسياق النص الذي بين يديه ، فاذا لم يصبه كان ذلك ايذاناً بان المعاجم قد اخلت به ، وحقيق بعد ذلك ان يعد إثبات ما اغفلته سداً لثلمة فيها ، إذا جيء به موثقاً بشاهد معتبر موثوق به . وتبرز اهمية مثل هذا الصنيع في مجال التصحيح والتقويم ، فان استعمال بناء الزيادة في صورة من الصور إنما يقبل او يرفض على هَدْي ما تثبته معجماتنا واعتماداً على ما لا تثبته ايضاً ، وجلي ان الشان في هذا كله موكول بالسماع ، وفي معجماتنا الموسعة من الدلائل الكثيرة ما يشهد بان بناء الزيادة لم يكن ليؤذن له في الغالب بالدخول في رحابها إلا بشفيع من راوٍ وثقة ، او بسند من شاهد معتبر او ثبت مقبول .

ولم يكن ما يستدرك مقتصراً على ما يتضمن دلالة مخالفة لدلالة الاصل او دلالة البناء المعروفة ، المتمثلة بما يكتسبه الفعل المجرد مما يسبغه عليه تحلّيه ببعض أحرف الزيادة ، وانما يمتد الى ما كان موافقاً لدلالة الاصل ودلالة البناء ، وفيما اثبتنا من امثلة الضرب الثاني ما يظهر ذلك وإنا لنجد ان مستدركات الزبيدي على القاموس المحيط تحفل بالكثير من هذه الامثلة .

من ذلك قوله فيما جاء على وزن فاعل من الافعال « ومما يستدرك عليه ، واثبه وثب اليه » .

وقوله « ومما يستدرك عليه . بايعهُ مبايعة وبياعاً « عارضه البيع » وقوله « ومما يستدرك عليه » ناطقه مناطقة كالمه » .

وقوله « ومما يستدرك عليه راسله بكذا وبينهما مراسلات » .(٩)

ومما جاء على وزن افتعل قوله « ومما يستدرك عليه : ائتجر عليه بكذا من الأجر ، قال محمد بن بشير الخارجي :

يا ليت اني باثوابي وراحلتي ... عبدٌ لاهلك هذا الشهر مؤتجر

وقوله « ومما يستدرك عليه اعتطّ الثوب شقّه .

وقوله « ومما يستدرك عليه الاختلاع الخلع .

وقوله « ومما يستدرك عليه الابتكال الاغتنام ، وشاهده

قول ابي المتثلم الهذلي .

كلوا هنيئاً فان انفقتم بكلا   مما تصيب بنو الرمداء فابتكلوا

وهو بمعنى أصله فبكل بمعنى غنم .

ومما جاء على وزن انفعل قوله « ومما يستدرك عليه : انهد الجبل اي انكسر » .

وقوله « ومما يستدرك عليه : الانخفاض : الانحطاط » .

وقوله « ومما يستدرك عليه : الانحطاط مطاوع حط الرحل والسرج » .

وقوله « ومما يستدرك عليه : انغط الرجل في الماء انغطاطاً اذا انغمس فيه » .

وقوله « ومما يستدرك عليه : انمزق الثوب انخرق » .

وقوله « ومما يستدرك عليه الانسلاك مطاوع سلك فيه ، اي ادخله » .[10]

ولعل في هذا القدر ما يغنينا عن إثبات المزيد من الامثلة لما تضمنته مستدركات الزبيدي لابنية أخرى ، وكل ذلك يشير الى ان اطراد دلالة البناء لمعنى من المعاني لا يجعل منه قياساً مُسقطاً لشأن السماع أو مغرياً بارتجاله ارتجالاً حملاً على النظائر فما زلنا ماضين على سُنة المتثبتين من اسلافنا : إذ نعدل عن استعمال بناء لم يتهيأ له الشاهد والدليل الى استعمال ما اثبت له منهما ، ونقوم فنرفض او نستبقي في ضوء ذلك .

وفيما يأتي مائة وثلاثة الفاظ اخلت بها جميعاً معجماتنا التي بين ايدينا ، وهي : العين للخليل بن احمد الفراهيدي والجيم لابي عمرو الشيباني والجمهرة لابن دريد ، وديوان الادب للفارابي والبارع للقالي وتهذيب اللغة للازهري والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد ومقاييس اللغة ومجمل اللغة لابن فارس والصحاح للجوهري والمحكم لابن سيده واساس البلاغة للزمخشري والعباب والتكملة والذيل والصلة للصاغاني ولسان العرب لابن منظور والمصباح المنير للفيومي والقاموس المحيط للفيروز ابادي وتاج العروس للزبيدي .

وقد اوردنا المستدركات جميعاً موثقة بشواهد معتبرة لشعراء ينحصرون في نطاق المدى الزمني الذي قيّد للاستشهاد ، إذ لم يتجاوز العصر الأموي احتياطاً، وإن كان اللغويون يتجاوزون هذا الحد الزمني بكثير .

ما جاء على وزن فاعَلَ .

هافت

اقتصر صاحب العين وابن دريد والازهري وابن سيده في المحكم والزمخشري والفيروزابادي على إثبات « تهافت » فقط واضاف اليه « انهفت » كل من ابن فارس في مقاييس اللغة والمجمل ، والجوهري وابن منظور والزبيدي ، في حين اكتفى الصاغاني في التكملة والذيل والصلة باثبات الاصل المجرد فقط .[11] وقد وقعنا على « هافت » في قول جرير :

فما انتم إذا عدلت قرومي   شقاشقها وهافتت اللعايا[12]

وهافتت اللعاب القته .

ساهد

اقتصر صاحب العين على إثبات الاصل المجرد فقط ، واكتفى كل من ابن دريد وابن فارس وابن سيدة باضافة سهّد المضعف الى اصله المجرد ، وأردف الصاغاني الاصل بـ « أسهد » فقط ، وقد أثبت البناءين « سهّد وأسهد » كل من الازهري والزمخشري وابن منظور والفيروز آبادي والزبيدي ، ولم يزيدوا عليهما بناء آخر .

وقد ورد « ساهد » في قول الكميت بن زيد الاسدي :

هل ذائد للهموم ذائدها   عن ساهد ليلة بساهدها[13] .

صالد

لم يرد في معجماتنا من ابنية صلد مزيداً غير : أصلد وصلّد ولم يذكرهما مجتمعين غير القاموس المحيط وتاج العروس ، وقد اقتصر صاحب العين على اثبات الاصل المجرد فقط ، وذكر اصلد فقط كلٌ من ابن دريد والازهري والجوهري وابن فارس في المجمل والمقاييس وابن منظور واكتفى الصاغاني بذكر صلد المضعف فقط في التكملة والذيل والصلة . وقد ورد صالد في قول درة بنت ابي لهب :

قوم لو أن الصخر صالدهم   صلبوا ولان عرامس الصخر[14]

حاقر

اثبت مصنف « العين » الاصل وأردفه بالمضعف حقّر فقط ، واكتفى ابن دريد والصاغاني باثبات الاصل ، واقتصر ابن فارس في معجميه واضاف الأزهري الى البناءين المذكورين « استحقر » وذكر كل من الجوهري والزمخشري وابن منظور والفيروز ابادي والزبيدي الابنية الثلاثة وأضافوا اليها « تحاقر » .

وقد ورد « حاقر » في قول الفرزدق :

حنيلة ذي الظنّ شيخ يرى له   كثير الذي يعطي قليلًا يحاقره[15]

خابر

لم تخلُ معجماتنا بهذا البناء ، بيد انه جاء فيها بمعنى

« زازغ » ففي العين « والمخابرة : ان تزرع على النصف او الثلث ونحوه ، والمخابرة المؤاكرة » وقد تردد هذا التفسير للمخابرة في معجماتنا الاخرى ، وورد فيها من ابنية الزيادة الاخرى ! أخبر وخبر وتخبّر واستخبر .

وقد وقعنا على « خابر » بمعنى خَبَز في قول نصر بن سيار الكناني :

والعالبين علينا بيننا وهم شر العباد إذا خابرتهم دينا[16]

ظافر

ذكرت معجماتنا من ابنية ظفر : أظفر وظفّر واضطفر واظّفر مدغماً وتظافر فقط :

وقد جاء ظافر في قول نصر بن سيار الكناني :

لعمري لقد كانت ربيعة ظافرت

عدوى بغدر حين خابت جدودها[17]

قاهر

اكتفى صاحب العين باثبات الاصل فقط ، واقتصر عليه الزمخشري في الاساس ، ولم يرد في معجماتنا الاخرى غير « اقهر » من ابنية . وقد ورد « قاهر » بمعنى نافع او دافع في قوله رؤبة :

فان بنت أجلال أسر معبر

قاهرتُ عن مجد أمرىءٍ لم يقهر[18]

مالس

ذكرت معجماتنا أملس وملّس وانملَس واملاس كاحمار وامتلس وتملّس فقط . وقد وقعنا على مالس في قول ابي كدراء العجلي :

أخالسُ أو أمالس او اماضي بمنزل الورس يخرج كل حين[19]

ولم يفسر المحقق أياً من كلمات هذا البيت ، ويفهم من السياق أنه أراد بقوله أمالسُ : أنسلُ أو افلت ، بدليل ان قولهم « تملّس من الامر يعني » تخلص منه » وقد انفرد الازهري بذكر البناء « ماض » ونشره على هذا النحو « يقال مضيت ببيعي أي أجزتهُ وقد ماضيته »[20] وفي وقوع الفعل « مالس » بين الفعلين خالس وماضى مع وضوح دلالة كل منهما ما يمدينا على الاقتراب من دلالة هذا البناء المستدرك ، فضلًا عما رأيناه من تفسيرهم للفعل تملّس ويبدو ان الشاعر أراد أنه يعمد الى المراوغة ومحاولة الافلات والتملص حيثما تيسر له ذلك ، أو يضطر الى إجراء ما ألزم نفسه به .

خايف

جاء في معجماتنا من ابنية « خوف » اخاف وخاف وخوف وتخوّف ، وورد فيها من ابنية « خيف » أخاف وخيّف واختاف وتخيف فقط . وقد جاء خايف في قول عدي بن زيد العبادي :

ضامناً للكبار خايفك الاهـ ـل كثير العدو ناشي الميال[21]

ويفهم من معنى البيت انه يدل على الهيبة والتخوف ، فهو أقرب الى معنى خاف يخاف خوفاً ، وليس فيه ما يدينه من معنى خيف ، لان الخيف إختلاف لون العينين ، وخيفت المرأة جاءت بهم مختلفين ، وتخيفت الابل في المرعى وغيره اختلفت وجوهها ، وخيف الامر بينهم وزّع وأخيف القوم وأخافوا إذا نزلوا خيف منى ، وتخيّف ماله تنقّصه .

وليس في هذا كله ما ينسجم مع معنى « خايف » في البيت ، إلا اذا كان لمادة « خيف » معنى لم تثبتهُ معجماتنا ، وهو على كل حال بناء لم يرد في اي منها ، بصرف النظر عن اصل معناه .

باطل

لم يرد في معجماتنا من ابنية الزيادة للفعل « بطل » غير : أبطل وبطّل وتبطل . وقد جاء باطل في قول ابي الاسود الدؤلي :

فباطلته حتى ارعوى وهو كاره

وقد يرعوي ذو الشغب بعد التجادل[22]

وجلي ان السياق في البيت يدل على انه بمعنى جادل ، وهو معنى لم يرد في دلالة أصله المجرد ولا في أبنيته المزيدة .

خاذم

لم يرد لـ « ختم » في العين والجمهرة ومقاييس اللغة وأساس البلاغة والتكملة والذيل والصلة أي بناء من أبنية الزيادة ، وذكر ابن فارس في مجمل اللغة والازهري في تهذيبه « إخذم » فقط ، واقتصر الجوهري على اثبات خذّم المضعف ، وأثبت ابن سيده هذا البناء في المحكم وأردفه بـ « تخذم » ، وقد اجتمعت هذه الابنية الثلاثة في اللسان والقاموس المحيط وتاج العروس ، ودلالاتها جميعاً تنطلق من دلالة الأصل الذي هو القطع . وقد اصبنا خاذم في قول زهير ابن ابي سلمى :

وإن مالًا لوعث خاذمته بالواح مفاصلها ظلماء[23]

قال شارحه ثعلب « وخاذمته : عارضته » ، وهو معنى أخلت به معجماتنا فضلًا عن إخلالها بالبناء .

قايـــم

ورد هذا البناء في قول الفرزدق :

دعوا غالباً عند الحمالة والقرى
وابن ابنه الشافي غيماً نقايمه[٢٤]

وقد جاء بهذه الصورة في طبعات الديوان المحققة وغير المحققة ولم يرد قايم في أي من معجماتنا ، إذ ليس فيها قايم يقيم ، او قد جاء فيها من أبنية قوم : قاوم وقوّم وأقام وتقوّم وتقاوم واستقام .

خـالـــى

أثبتت معجماتنا من ابنية خفي : أخفى واختفى وتخفى واستخفى فقط . وقد وقعنا على « خالى » في موضعين :

في قول طرفة بن العبد :

يظل بها عبر الفلاة كأنه رقيبٌ يخالي شخصه ويضائله[٢٥]

وفي قول ابن الدمينة :

قـالـوا هجيتـك سلـول اللـؤم مخفيـة
فـاليـوم أهجـو سلـولاً لا أخـافيهـا[٢٦]

صـالـــى

جاء في معجماتنا من ابنية الزيادة للفعل « صلى » : أصلى وصلّى وتصلّى واصطلى فقط ، وقد ورد « صالى » في قول الحطيئة :

والمشعلون ضرام الحرب إذ نفحت
يوماً اذا ازور عنها من يُصاليها[٢٧]

ما جاء على وزن افتعل

اعتلـــب

ورد في العين والجمهرة وتهذيب اللغة والمحيط في اللغة والمحكم والتكملة والذيل والصلة البناءان : علّب واستعلب ، واكتفى ابن فارس في المقاييس والمجمل باثبات علّب المضعف فقط . وانتبه الجوهري ايضاً واردفه بـ « أعلنبى » واقتصر الزمخشري على اثبات أصله المجرد فقط وجاءت الأبنية الثلاثة : علب واستعلب واعلنبى في اللسان والقاموس المحيط والتاج . وقد وقعنا على « اعتلب » في قول رؤبة :

اذا الحدود اعتلبت أعلابها
لم يلتبس بحقنا مرتابها[٢٨]

والسياق يدل على انه يريد : اشتدت آثارها .

اجتلخ

اقتصر صاحب العين وابن دريد والازهري وابن فارس في المقاييس والمجمل والصاغاني في التكملة على اثبات « جلخ » المضعف فقط ، وجاء ، جلخ وجالخ في الصحاح والمحكم والاساس واللسان والقاموس المحيط والتاج . وقد ورد اجتلخ بصيغة المصدر في قول الفرزدق :

خليطان فيها قد أباد سراتها يعرف المنالي واجتلاخ الغرائب[٢٩]

يريد اضطراب الغرائب ، وقد تهيأ لنا ان نجد لهذه المادة بناء آخر اغفلت به معجماتنا أيضاً وهو « تجالخ » سنذكره في موضعه إن شاء الله .

امتضـــح

اقتصر العين والجمهرة والتكملة والذيل والصلة على إثبات الاصل المجرد فقط ، ولم تذكر المعجمات الاخرى من ابنيته غير أمضح .

وقد ورد امتضح بمعنى انتشر ، وهو معنى مضح وأمضح في قول الاعشى :

مثل ما لاقوا من الموت ضحى هرب الهارب منهم وامتضح[٣٠]

انتـــاح

ورد في معجماتنا من ابنية الزيادة للأصل « نوح » تنوّح وتناوح واستناح ، ولم يذكر لـ « نيح » غير « نيّح » المضعف ، وقد وجدنا انتاح في قول ذي الرمة :

في ذات شام يضرب المقلدا رقشاء تنتاح اللغام المزبدا[٣١]

ويؤخذ من السياق أنه أراد : تلقى اللغام المزبدا واللغام زبد افواه الابل .

اصطفـــد

اقتصرت معجماتنا على اثبات : أصفد وصفّد ، واكتفى اكثرها باثبات أولهما ، وقد جاء اصطفد في قول الطرماح :

يبتدرن الأصراح كالتول والحرج لرب يصطفده[٣٢]

وجاء في هامش المحقق : يصطفده يأخذه ويدخره لنفسه ويبدو انه استشف هذه الدلالة من سياق معنى البيت كله ومما يؤخذ من دلالة المجرد .

اعتنـــد

لم يرد في معجماتنا من أبنية « عند » غير : أعند وعاند وتعاند واستعند . وقد ورد اعتند بصيغة اسم المفعول في قول

الطرماح :

ذا خرير يشك آباطها القصـ ـوى بطمن يفوح ممتنده[٣٣]

وفسره المحقق في هامشه بقوله « والممتند الدم الذي يسيل عانداً أي يميناً وشمالاً لا يستقيم » وهو معنى استقاه من تفسير اللغويين للعرق العاند .

اكتشــــر

اقتصر ابن دريد والازهري والجوهري وابن فارس في المجمل على اثبات الاصل فقط ، وأخل به الاخير في المقاييس وقد اكتفى صاحب العين وابن سيده والزمخشري والصاغاني في التكملة وابن منظور والفيروز ابادي والزبيدي باثبات « كاشر » مع الاصل ، وقد وقعنا على اكتشر في شاهدين كلاهما لجرير ، أولهما قوله :

الضاحكين الى الخنزير شهوته يا قبحت تلك افواهاً اذا اكتشروا

والثاني قوله :

أليس أبوك ذا زمع ثمان وأمك ذات مكتشر دميم[٣٤]

ارتــــاز

لم يرد في معجماتنا من أبنية « روز » غير « رزّ » المضعف ، وقد وجدنا ارتاز في قول رؤبة :

فارتاز غير سندري مختلق

توصف ادراقاً مضى من الدرق[٣٥]

انتخـــس

اقتصر صاحب العين وابن دريد وابن فارس في المقاييس والمجمل والجوهري وابن سيده والزمخشري على إثبات الاصل فقط . وقد أردف الاصل بالبناء : تناخس كل من الأزهري والصاغاني في التكملة والذيل والصلة وفي العباب ، وابن منظور والفيروز ابادي ، وذكر الزبيدي تناخس أيضاً واستدرك على صاحب القاموس : أنخس ، وقد ورد انتخس في قول نابغة بني شيبان بصيغة اسم المفعول :

فاشتق تحمله زجّ ويجملها وهو بشعر من القناص منتخس[٣٦]

وهو يريد مهيج مزعج .

اغتــــاض

لم يرد في معجماتنا من أبنية اصله المجرد غير : أغاض وغيّض وانغاض ، وقد جاء اغتاض في قول رؤبة :

اسقين واستفرغن من معاقلا

تغتاضها تنصيفك الحواجلا[٣٧]

اجتــــزف

ذكرت معجماتنا هذا البناء ، الا انه جاء فيها بمعنى اشترى الشيء جزافاً بلا وزن ولا كيل ، وتجزف بمعناه أيضاً ، واثبتت جازف أيضاً . وقد جاء اجتزف بصيغة اسم الفاعل وصفاً للحصان في قول لبيد بن ربيعة :

بمجتزف جوى كأن خفاره فراجش في السروسط محقب[٣٨]

اختصــــل

ذكرت معجماتنا : اخصل وخصّل وخاصل وتخاصل فقط . وقد وقعنا على اختصل في قول القتال الكلابي :

تتبع أفنان الاراك مقيلها

بذي المش يعري جانبيه اختصالها[٣٩]

وجاء في هامشه « اختصالها رعيها الخصل ، وهي أطراف القضبان الرطبة اللينة » وهو معنى دل عليه السياق .

اجتــــذم

ورد في معجماتنا من ابنية أصله : أجذم وجذّم وانجذم وتجذم فقط ، وقد جاء اجتذم بصيغة المصدر في قول ذي الرمة :

حـــذار اجتـذام البـين اقـران علـيـه

مصيب لو قرات الفـؤاد انجذامهـا[٤٠]

اكتظــــم

اقتصرت معجماتنا التي بين أيدينا على ذكر أصله المجرد فقط ، ولم تذكر من ابنية الزيادة له اي شيء ، وقد وجدنا اكتظم في قول الفرزدق :

لقد فرحت سيوف بني تميم عن البصري مكتظم الخناق[٤١]

انتسم

ذكرت معجماتنا : نسّم وناسم وتنسّم فقط وقد ورد انتسم بصيغة المصدر في قول ذي الرمة :

وغـيـهـا نـاج الشمـال لـشبـهـت

ومـر الجنوب الخيف ثم انتسـامها[٤٢]

ما جاء على وزن انفعل :

انشــــاب

أثبت عدد من معجماتنا هذا البناء الا انه جاء فيها بمعنى اختلط ، وقد ورد انشاب بصيغة اسم المفعول بمعنى المخون في قول الاعشى :

لما رأني إياس في مرجحة   رث الشوار قليل المال منشابا[٤٣]

وجاء في التاج « وعن الفراء اشاب إذا خاف ، ويأشف اذا اختلط ولم يثبت اي   من معجماتنا هذا المعنى الذي اشتمل عليه بيت الاعشى ، وليس في معاني اختلط ما ينسجم مع سياق البيت ضمن القصيدة .

انفتـــر

اقتصر صاحب العين وابن دريد وابن فارس في مجمل اللغة على إثبات أصله المجرد ، وذكر كل من الازهري وابن فارس في مقاييس اللغة والصاغاني في التكملة والذيل والصلة وابن منظور : أفتر وفتّر المضعف فقط ، واقتصر الجوهري على إثبات ثانيهما ، وذكره الزمخشري أيضاً وأردفه بـ « استفتر » ، وقد أثبت الفيروز أبادي والزبيدي الابنية الثلاثة : افتر وفتّر واستفتر ، ولم يرد في معجماتنا غيرها وقد وقعنا على انفتر بصيغة المصدر في قول الاخطل :

فلمـا أن تخـلى الله منـهـم
أغـاروا إذ رأوا منـا انفتـارا[٤٤]

انحـــدس

اكتفى اكثر معجماتنا باثبات تحدّس ، واقتصر بعضها على إثبات الاصل ، وقد ورد انحدس بصيغة اسم الفاعل بمعنى مصروع في قول نابغة بني شيبان :

يهزلدنا بذبُّ الضاريات به   فهنّ شتان مجروح ومنحبسُ[٤٥]

انفـــرس

ورد في معجماتنا من أبنية فرس : أفرس وفرّس وفارس وافترس وتفرّس فقط . وقد جاء انفرس في قول نابغة بني شيبان :

تخـدي بهم ضمر حـوص وسيرتهـا
تكاد منها رقـاب القوم تنفـرسُ[٤٦]

انقفـــل

ذكرت معجماتنا هذا البناء ، وقد جاوقيها للدلالة على مطاوعة أقفل بمعنى أغلق ، ففي اللسان « وأقفل الباب واقفل عليه فانقفل واقتفل والنون اعلى » . وقد وقعنا على انقفل بمعنى مضى وانطلق في قول النابغة الجعدي :

اذا اتى معركاً منها تعرفه   محر نبتاً علمته الموت فانقفلا[٤٧]

وذكر من ابنيته : قفّل واستقفل ايضاً .

ما جاء على وزن تفعّل

تخلّـــب

جاء في معجماتنا من ابنية الزيادة لاصله المجرد خلّب وخالب واختلب واستخلب فقط ، وقد ورد تخلب في قول الفرزدق :

ولقد دنت لي في التخلب اذ دنت   منها بلا نجل ولا مبذول[٤٨]

تـــلبب

ذكرت معجماتنا هذا البناء ، وقد جاء فيها بمعنى تحزّم ، وتلبّب الرجلان : أخذ كل منهما بلبة صاحبه و « وقيل للذي لبس السلاح وتشمر للقتال متلبب » . ومنه قول زياد الاعجم :

متلبباً تهفو الكتائب حوله   ملح المتون النضيح الراشح[٤٩]

وقد ورد تلبب بمعنى تكلّف اللب اي العقل في قول عبيد بن الابرص :

لا يعظ الناس من لم يعظ الـ   ـدهر ولا ينفع التلبب[٥٠]

ولم يرد بهذا المعنى في اي من معجماتنا المعروفة .

تلهّـــج

ورد في معجماتنا من أبنية « لهج » ألهج ولاهج ولهّج والهاج ولهوج وتلهوج فقط . وقد جاء تلهج في قول عمر بن ابي ربيعة :

فوضعت كفي فوق مقطع خصرها   فتنفست نفساً فلم تتلهج[٥١]

تمصّـــح

لم يرد في معجماتنا من أبنية الزيادة لاصله المجرد غير : أمصح ومصح وامتصح ، وقد وجدنا تمصح في قول العرجي :

واستحوذت ريح الشمال على   أثوابه وتمصّح البشر[٥٢]

وهو هنا بمعنى ذهب لونه او تغير .

تشـــرّس

ذكرت معجماتنا : أشرس وشارس وتشارس فقط . وقد ورد تشرّس في قول العجاج :

وشرسا صلباً لمن تشرسا
اذا الولوع بالولوع ليسا[٥٣]

يقول شارحه الاصمعي « الشرس الخشونة ، يقال مكان تشرس إذا كان فيه خشونة »

تقنّس

لم يرد في معجماتنا غير : أقنس من أبنية الزيادة تقنس ،

وقد وقعنا على تقنس في قول عبيد بن الابرص :

سلقاً لا رعن ما يخف ضبابه   متقنس بادي الحديد كهام[٥٤]

ويؤخذ من السياق أنه اراد لابس القونس وهو أعلى بيضة الحديد .

تدلّع

ورد في معجماتنا من ابنية دلع : أدلع ودلّع واندلع فقط . وقد جاء تدلع في قول جرير :

عرفت وجوه مجاشع وكأنها   عقل تدلع دون مدري الشامر[٥٥]

ويؤخذ من معنى دلع وتدلع واندلع انه يريد هنا أخرج وانسلّ .

تخـــذف

اقتصرت معجماتنا عدا الاساس والتاج على اثبات أصله المجرد فقط ، وقد انفرد الزمخشري بذكر « تخاذف » واستدركه الزبيدي على صاحب القاموس . وقد وجدنا تخذف بصيغة اسم المفعول في قول جرير[٥٦]

تروغ وقد اخزوك في كل موطن   كما راغ قرد الحرة المتخذف

ويؤخذ من معنى اصله انه يريد المرمي .

تشهّــق

اقتصرت معجماتنا على إثبات اصله المجرد فقط ولم تذكر معه أي بناء . وقد ورد تشهّق في قول رؤبة :

من غلوة بالريق حتى يشرقا
افلجُ نشاج إذا تشهّقا[٥٧]

تعقّــى

ذكرت معجماتنا من أبنية الزيادة للفعل « عقى » أعقى وعقّى وعاقى واعتقى فقط . وقد جاء في قول رؤبة :

لم يثنِ كفيه لجام البخل
ولا تعقّاه يمين المولى[٥٨]

ما جاء على وزن تفاعل

تظامـــا

اقتصر صاحب العين وابن دريد وابن فارس في المقاييس والمجمل على اثبات الاصل فقط ، وأضيف اليه « أظمأ » في تهذيب اللغة والصحاح ، وأردف البناء الاخير بـ « ظمّأ » المضعف في التكملة واللسان والقاموس المحيط وأضاف اليهما الزمخشري « تظمأ » وتبعه الزبيدي في ذلك . وقد وقعنا على تظامأ في قول الفرزدق :

اذا وردوا الماء الـرواء تظـامـات
أوائلـهم او يحفـروا ثـم يشربـوا[٥٩]

وجاء البيت في الديوان مروياً رواية أخرى ، على هذا النحو :

اذا وردوا المـاء الـرواء تظـامـات
أوائلـه حتـى يصـاح عيـالـه[٦٠]

تناســـج

اقتصرت معجماتنا على إثبات انتسج فقط وقد جاء تناسج في رجز لذي الرمة ، إذ يقول :

والعفر من صريمة الاوحال
غيّرها تناسج الاحوال[٦١]

تجالـــح

تكشّف لنا عند عرضنا للمستدرك « اجتلح » المذكور سابقاً انه لم يرد في معجماتنا من ابنية الزيادة لاصله المجرد غير أجلح وجلّح وجالح . وقد وقعنا على تجالح في قول زياد الاعجم :

وإنا يصـول بك ابن عمك لم يصل
بمـواكـل وكـل غـداة تجـالـح[٦٢]

وفسره ابو علي القالي « والتجالح : التكاشف » .

تطايـــح

أثبتت معجماتنا : أطاح وطيّح من ابنية « طيح » وأطاح وطوّح وتطوّح وتطاوح من أبنية « طوح » وقد ورد تطايح في قول الراعي النميري :

أقربها جاشى بأول آية   وماضي حسام غمده متطايح[٦٣]

تحاســـر

ذكرت معجماتنا من أبنية الزيادة للأصل حسر : أحسر وحسّر وانحسر وتحسّر واستحسر فقط . وقد جاء تحاسر في قول الفرزدق :

فما اعطى الماعون حتى تحاسرت   عليهمْ جموعٌ من حنيفة لجّبًا[٦٤]

تفاكـــر

اثبتت معجماتنا من أبنية (فكر) : أفكر وفكّر وتفكّر ، وذكر الزبيدي « افتكر » ونسبه الى العامة . وقد اصبنا تفاكر بصيغة المصدر في قول الحطيئة :

حتى جئتم أنا رأينا شخوصكم   ضلالاً فما من بيننا من تفاكر[٦٥]

تحـــاوس

اكتفى اكثر معجماتنا باثبات بناء واحد من أبنية الزيادة لـ « حوس » وهو تفعل منه ، وأردفه الفيروز ابادي بـ « استحوس » وأضاف الزبيدي اليهما « حاوس » . وقد جاء تحاوس في قول العجاج بصيغة المصدر :

لو تل ركن الجبل القدامس
نحاه عند حوسه التحاوس[٦٦]

قال شارحه الاصمعي : « عند حوسة التحاوس : عند ترك الفرار في الحرب » .

تناعـــص

جاء في العين « أما نعص فليست بعربية ، إلا ما جاء من اسم ناعصة المشبب بخنساء » .[٦٧]

وقال الأزهري معقباً على عبارة العين « قلت ولم يصح في من باب نعص شيء أعتمده من جهة من يرجع الى علمه وروايته عن العرب » .[٦٨]

واقتصرت معجماتنا عدا التكملة والتاج على إثبات انتعص فقط . وذكر الصاغاني هذا البناء وأورد معه « أنعص » اذ قال « وما أنعصه بشيء أي ما اعطاه ، والانتعاص التمايل » .[٦٩] ونقل الزبيدي عبارة الصاغاني هذه مستدركاً ما فيها على صاحب القاموس :

وقد وقفنا على « تناعص » في قول عبيد بن الابرص :

إنا قبضت عليه الكف حيناً تناعص تحتها اي انتعاص[٧٠]

تحافـــظ

ورد في معجماتنا : أحفظ وحافظ واحتفظ وتحفظ واستحفظ واحفاظ . وقد أثبت « العين » الاخيرة ، وانكرها الأزهري ، إذ قال « وقال الليث احفاظت الجيفة اذا انتفخت ، قلت وهذا تصحيف مُنكر والصواب إجفاظت بالجيم »[٧١] . وقد جاء « تحافظ » بصيغة المصدر في قول عمر بن ابي ربيعة :

في يوم هيجا فاصطليت بحرها او في غداة تحافظ وخصوم[٧٢]

تواعـــظ

لم تثبت معجماتنا غير « اتعظ » من أبنية وعظ واكتفى قسم منها باثبات الاصل المجرد فقط . وقد وقفنا على تواعظ في قول الخرنق بنت بدر بن هفان :

إن يشربوا يهبوا وإن يذروا يتواعظوا عن منطق الهجر[٧٣]

تسامـــق

اقتصرت معجماتنا على إثبات الاصل « سمق » ولم تذكر له اي بناء من ابنية الزيادة . وقد ورد تسامق في قول الأعشى :

كنزى منور أقحوا ن قد تسامق في فزاره[٧٤]

تبـــادل

اكتفى اكثر معجماتنا باثبات : ابتذل وتبذل من ابنية « بذل » ، واضاف اليهما استبذل كل من الازهري وابن منظور والزبيدي . وقد وجدنا تباذل في قول زهير بن ابى سلمى :

لمشنا نوى أي ثلاث وانما الـ حياة قليل والصفاء التباذل[٧٥]

يقول شارحه ثعلب « يقول من اصفى لك وده ابتذل لك نفسه .

تـــداعل

لم يرد في معجماتنا من أبنية الزيادة لفعل دأل غير داعل ، واكتفى اكثرها باثبات الاصل المجرد . وقد جاء تداعل في قول قيس بن الحطيم :

حتى هوى متدائلًا أوصاله للحُد بين جنادل وقفاف[٧٦]

قال المحقق في هامشه « متدائلًا ، الدال مشبه فيها ضعف وعجلة » .

وتفسير المحقق يشي بانه لم يجد البناء فيما راجعه من المعجمات .

تـــرازم

في معجماتنا من أبنية رزم : أرزم ورازم وزم وارتزم فقط . وقد جاء ترازم في قول أبي ذؤيب الهذلي :

لنا استجلت بعد الخبور ترازمت كهزم الظؤار جرعتها حوارها[٧٧]

يريد سمعت لها رزمة كرزمة الابل على أولادها وهو حنينها .

تلاجـــم

ورد في معجماتنا من أبنية « لجم » : يلجم ولجّم وتلّجم واستلجم فقط . وقد وقفنا على تلاجم في قول الفرزدق :

كأن رحال الميس صمت حبالها قناطر طي الجندل المتلاجم[٧٨]

فسره محقق الديوان « المتلاجم الموسوم باللجام » .

تباطـــن

ورد في معجماتنا « تباطن » الا انه جاء فيها بمعنى تباعد . ففي الاساس « وتباطن المكان تباعد » وقد وجدناه لغير هذا المعنى في قول تابط شراً :

تقول تركت صاحباً لك ضائعاً وجئت الينا فارقاً متباطنا[٧٩]

ويؤخذ من السياق أنه يريد : مبزأبطنه ، وفارقاً : مدهناً

وذكر من ابنية الزيادة لـ (بطن) ابطن وبطن وباطن وانبطن وتبطن واستبطن .

تهالى

اقتصر أكثر معجماتنا على إثبات الاصل المجرد « هفا » . وانفرد كل من الصاغاني والفيروز أبادي والزبيدي باثبات « هالى » . وقد جاء تهالى في قول بشر بن خازم :

لهام ما يرام إذا تهالى ... ولا يخفى رقيبهم الضراء[٨٠]

ما جاء على وزن استفعل

استرغب

ورد هذا البناء في قول عبدة بن الطبيب :

يعلو بهن ويثني وهو مقتدر
في كفتهن إذا استرغبن تعجيل[٨١]

والشاعر يصف خيلاً ، أراد بقوله : استرغبن اتسعن في العدو . وهو من الرغيب بمعنى الواسع ، وقد ذكر ابن فارس « وفرس رغيب الشحوة على الاخذ بقوائمه من الارض اي واسع الخطوة »[٨٢]

ولم يرد استرغب في اي من معجماتنا ، وجاء منها من ابنية رغب : أرغب ورغّب وارتغب وتراغب فقط .

استسلب

ذكرت معجماتنا ، أسلب وسلّب واستلب وانسلب وتسلّب فقط . وقد جاء استسلب في قول زيد الخيل الطائي :

لقيناهم تستنفذ الخيل كالقنا
ويستسلبون السمهري المقصدا[٨٣]

استفلج

ورد هذا البناء في معجماتنا ، فقد ذكره الزمخشري في الاساس ، وفسره بقوله « واستفلج فلان بامره بالجيم والحاء إذا ملكه ، ومنه قول الكابي في الطلاق : استفلجي بأمرك »[٨٤] واستدركه الزبيدي بهذا المعنى على صاحب القاموس نقلاً عن الاساس . وقد جاء استفلج بمعنى التصق بالارض في قول عبد مناف بن ربع الهذلي :

ومستفلج يبغي الملاحى نفسه
يعوذ بجني مرخه وجلائل[٨٥]

وهو معنى أخلت به معجماتنا ، يقول شارحه « والمستفلج اللاصق بالارض الذي لا يستطيع البراح من الهزال وذهاب المال والضعف » .

استولج

جاء في معجماتنا من أبنية الزيادة للفعل ولج أولج وولّج واتّلج وتولّج فقط . وقد ورد استولج في قول جرير :

سراقية تستولج القار بالعصا ... وفي اسكتيها لقوة ذات شارف[٨٦]

استخمد

اقتصر صاحب العين وابن دريد وابن فارس والجوهري وابن سيده والزمخشري على إثبات أصله المجرد فقط . ولم تزد عليه المعجمات الاخرى أي بناء غير : أخمد . وقد جاء استخمد في قول الفرزدق بصيغة المصدر الميمي :

أنا ابن ضبة فرع غير مؤتشب
يعلو شهابي لدى مستخمد اللهب[٨٧]

استقرد

اكتفى معظم معجماتنا باثبات البناءين : أقرد وقرّد وانفرد الزبيدي باضافة تقرّد اليهما ، إذ استدركه على صاحب القاموس .

وقد وقفنا على استقرد بصيغة اسم الفاعل في قول الفرزدق :

يسوق مناقع ابوالها ... إذا أقربت غير مستقرد[٨٨]

والاقراد السكون والمستقرد طالبة .

استضمر

أثبتت معجماتنا من ابنية ضمر مزيداً : اضمر وضمّر وانضمر وتضمّر واضطمر فقط . وقد جاء استضمر في قول الفرزدق :

الم تر ما قالت نوار ودونها ... من الهم لي مستضمر أنا كاتمه[٨٩]

استقمر

جاء في معجماتنا : أقمر وقمّر وقامر وتقمّر وتقامر فقط . وقد ورد استقمر في قول عمر بن ابي ربيعة :

قيل انزلوا من ليلكم ... فعرسوا واستقمروا[٩٠]

استحباز

ذكرت معجماتنا من ابنية الزيادة لـ « حوز » : حوّز

وحأزز وتحوّز وانحاز ، أما « حيز » فلم يورد له ما اثبته من المعجمات حيز : حيز وانحاز . وقد وقعنا على إستحاز في قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

واستحاز على القناطر من حو ... ران عين نواعم ابكار(٩١)

استنفز

اقتصر صاحب العين والازهري على اثبات نفز المضعف في حين اكتفى ابن دريد باثبات الاصل المجرد له ، واقتصر ابن فارس في المقاييس على إثبات انفز مع الاصل ، الا ان جمع البناءين : انفز ونفز في المجمل ، كذلك فعل كل من الجوهري وابن منظور والفيروز آبادي والزبيدي ، وذكر الزمخشري تنافز مع نفز المضعف وأخل بـ« أمفز » واكتفى الصاغاني باثبات الاول . وقد جاء استنفز في قول الفرزدق :

ومستنفزات للقلوب كأنها ... مها حول منتوجاته يتصرف(٩٢)

استوجس

لم تثبت معجماتنا من ابنية الزيادة للفعل وجس غير أوجس وتوجّس . وقد ورد استوجس في قول ذي الرمة :

إذا استوجست آذانها استأنست لها ... أناسي ملحود لها في الحواجب(٩٣)

استلاص

جاء في معجماتنا من ابنية الزيادة لمجرده : ألاص ولوّص ولاوص وتلوّص فقط . وقد ورد استلاص في قول ابن محجن الثقفي :

فكلنا يستليص صاحبه ... عن نفسه والنفوس في كرب(٩٤)

استنتق

اقتصر صاحب العين وابن سيده في المحكم على إثبات : انتق فقط ، في حين اكتفى كل من ابن دريد وابن فارس في المقاييس والمجمل ، والجوهري والزمخشري باثبات أصله المجرد ، واكتفى الصاغاني والفيروز ابادي باثبات انتق فقط ، وقد جمع البناءين كل من الأزهري وابن منظور والزبيدي وقد وقعنا على استنتق في قول رؤبة :

ونتق الهيف السفانا فاستنتقا
ما لاث من ناصله وحزّقا(٩٥)

استبقل

ذكرت معجماتنا من ابنية بقل : أبقل وبقّل وابتقل وتبقّل فقط . وقد ورد استبقل في قول الاعشى بصيغة اسم الفاعل :

فوق مستبقل أضربه الصيـ ... ـف وزتّ الفحول والتنهاق(٩٦)

استحان

جاء في معجماتنا من ابنية أصله المجرد : أحان وأحين وحيّن وحاين وتحين فقط . وقد وجدنا استحسان في قول جرير :

فلا يتقون محيض النساء ... ولا يستحينون أطهارها(٩٧)

استخسى

وورد فيها من ابنية « خسا » و « خسى » أخسى وخسّى وخاسى ومخسّى وتخاسى . وقد جاء استخسى في قول معن بن أوس المزني :

أولئك لا أنتن كانوا فوارس ... بهم كنت استخسى العدا وأدافع(٩٨)

استغطى

لم يرد في معجماتنا من ابنية اصله المجرد غير : أغطى وغطّى واغتطى وتغطى . وقد وقعنا على استغطى في قول جرير :

فخضخضت التطاق ليعملات ... نواشط حين يستغطى البرير(٩٩)

يقول شارحه ابن حَبيب « ويروي : يستغضى ويستغطى كذا قال عمارة ، واستغطاوه واستغضاوه بمعنى واحد وهو تهدله وطوله كما يستغضى الليل ويستغطى إذا اشتدت ظلمته » .

ما جاء على وزن تفعال

يأتي هذا البناء مصدراً للدلالة على التكثير كالتفعيل ، يقول ابن يعيش على ما جاء مصدر فعلت فيه على غير ما يجب له ، بان يزيد فيه زوائد للايذان بكثرة المصدر وتكريره ، وذلك قولك الهدر التهدار وفي الصفق التصفاق وفي الرد الترداد وفي الجولان التجوال ، فليس في هذه المصادر ما هو جار على فعل ، لكن لما أريد التكثير عدلت عن مصادرها وزدت فيها ما يدل على التكثير ، لان قوة اللفظ تؤذن بقوة المعنى » .(١٠٠)

وقد يأتي هذا البناء مكسور التاء قليلاً كالتبيان والتلقاء مصدرين ، يقول ابو جعفر النحاس في سياق شرحه لقول طرفة ابن العبد :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي ... وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي

« تشرابي : بمعنى شربي الا ان تشراباً للتكثير و « شرب » يقع للقليل والكثير ، ومن روى تشرابي بكسر التاء فقد أخطأ لانه ليس في كلام العرب اسم على تفعال إلا اربعة اسماء وخامس مختلف فيه ، يقال تبيان ويقال للقلادة تقصار وتمشار وتبراك موضعان ، والخامس المختلف فيه قولهم تمساح وتمسح » .(١٠١)

وقد جمعها ابن يعيش ستة عشر اسماً ، إذ يقول « وقد جاءت أسماء يسيرة غير مصادر على تِفعال تبلغ نحو ستة عشر اسماً ، قالوا تهواء وتبراك،وتعشار وتُرباع لمواضع ، وتمساح للدابة المعروفة وتمساح للرجل الكذاب ، وتجفاف لما يلبس الفرس عند الحرب وتمثال للصورة وتمراد بيت صغير للحمام ، وتلقاف ثوبان يلفقان وتلقام سريع اللقم وتضراب لوقت الضراب وتلعاب كثير اللعب وتقصار وتنبال للقصير »(١٠٢)

واذا تأملنا هذه الاسماء الستة عشر فاننا نجد منها ما هو محتفظ بدلالته المصدرية كالتضراب والتبراك ، ومنها ما يعدو هذه الدلالة فيغدو وصفاً يقصد المبالغة فالتمساح للرجل الكذاب والتلقام والتلعاب والتقصار والتنبال ، ومنها ما تجرد اسماً لمعين كالتمساح للدابة والتجفاف والتمثال والتمراد والتلقاف وقد اثبتت معجماتنا التفعال بالفتح مصدراً لطائفة كثيرة من المواد ، إلا انها أخلت به لمواد اخرى ، وقد استدرك الزبيدي على صاحب القاموس ما أخل به الأخير مما جاء على هذا الوزن في عدد من المواد ، من ذلك : التبمات والتعقاد والترحاض والتمطاط والتصداع والتصفاق والتحثاء والتمزاء .

ومما اخلت به معجماتنا من امثلة هذا البناء :

التوطاء

ذكرت معجماتنا : وطىء وطأ وطئة وطاءة ولم يرد في اي منها التوطاء ، وقد وقفنا عليه في قول الفرزدق :

رأيت لهم على الاقوام فضلاً ... بتوطاء المناخر والرقاب(١٠٣)

التركاب

في معجماتنا : ركب ركوباً ومَركباً ورِكْباً فقط . وقد جاء التركاب في قول رؤبة :

إذ لا أني في رحل وتركاب
مرتجفاً بعد السفار الذهاب(١٠٤)

التعجاب

ذكرت معجماتنا العَجب والعُجب مصدرين لفعلهما ، ولم يرد فيها التعجاب ، الا انها ذكرت التعجابة بالكسر ، وهو وصف وليس مصدراً ، ففي القاموس المحيط وتاج العروس « ورجل تعجابة بالكسر ذو أعاجيب » . وقد جاء التعجاب في قول الاعشى :

لهم مشربان لها بهجة ... تروق العيون بتعجابها(١٠٥)

التوجاب

اثبتت معجماتنا الوجوب والوَجب والوجيب والوجبان فقط وقد ورد التوجاب في قول الفرزدق :

سفينة بر مستمد نجاؤها
لتوجاب روعات القلوب الرواجف(١٠٦)

التبيات

في معجماتنا ، بات بيتاً ومبيتاً وبيتوتة وبيتة وبياتاً فقط . وقد جاء التبيات في قول محارب بن دثار :

لو كنت املك والاقدار غالبة
تأتي صباحاً وتبياتاً وتبتكر(١٠٧)

التهداج

لم تذكر معجماتنا غير : الهدج والهُداج والهدجان مصادر للفعل هدج . وقد ورد التهداج في قول رؤبة :

قد عجبت نضرةُ من تهداجي
مختضعاً أهم بالهملاج(١٠٨)

التمساح

لم تخل معجماتنا بهذا المصدر ، بيد انه جاء فيها بمعنى الكذب ، ففي التاج « والمسح الكذب كالتمساح بالفتح ، انشد ابن الاعرابي :

قد غلب الناس بنو الطماح ... بالافك والتكذاب والتمساح

ثم يضيف « والتمسح والتمساح بكسرهما من الرجال المارد الخبيث والكذاب »(١٠٩)

وقد وجدنا التمساح بالفتح بمعنى المسح في قول هدبة ابن الخشرم :

والله لايشفي الفؤاد الهائما
تمساحك اللبات والمآكما(١١٠)

ولم يرد بهذا المعنى في اي من معجماتنا .

التسياح

ذكرت معجماتنا : السيح والسيحان والسيوح والسياح مصادر للفعل ساح ، ولم تذكر غيرها ، وقد جاء التسياح في قول الاعشى :

ونُسيح سيلان صوبه ... وهو تسياح من الراح يسح(١١١)

التصفـــاح

لم يرد في معجماتنا مصدراً للفعل صفح غير الصفح . وقد وقفنا على التصفاح في قول عبيد بن الابرص :

حلفت بالله ان الله ذو نعم لمن يشاء وذو عفو وتصفاح[112]

التطــراد

اقتصرت معجماتنا على ذكر الطراد والطرد مصدرين للفعل طرد . وقد جاء التطراد في قول الاعشى :

وقالت معاشه من ذا لنا بحرب عوان وتطرادها[113]

التزفـــار

في معجماتنا زفر زفراً وزفيراً ، ولم يرد فيها غيرهما . وقد وقفنا على التزفار في موضعين ، في قول جرير :

عطا الذي اعطى الخليفة ملكه
ويكفيه تزفار النفوس الحواسد[114]

وفي قول العجاج :

يقني جميع الليل بالتزفار
وعبرات الشوق بالادرار[115]

التصـــرار

لم تذكر معجماتنا غير : الصر والصرير مصدرين للفعل صر . وقد جاء التصرار في قول الاعشى :

لا يشحون على المال وما عودوا في الحي تصرار اللقح[116]

التقطـــار

ورد في معجماتنا : قطر قطراً وقطوراً وقطراناً فقط وقد جاء التقطار في قول الكميت بن زيد :

تحت الالائمة في نوعين من غُسُل
باتا عليه بتسجال وتقطار[117]

التقطـــاط

لم يرد في معجماتنا غير القط مصدراً لفعله ، وقد وجدنا التقطاط في قول المتنخل بن عويمر الهذلي :

بضرب في الجماجم ذي فروح وطعن مثل تقطاط الرهاط[118]

الترشـــاف

في معجماتنا : رشف رشفاً ورشفاً ورشيفاً ورشفاناً ولم يرد في اي منها الترشاف . وقد جاء في قول ذي الرمة :

لاخفافها بالليل وقعٌ كانه
على البيد ترشاف الظماء السوابع[119]

التحـــراق

ذكرت معجماتنا الحرق والحَرق والحريق والحُراق فقط .

وقد جاء التحراق في قول تابط شراً :

بل من لعذالة خذامة أشب حرقٍ باللوم جلدي أي تحراق[120]

التطبـــاق

اكتفت معجماتنا بذكر الطبق مصدراً لفعله وقد وقفنا على التطباق في قول أبي زبيد الطائي :

إذا واجه الأقران كان مجنه
جبين كتطباق الرحا اجتاب ممطرا[121]

التفـــراق

اثبتت معجماتنا الفرق والفروق والفرقان والتفراق والاخير بكسر أوله وثانيه تشديد ثالثه ، وهو بناء نادر ومن امثلته : التِبِقّاب والتِبِلْماع والتِمِصّاق والتِمِلّاق والتِكِلّام . وقد ورد التفراق في قول تابط شراً :

طيف ابنة الحر إذ كنا نواصلها
ثم احتبيت بها من بعد تفراق[122]

التحـــلال

في معجماتنا حل حَلّاً وحِلّاً وحلولاً وحلالاً وحلّاً وتحلة وتحلّاً . ولم يرد فيها غير هذه المصادر ، وقد وقفنا على التحلال في قول الاعشى :

هي الهم لو ساعفت دارها
ولكن نأي عنك تحلالها[123]

التشـــوال

ذكرت معجماتنا الشول والشولان مصدرين لفعلهما وانفرد الفيروز آبادي بذكر الشوال بفتح أوله ، ولم يذكر الشولان ، وقد عقب عليه الزبيدي في شرحه « شالت الناقة بذنبها تشول شَولاً بالفتح وشَولاً محركة ، وفي بعض النسخ شوالا بالفتح وهو غلط » . وقد وقفنا على التشوال في موضعين :

في قول الطرماح :

يشلن إذا المرور ين مستوقد الحصى
ولسن على تشوالهن بلقّح[124]

وفي قول العجاج :

وبعد تشوال الحروب الشوّل
تقاديا منك ولم تفلل[125]

التظلال

اقتصرت معجماتنا على ذكر الظل والظلول مصدرين لفعلهما . وقد ورد التظلال في قول العجاج :

يعتبني من حيشة تظلالا

وعنباً يساقط الاهدالا[126]

التنقال

في معجماتنا نقل نقلًا ونقلةً فقط ، والثاني مضموم النون وقد جاء التنقال في قول عبيد بن الابرص :

ولقد اقتم الخميس على الجر　　داء ذات الجراء والتنقال[127]

الترسام

لم يرد في معجماتنا غير الرسم والرسيم . وقد وجدنا الترسام في قول الفرزدق :

لكنت أطول ذي حلقة جملت　　في الآفق ذل بتقواد وترسام[128]

التسوام

اقتصرت معجماتنا على ذكر السَّوم والسُّوام الاول بفتح أوله والثاني بضمه . وقد ورد التسوام في قول الطرماح :

أضحت قلوصي بعد إهمالها　　في جُزأة النبل وتسوامها[129]

الهوامش

١ ـ مجلة آداب المستنصرية العدد ١٥ سنة ١٩٨٧ .
٢ ـ تنظر المواد : بدأ ونقد وجور وسرع وأخر ونصح وعهد ووقد وعسر ونكر في القاموس المحيط للفيروز أبادي ، بيروت ، وتاج العروس للزبيدي ، مصر ١٣٠٦ ، وطبعة الكويت .
٣ ـ تاج العروس ٨ / ٣٤١ .
٤ ـ تاج العروس ٢٠ / ٤٩٢ .
٥ ـ القاموس المحيط ١ / ٤٨ .
٦ ـ لسان العرب لابن منظور ، مصر ١٤ / ١٠٤ .
٧ ـ تاج العروس ٩ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
٨ ـ تاج العروس ١٨ / ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٢٨ .
٩ ـ ينظر المستدرك لهذه المواد في تاج العروس : والب ٤ / ٣٣٣ ، بابح ٢٠ / ٣٧٠ ، ناطق ٧ / ٧٨ ، راسل ٧ / ٣٤٥ .
١٠ ـ ينظر المستدرك في تاج العروس ، اعتجر ١٠ / ١٣ ، اعتط ١٩ / ٤٧٩ ، اختلع ٢٠ / ٥٢٦ ، ابتكل ٧ / ٢٣٢ ، انهذ ٩ / ٣٤٠ ، انخفض ١٨ / ٣٢١ ، انحط ١٩ / ٢٥٠ ، انفط ١٩ / ٥١٤ ، انمزق ٧ / ٧٠ ، انسلك ٧ / ١٤٤ .
١١ ـ عدلنا عن الاحالة على المعجمات لان ذلك مما يثقل الهوامش ، ولان المواد تدل على مواضعها فيها ، وفضلًا عن ذلك فان الاحالة تمس المادة كلها في المعجم وليس جزءاً منها ، وقد اكتفينا بالاحالة على مواضع النصوص المنقولة .
١٢ ـ ديوان جرير تحقيق محمد اسماعيل الصاوي مصر ٧٨ .
١٣ ـ شعر الكميت بن زيد الاسدي جمع وتحقيق د . داود سلوم ، النجف ١٩٦٩ ، ٣ / ١٤ .
١٤ ـ الوحشيات لابي تمام تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، مصر ١٩٦٣ ، ص ٦٦ .
١٥ ـ ديوان الفرزدق ، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي مصر ١٩٣٦ ، وتحقيق ايليا الحاوي ، لبنان ١٩٨٣ ، ١ / ٣٥٦ .
١٦ ـ ديوان نصر بن سيار الكناني ، جمعه وحققه عبد الله الخطيب ، بغداد ١٩٧٢ ، ص٤٨ .
١٧ ـ ديوان نصر بن سيار الكناني ، ص٣٤ .
١٨ ـ ديوان رؤبة ، تحقيق وليم بن الورد ، بيروت ١٩٧٩ ، ص٦٢ .
١٩ ـ الوحشيات ، ص٧٦ .
٢٠ ـ تهذيب اللغة للازهري ، مصر ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ ، ١٢ / ٩٢ .
٢١ ـ ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد ١٩٦٥ ، ص٥٨ .
٢٢ ـ ديوان ابي الاسود الدؤلي ، تحقيق محمد حسن آل ياسين بغداد ١٩٦٤ ، ص٨٣ .
٢٣ ـ شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، صنعة ثعلب ، مصر ١٩٦٤ ، ص٦٧ .
٢٤ ـ ديوان الفرزدق ٢ / ٤٤٣ (حاوي) و ٢ / ٧٨٧ (صاوي) .
٢٥ ـ ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ، ص٧٧ .
٢٦ ـ ديوان ابن الدمينة ، تحقيق احمد راتب النفاخ ، مصر ١٩٦٠ ، ص٣ .
٢٧ ـ ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيب عن ابن الاعرابي وابي عمرو الشيباني ، بيروت ، ص٢٤٢ .
٢٨ ـ ديوان رؤبة ، ص٢٢ .
٢٩ ـ ديوان الفرزدق ١ / ٥٢ .
٣٠ ـ ديوان الاعشى ، بيروت ، ص٣٩ .
٣١ ـ ديوان ذي الرمة ، تحقيق كارليل هنري مكارلي ، كمبردج ١٩١٩ ، ص١١٧ .
٣٢ ـ ديوان الطرماح بن حكيم ، تحقيق د . عزة حسن ، دمشق ١٩٦٨ ، ص٢١٧ .
٣٣ ـ ديوان الطرماح ، ص٢٢٠ .
٣٤ ـ ديوان جرير ص٣٦٢ ، ص٤٩٧ .
٣٥ ـ ديوان رؤبة ، ص١٠٨ .
٣٦ ـ ديوان نابغة بني شيبان ، دار الكتب ، مصر ١٩٣٢ ، ص٢٧ .
٣٧ ـ ديوان رؤبة ، ص١٢٢ .

٣٨ ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، قدم له وشرحه ابراهيم مزيني ، بيروت ، ص١٨ .

٣٩ ـ ديوان القتال الكلابي ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ص٦٩ .

٤٠ ـ ديوان ذي الرمة ، ص٦٣٧ .

٤١ ـ ديوان الفرزدق ٢ / ١٥١ .

٤٢ ـ ديوان ذي الرمة ، ص٦٤١ .

٤٣ ـ ديوان الاعشى ، ص١٥ .

٤٤ ـ ديوان الاخطل صنعة السكري ، تحقيق فخر الدين قباوة ، بيروت ، ص٧٢٢ .

٤٥ ـ ديوان نابغة بني شيبان ، ص٢٧ .

٤٦ ـ ديوان نابغة بني شيبان ، ص٢٦ .

٤٧ ـ شعر النابغة الجعدي ، دمشق ١٩٦٤ ، ص١٩٧ .

٤٨ ـ ديوان الفرزدق ٢ / ٢٦٧ .

٤٩ ـ ذيل الامالي لابي علي القالي ، مصر ، ص١١ .

٥٠ ـ ديوان عبيد بن الابرص ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ، ص٣٦ .

٥١ ـ ديوان عمر بن ابي ربيعة ، مصر ١٩٧٨ ، ص٤٢ .

٥٢ ـ ديوان العرجي ، تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي ، بغداد ١٩٥٦ ، ص٤٥ .

٥٣ ـ ديوان العجاج ، رواية الاصمعي ، تحقيق د . عزة حسن ، بيروت ، ص١٣٣ .

٥٤ ـ ديوان عبيد بن الابرص ، ص١٣١ .

٥٥ ـ ديوان جرير ، ص٣٠٦ .

٥٦ ـ ديوان جرير ، ص٣٨٠ .

٥٧ ـ ديوان رؤبة ، ص١١١ .

٥٨ ـ ديوان رؤبة ، ص١٣٢ .

٥٩ ـ ديوان الفرزدق ١ / ١٢٦ .

٦٠ ـ ديوان الفرزدق ٢ / ٤٠ .

٦١ ـ ديوان ذي الرمة ، ص٤٧٧ .

٦٢ ـ ذيل الامالي ، ص١٠ .

٦٣ ـ شعر الراعي النميري ، تحقيق د . نوري القيسي وهلال ناجي ، ص١٦٢ .

٦٤ ـ ديوان الفرزدق ١ / ١٢٧ .

٦٥ ـ ديوان الحطيئة ، ص٢٣٥ .

٦٦ ـ ديوان العجاج ، ص٤٥١ .

٦٧ ـ العين للخليل احمد الفراهيدي ، تحقيق د . مهدي المخزومي ود . ابراهيم السامرائي ، بغداد ١ / ٣٠٤ .

٦٨ ـ تهذيب اللغة ٢ / ٣٥ .

٦٩ ـ التكملة والذيل والصلة للصاغاني ، مصر ١٩٧٠ ، ٤ / ٤٦ .

٧٠ ـ ديوان عبيد بن الابرص ، ص٨٦ .

٧١ ـ تهذيب اللغة ٤ / ٤٥٨ .

٧٢ ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة ، ص١٨٤ .

٧٣ ـ ديوان شعر الخرنق بنت بدر بن هفان ، تحقيق د . حسين نصار ، مصر ١٩٦٩ ، ص٢١ .

٧٤ ـ ديوان الاعشى ، ص٧٥ .

٧٥ ـ شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، ص٢٩٩ .

٧٦ ـ ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د . ناصر الدين الاسد ، بيروت ١٩٦٧ ، ص٢٣٨ .

٧٧ ـ ديوان الهذليين ، مصر ١٩٤٥ ، ص٢٨ .

٧٨ ـ ديوان الفرزدق ٢ /٥٦٠ .

٧٩ ـ شعر تابط شراً ، تحقيق سلمان داود القرغولي وجبار تعبان جاسم ، النجف ١٩٧٣ ، ص١٤٤ .

٨٠ ـ ديوان بشر بن خازم ، تحقيق د . عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠ ، ص٥ .

٨١ ـ ديوان عبدة بن الطبيب ، جمعه وحققه د . يحيى الجبوري ١٩٧١ ، ص٧٨ .

٨٢ ـ المجمل في اللغة ، لابن فارس ، تحقيق زهير عبد المحسن ، بيروت ١٩٨٤ ، ٢ / ٣٨٨ .

٨٣ ـ ديوان زيد الخيل ، تحقيق د . نوري القيسي ، النجف ١٩٧٠ ، ص٤٧ .

٨٤ ـ اساس البلاغة للزمخشري ، بيروت ١٩٧٩ ، ص٤٨٠ .

٨٥ ـ ديوان الهذليين ، ص٤٤ .

٨٦ ـ ديوان جرير ، ص٤٠٠ .

٨٧ ـ ديوان الفرزدق ١ / ٦٩ .

٨٨ ـ ديوان الفرزدق ١ / ٢٦٩ .

٨٩ ـ ديوان الفرزدق ١ / ٣٩٢ .

٩٠ ـ ديوان عمر بن ابي ربيعة ، ص١٠٢ .

٩١ ـ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تحقيق د . محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٥٨ ، ص١١١ .

٩٢ ـ ديوان الفرزدق ٢ / ١١٤ .

٩٣ ـ ديوان ذي الرمة ، ص٦٣ .

٩٤ ـ ديوان أبي محجن الثقفي ، صنعة ابي هلال العسكري ، بيروت ١٩٧٠ ، ص٥١ .

٩٥ ـ ديوان رؤبة ، ص١١١ .

٩٦ ـ ديوان الاعشى ، ص١٢٧ .

٩٧ ـ ديوان جرير ، ص٣١٦ .

٩٨ ـ ديوان معن بن أوس المزني ، تحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن ، بغداد ١٩٧٧ ، ص١٠٧ .

٩٩ ـ ديوان جرير « شرح ابن حبيب » ، تحقيق د . نعمان محمد امين ، دار المعارف ، مصر ١ / ٤٦٣ .

١٠٠ ـ شرح المفصل للزمخشري ، مصر ٦ / ٥٥ ـ ٥٦ .

١٠١ ـ شرح القصائد التسع المشهورات لابي جعفر النحاس ، تحقيق ، احمد خطاب ، بغداد ١٩٧٣ ، ١ / ٢٦١ .

١٠٢ ـ شرح المفصل ٦ / ٥٦ .

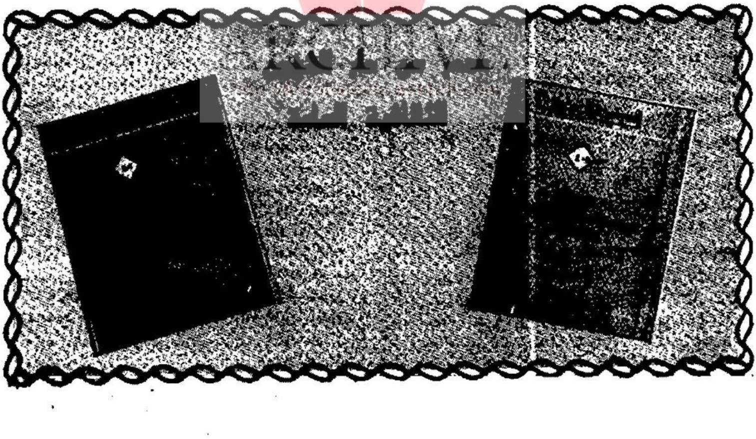
١٠٣ ـ ديوان الفرزدق ١ / ٣٥ .

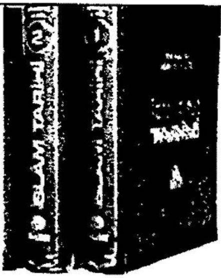
١٠٤ ـ ديوان رؤبة ، ص٥ .

١٠٥ ـ ديوان الاعشى ، ص٢٥ .

١٠٦ - ديوان الفرزدق ٢ / ٩٠ .
١٠٧ - ذيل الأمالي ، ص١ .
١٠٨ - ديوان رؤبة ، ص٣٠ .
١٠٩ - تاج العروس ٧ / ١٢١ .
١١٠ - شعر هدبة بن الخشرم ، جمعه وحققه د . يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٧٦ ، ص١٣٢ .
١١١ - ديوان الاعشى ، ص٤١ .
١١٢ - ديوان عبيد بن الابرص ، ص٤٩ .
١١٣ - ديوان الاعشى ، ص٦١ .
١١٤ - ديوان جرير ، ص١٧٨ .
١١٥ - ديوان العجاج ، ص٧٥ .
١١٦ - ديوان الاعشى ، ص٤١ .
١١٧ - شعر الكميت بن زيد الاسدي ١ / ١٣١ .
١١٨ - جمهرة أشعار العرب ، لابي زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي ، بيروت ١٩٦٣ ، ص٢١٦ .
١١٩ - ديوان ذي الرمة ، ص٣٦٨ .
١٢٠ - شعر تابط شرا ، ص١١٠ .
١٢١ - شعر ابي زيد الطائي ، جمعه وحققه د . نوري القيسي ، بغداد ١٩٦٧ ، ص٧٥ .
١٢٢ - شعر تابط شرا ، ص١٠٤ .
١٢٣ - ديوان الاعشى ، ص١٥٩ .
١٢٤ - ديوان الطرماح ، ص١١١ .
١٢٥ - ديوان العجاج ، ص١٩٥ .
١٢٦ - ديوان العجاج ، ص١٧٤ .
١٢٧ - ديوان عبيد بن الابرص ، ص١١٦ .
١٢٨ - ديوان الفرزدق ، ٢ / ٥٥٠ .
١٢٩ - ديوان الطرماح ، ص٤٤٣ .

***





مجموعة من نقلة التراث العربي الى أوربا او المترجمون من العربية الى اللاتينية

ترجمة واعداد : د . حسين الداقوقي

لاجل ان نتعرف عن كثب ، على الاثار العربية واليونانية المترجمة الى اللغة اللاتينية خلال العصور الوسطى ينبغي تدقيقها تبعاً للمترجمين وللاثار نفسها .

إستفدنا في اعداد هذه الدراسة مما لغيرنا الذين عملوا في هذا الموضوع منذ القرن الماضي ولازالت هذه المباحث بحاجة الى تحقيق المحققين . فلنبدأ الان بتدقيق المنقولات من العربية الى اللاتينية تبعاً للمترجمين : -

١ . قسطنطين الافريقي Constaniuns Africanus

من الرواد الذين قاموا بترجمة آثار عربية مهمة الى اللاتينية هو العالم المعروف بالافريقي . ولد في قرطاجنة في الربع الأول من القرن الحادي عشر حيث درس الطب والفلسفة وأغرم بالحكماء والفلاسفة المسلمين الذين ذاع صيتهم في بلاد الاندلس . وقام برحلات الى الشرق لدراستهم ، فاتقن العربية وظل في بغداد مدة طويلة ثم شد الرحال الى الهند والحبشة ، ورحل الى خراسان والشام ومصر . وعاد من رحلته الى بلاده عن طريق مصر وقد تعرف خلال هذه الرحلات الطويلة على الشرق مثله مثل اي عالم شرقي .

ومما يستلفت الانتباه انه كان معاصراً لابن سينا والبيروني وابن بطلان غير ان الافريقي لا يذكر في مؤلفاته هؤلاء الاعلام ، لذا لا نعلم هل اتصل بهم وافاد منهم مباشرة أم لا ؟

وبعد ان رجع الى بلاده بمدة قصيرة أخذ يشتغل بالطب والسحر والكيمياء ، ولاسباب لا نعرفها جيداً انه غيّر مقر اقامته واستقر في ١٠٦٠ م بسالرنو التابعة حينذاك لنابولي ، فقد كانت سالرنو مشهورة بجامعتها اثناء القرون الوسطى

ترهّب قسطنطين في دير مونتي كاسينو . وعندما عاد من رحلته كان قد جلب معه عدداً من المؤلفات العربية واليونانية القديمة ، وبدأ بترجمة منها الى اللاتينية ، فنقل (٧٦) كتاباً من العربية . وكتب غير هذه في الطب ، الا ان شهرته قائمة على مترجماته بوجه خاص .

توفي قسطنطين عام ١٠٨٠ م أو ١٠٨٧ م بالقرب من كلوسترمونتي كاسينو . توجد بين كتبه المطبوعة مترجمة من العربية لابقراط وجالينوس ، والرازي (٩٢٣) واسحق بن سليمان (٩٣٢) وعلي بن عباس (٩٩٤) وابن الجزار (١٠٠٤) الخ . من كتب الطب والفلسفة ، الا ان أهم مؤلفاته المترجمة من العربية هي :

1. Liber Pantegni Isaac
وهو كتاب (كامل الصناعات الطبية) لعلي بن العباس
2. Liber Dictarun Universalium Liber dictarun Particularium etc. الكتاب العالمي الكتاب الخاص
3. Hippocratis إبقراط
4. Techni Galeni جالينوس
5. Abubecri Filii Zachariae ابو بكر الرازي
6. Terapeutica . الادوية المفردة
7. De Oculis .
8. Megatechmi الصناعات الكبرى
9. De inteioribu Membris الاعضاء الداخلية

٢ . أدلرد أوف باث ; Adelardus Bathoniensis

ولد في مدينة باث ونسب اليها . راهب بندكتي انكليزي أولع بالمسائل الفلسفية وساح في انحاء فرنسا والمانيا قام بدراسات خاصة في دير (تور) مما أثر في تعميق افكاره وتنمية معارفه . لقد إستيقن ادلرد بانه اذا ما اراد التضلع في العلم والفلسفة اليونانيين فيتوجب عليه ان يتعلم العربية ويدرس الفلسفة الاسلامية فارتحل الى اسبانيا ومصر في القرن الثاني عشر . وقد ترجم عند عودته آثاراً مهمة في الفلسفة و الرياضيات والهيئة ، وله في هذا الباب باع طويل وتأثير كبير .

أمثال : Leclerc ، وستنفلد ، ، Jourdain ، Renan
Miguel Asin , Steinschnider , Fulani , Pierre
Bouyges , Bonald Campbell وغيرهم .

١ . نقل من العربية آثاراً في الرياضيات والهيئة وانهمك بمؤلفات ثابت بن قرة واسحق بن حنين وغيرهما .

توجد نسخ من ترجماته اللاتينية المخطوطة في مكتبة غلاسكو (Haenel Col . 786)

Euclidis elementa ex ara bica in Latinum
Translate Par Adelardum في مجلد واحد

٢ . ترجم كتاب (المدخل) لابي معشر جعفر بعنوان (Isagocia) gapharis Mathematici in Astronomiam Par Adelardum Bathaniensem ex Arabica Sumpta Ccatal . Mss . Angl . Tom . I . P . L — Page 80 . Nr . 1669

٣ . وترجم لوحة ابي جعفر الخوارزمي في الهيئة والمعروفة بـ(زيج جعفر) Ezich el Kauresmi I.e . Tabulae Chavaresmica Per Ethelardum Bathoniensem ex Arabica Traductae (Oxford Catal . Mss . Angl . Nr . 4137)

وتوجد منه نسخة ثانية في باريس)

يذكر ابن خلكان في كتابه (وفيات الاعيان) مؤلفاً لابي جعفر باسم (المدخل والزيج) . ويبدو انه تتألف من كتابين ترجما على انفراد .

٣ . اصطيفان Stephanus

أصله من انطاكية . تعلم العربية بسهولة لذا استطاع ان يقوم مبكراً بدراسة المؤلفات الفلسفة والعلمية . ثم رحل الى الغرب (اسبانيا وايطاليا) حيث نشر الكتب التي ترجمها الى اللاتينية ومنها .

نقل مؤلفات علي بن عيسى الطبية كاملة الى اللغة اللاتينية Liber Campletus artis Medicinaque qui dictur regtis: dispositio hali filli abbas , discipllus abimeher Moge.I filli Sejar edidit (Feller .P . 249 – 310)

كامل الصناعات الطبية لابن عباس

٤ . جون هسبانز gohannes Hispamus

وهو من مشاهير المترجمين الذي لعبوا دوراً مهماً في حركة الترجمة والنقل والاقتباس . ورد اسمه في مؤلفات شتى وعلى أوجه مختلفة : Hispalensis Ispanensis , Hispaniensis أو هو في الاصل من اشبيلية لكنه قضى شطراً كبيراً من عمره في (Luna) لذلك كان يسمى ايضا بـ(اللوني) (Lunensis) .

ترجم من العربية اثاراًكثيرة في الهيئة والتنجيم الا ان آثاره المترجمة المهمة كانت مؤلفاته الفلسفية .

١ . كان مؤلفه الاول بناءاً على طلب مطران طليطلة (ريموندو) (Raimundo) الذي شجعه على نقل الكتب العربية الى اللاتينية . وهذا المؤلف هو كتاب النفس لابن سينا Avicenna Opus de anima Haplae Per Anton del Carchena (Cxford . Cod 1012 . 2 . Jourdain Leiden Cod . 1466)

٢ . كتاب الشفاء لابن سينا مع كتاب (رسائل الحكمة والطبيعة) الخاص بالفيزياء . وكتاب النفس ومايتعلق بما وراء الطبيعة و« كتاب السماء والعالم » وكلها معاً مجموعة كبيرة ترجع لهذا المترجم تحت عنوان (الاعمال) (Opera) .

ثم طبعها لاول مرة عام ١٤٩٥ م ثم في ١٥٠٠ م وفي ١٥٠٨ م وان طبعه عام ١٤٩٥ كانت في البندقية تحت عنوان : Avicenna Periptetisi Philoso Medicorum Primi , Opera in Lucen redacta . etc .

ويشتمل هذا المجلد على الكتب التالية :

(١) Logika المنطق (٢) Sufficiemtia كتاب الشفاء ،
(٣) De Coelo el Mundo كتاب السماء والعالم
(٤) De Animalibus النفس
(٥) De intelligentiis العقل
(٦) De Intelligentiif
(٧) Philosophia Prima الفلسفة الاولى تُرجم منطق ابن سينا من اللاتينية الى الفرنسية من قبل (Vathier) عام ١٦٥٨ ، وطبع في باريس .

طبع من قبل Schoelders كتاب منظوم في المنطق لابن سينا ايضا ، ونشر ضمن كجموعة Documentia Philosophia Arabum الوثائق الفلسفية العربية .

٣ . وله كتاب آخر باسم deScientiis اي كتاب العلوم ، ترجمه بالمشاركة مع المترجم الكبير (جند يسالفي) . طبع هذا الاثر في باريس عام ١٦٣٦ .

٤ . نقل مؤلفا عربيا مهماً في الهيئة لمحمد كثير الفرغاني . ولازال هذا الكتاب موجوداً في مكتبة اكسفورد تحت عنوان : Perfectus est Liber Al Faragani in Scientia astrorum et radicibus Moivlim Celesium imterprtatus a Johanne Hispaniensi atque

الكتاب الكامل في الفلك والهيئة مع شرحه لجون هسبانز .

٥ . ترجم الى اللاتينية كتاباً لبطليموس في الهيئة متكوناً من مائة وجيزة يعرف بكتاب (الثمرة) Ptolemaei Cemiloquim .

والاصل العربي موجود في مكتبة الاسكوريال برقم (Cod 1824 ,2)

أما نسخة الترجمة اللاتينية فانها موجودة في مكتبة اكسفورد Catal . Bib . 1 . 931

٦ . ونقل هسبانز الى اللاتينية ثلاثة فصول من (مقاصد

الفلاسفة) للغزالي في موضوعات المنطق وماوراء الطبيعة والفيزياء . وقد نشرها المؤلف بعنوان : Logika et Philosophia al – Gazalis المنطق والفلسفة للغزالي

٧ . لهسبانز ترجمات أخرى كثيرة في التنجيم والهيئة والرياضيات منها كتاب (المدخل الى احكام النجوم) لمؤلف عربي مجهول ، نقله الى اللاتينية باسم . introductio ad Scientiam Judiorum astrorum (Cxford . 272 –294)

٨ . كتاب القرانات Liber Conjuetionum Siderum Cxford Catal Nr. 1030)

ورد ذكر هذا المؤلف في كتاب ابن ابي اصيبعة وفي كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة .

٩ . ونقل كتابا باسم الزهور الفلكية Flores astrologia Judiclis astrorum (Paris 7138 , (Oxford N . 259 , 8) .

١٠ . ترجم كتاب (المدخل في علم النجوم) للقابس ، وهو ابو بكر عبد العزيز بن عثمان القابس . عاش في عهد سيف الدولة الحمداني معاصراً للفيلسوف الفارابي . توفي عام ٣٥٦ هـ ٩٦٧ م

وتحمل ترجمته اللاتينية العنوان التالي : Alcabitus Astronomi Judiciari Principiae Tractacu , etc

ولهذا الكتاب ترجمة فرنسية بقلم (Oronce Fi ne)

١١ . أما كتاب (الفرق بين النفس والروح) لقسطا بن لوقا فقد نقله الى اللاتينية بعنوان : Differentia inter animam et Spiritum .

johannes Hispanesis ex arabico in Latinum reveremdo (Jourdain . P . 117

١٢ . وترجمته اللاتينية لكتاب ثابت بن قرة في التنجيم تحمل العنوان . Liber de Imaginibus Translatus (Paris , Cod 728 . 2 .) (4 .160204) .

١٣ . ونقل كتاباً في التنجيم كانت له شهرة في العصور الوسطى لابي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي :

بحث الاسطرلاب من العربية الى اللاتينية Tractatvulus de astrolabia ex arabico in Latnum (Paris . Cod . 72 92 .41)

وتوجد نسخة من الأصل العربي في مكتبة الاسكوريال (Cod . 967 , 3 .)

١٤ . وكتاب (أحكام القرانات والممازجات) الذي ذكره حاجي خليفة . وورد في اللاتينية : Epistola in rebus ecl;psis Lunae et Solis Conjuctioni bus (Paris , Cod . 7016 A . 2 . 73 07 .4)

رسالة في الخسوف والكسوف والتوابع .

١٥ . وله ترجمة بعنوان (شرح في التوابع) Liber Messahalla de raceptione (Planatarum) inteperetatus a joamme ispiensi ex Arabico im Latinum (Oxford)

١٦ . وله ايضاً Messahalae antiquissmi ac Laudatissima inter Arabes Astrolog الفلكيون العرب القدامى البارزين

١٧ . وبهذا العنوان ترجم كتاب الحساب لمحمد بن موسى الخوارزمي : Liber Algrismi de Practica Arismetica

طبع في روما سنة ١٨٥٧

١٨ . وله بعنوان : رسالة ارسطو في البدن Epistloa Aristotelis ad Alexandrum de Observatione Corporis humami a johanne Hispanensi Translata

١٩ . وترجم (سر الاسرار) للرازي باسم Secretum Secretorum (Florenz Bandini . T . II .P . 84 . Paris , 1617)

٥ . جند يسالفى Domimicus Gu ndissalvi

هناك ثلاثة يحملون اسم جند يسالفى ، وكلهم نقلة الاثار الفلسفية من العربية الى اللاتينية . الاول منهم لا يعرف له الاسم الاول . والثاني منهم يسمى Johannes ، وثالثهم موضوع بحثنا وهو (Dominicus) جند يسالفى اشتهر هذا العالم بترجماته ، ويمث نشاطاً ملحوظاً في هذا المجال خلال عهد الترجمة والاقتباس في العصور الوسطى . وهو أهم من عرّف ابن سينا على العالم الاوربي كان جند يسالفى رئيساً روحانياً مسيحياً في (Segovia) باسبانيا . انصرف الى دراسة ابن سينا والفارابي والغزالي وأمعن في تدقيقهم والبحث عنهم ، وفضلاً عما أسلفنا فانه عمل على بعث الفلسفة الافسطينية في صورة تطعيمها بالفكر الاسلامي ، فهو لم يكن مترجماً وناقلاً فحسب انما كان مفكراً له شانه ، فكانت وفاته عام ١١٥١ م . ومن آثاره :

١ : ترجم كتاب (النجاة) لابن سينا وهو خاص بماوراء الطبيعة Avicen n a Metaphysicorum Lib r i decem interprete Dominico Gondisalvo Archidiscono Tholet . de arabico in Latinum (Paris . Cod . 6443 , 1 , 16097)

ان المطبوع من هذا الكتاب يحمل عنوان Prima Philosophiae وهو يقع ضمن (Opera) المطبوع في البندقية عام ١٤٩٥

٢ . كذلك نقل جند يسالفى (رسائل الحكمة والطبيعة) لابن سينا الى اللاتينية وهو تحت عنوان : (الكتاب الخامس في الطبيعة لابن سينا) . . Avicenna Physicorum Libri quinque (Paris , Cod . 6443 .2)

٣ . السماء والعالم Avicenna Liber de Coelo et Mundo (Paris) 6443).

٤ . وقد اقتبس من كتاب (احصاء العلوم) للفارابي قطعاً وجد بها هذه الترجمة المشهورة : De Divisione Philosophiae (Oxford Mss. Tom 1 – Part. I P.8.0

٥ . ونقل من الغزالي كتاباً سماه (كتاب الفلسفة) Liber Philosophiae (Paris, Cod, 6552. 7)

٦ . ومن ابن سينا نقل كتاب (الشفاء) Sufficientia وطبع في تواريخ مختلفة ، من : ١٤٩٥ ؛ ١٥٠٠ ، ١٥٠٨

٦ – جيراردو الكريموني

وهو من اعظم شخصيات فترة الترجمة . ولد في (كريمون) Cremo ne عام ١١١٤ م . اشتغل في الفلسفة ، وصرف جهوداً واسعة لترجمة الفلسفة اليونانية الى اللاتينية ، وعندما وجد الترجمات العربية لفلسفة اليونان بهرته هذه الترجمات فرحل الى طليطلة وأتقن العربية ثم كرس حياته لترجمة الاثار اليونانية والعربية الى اللاتينية وبلغ مجموع أعماله (٧٦) كتابا أهمها مانقله من العربية الى اللاتينية . فقد ذكر البروفسور (اولكن) منها (٧١) مؤلفاً عربياً منقولاً الى اللغة اللاتينية معناوينها اللاتينية .

الهوامش والتعليقات للمترجم

لقد أغلق جستنيان الامبراطورالبيزنطي الكبير في القرن السادس المدرسة الفلسفية الأخيرة في اثينا على اعتبار أنها من آثار الوثنية . وأخذت اوربا الغربية من جراء نفس المخاوف تحارب بشدة المحاصيل الفكرية السابقة . أما العرب المسلمون فقد اطلعوا على المؤلفات اليونانية ونقلوها الى العربية دون أن يهملوا الافادة مما كان لدى البيزنطيين . اما الروم البيزنطيون فلم يستطيعوا بخلاف المسلمين تطوير الحضارة اليونانية وغدوا بالتالي حيارى أمام الحضارة الاسلامية فلم يستفيدوا منها الاستفادة اللازمة كما فعل الاوربيون . لذلك كانت الحضارة العربية هي الاساس في توليد حركة النهضة (رينسانس) في اوربا .

أما الناحية التي أود الكلام فيها هي : ان حركة الترجمة وطرق انتقال الحضارة العربية كتب عنها الكثير ، الا ان المكتوب لازال ناقصاً نظراً لان سير المترجمين وأعمالهم لم تُبحث بالتفصيل الوافي . ولأجل التعرف على الاثار الاسلامية واليونانية المترجمة الى اللغة اللاتينية خلال العصور الوسطى ينبغي تدقيقها تبعاً للمترجمين وتبعاً لاثارهم . فان الكشف عنهم وتتبع نتاجهم يوضح جوانب جديدة من الحضارة العربية وأثارها في الحضارة العالمية الحديثة :

١ . التاجر القرطاجي قسطنطين الافريقي ١٠٢٠ – ١٠٨٧

عربي مسيحي من تونس ولد في قرطاجة وأتقن العربية بجانب اللاتينية واليونانية . يقال انه رحل الى خراسان وبغداد والشام ومصر والهند وامضى ثلاثين سنة متنقلاً في هذه الربوع . رجع الى تونس وانتقل الى ايطاليا والتحق بمدرسة الطب في سالرنو ١٠٦٠ جنوبي ايطاليا .

مدرسة سالرنو اسسها المسلمون لاول مرة ثم تحولت الى ايدي الايطاليين واستمرت على ايديهم وكانت مركزاً فعالاً للترجمة .

Picavet, Histoire de Philosophie Medievale 2Vols.
E. Gilbson, Histoire de la Philosophie du Moyen age 2Vols.
apud: Prof. H.Z. Ileken,

الفلسفة الاسلامية ومصادرها . نشر من هذا الكتاب فصلاً باللغة الانكليزية بعنوان أثر الحضارة الاسلامية في اوربا . كانت مدرسة سالرنو تدرس علوم النحو والبلاغة والمنطق والرياضيات والموسيقى والهندسة والفلك اصبح قسطنطين راهباً بندكتياً في دير مونتي كاسينو حيث قام بترجمة الكتب العربية ويوضع شروح مطولة على مؤلفات العربية حتى توفي ١٠٨٧ . راجع عن حياته :

د . محمود الحاج قاسم محمد ، انتقال الطب العربي الى الغرب مجلة المورد . العدد الثاني ، سنة ١٩٨٣

نجيب العقيقي ، المستشرقون ، ١ / ١٩ الطبعة الثالثة مراد كامل ، الايطاليون والدراسات العربية . مجلة (المجلة) المصرية ، يوليو ١٩٦٢ .

ترجم الافريقي (كامل الصناعة الطبية) لعلي بن العباس ، كتاب اسحق عمران وكتاب ابن الجزار وبقراط الى اللاتينية ، مراد كامل ، نفس المقال هل الحضارة العربية . ترجمة ابراهيم العدد ، ص ١٢٣ وترجم للرازي (كتاب العلل) في الطب والفلسفة وكتاب (سر الاسرار) في الفلسفة الى اللاتينية .

يذكر عن الافريقي انه انتحل بعض ماترجم ككتاب المقالات العشر في العين لحنين بن اسحق ، فجعل عنوانه : كتاب قسطنطين الافريقي في طب العيون .

جمعت آثار الافريقي في (٢٤) مصنفاً ونشر في ليون عام ١٥١٥ وفي بال بسويسرا عام ١٥٢٩ .

نجيب العقيقي ، نفس الكتاب .

كتاب اضواء عربية على اوربا في القرون الوسطى لمجموعة من الاساتذة . ترجمة عادل العوا . منشورات عديدات ١٩٨٣ ، ص ٨٣

Young. Near Eastern Culture and Society. P.92.

٢ . ادلرد الباثي

مستشرق انكليزي درس في فرنسا ، وبقى فترة من الزمان في

صقلية . ومن المحتمل انه درس في الاندلس وكانت دراساته في ظل تقاليد المدارس الكاثوليكية .

مونتغومري وات ، تأثير الاسلام على اوربا في العصور الوسطى . ترجمة : د . عادل نجم عبو ، ص ٩٩

رحل الى آسيا ومصر واسبانيا واطلع على المؤلفات الرياضية والفلكية والعربية وترجمها الى اللاتينية بعد عودته الى وطنه انكلترا (تاريخ سوريا لفيليب حتى ٢ /١١ -١٦

ومن ترجماته الى اللاتينية عام ١١٢٦ فهارس المجريطي في الفلك والرياضيات والجداول الفلكية للخوارزمي ١١٢٦ وكتاب العناصر لاقليدس . (اضواء عربية ص ٢٠) .

٣ . اصطيفان : -

٤ . هسبالنز Johannes Hispalensis – Hispanus

كان مؤلفه الأول مع جند يسالفي De Amima ترجم هسبانوس ميتافيزيقيا ابن سينا في مجموعة كتب Opera . ونشرت في البندقية ١٤٩٥ و ١٥٠٠ مرتين . (Ulken)

٥ . جند يسالفي . (ت . ١١٥١ م)

كان دومينيك جند يسالفي كبير الشمامسة في سيكوفيا Ségovie .

قلد فلسفة الفارابي وكان (احصاء العلوم اساساً لكتابه المشهور (Kafasoglu , Selcuklu lar , 329) ان له كتابه De Divisione Philosophiae وفي قلب (المعارف السبعة Trivium et Quadrivium)

وأحل محله التصنيف الانسكلوبيدي للفارابي المنسجم مع فلسفة ارسطو . فكان ذلك تصنيفاً جديداً بالنسبة للعالم الغربي خدم الجامعات الاوربية الحديثة آنذاك ترجم جند يسالفي ايضاً كليات ابن رشد وأرجوزة ابن سينا وتعليق ابن رشد عليها . كما ترجم كتاب النفس والشفاء لابن سينا (المورد ، نفس المقالة .

ان هذه المؤلفات المنقولة الى اللاتينية كانت لها آثارها خلال القرن الرابع عشر في السكولاسيته (المدرسية) الفلسفية المسيحية – خاصة القديس توما والبرت الكبير . (Ulken)

٦ . جيراردو الكريموني الايطالي (ت : ١١٨٧) ويسمى الطليطلي (١١١٤ - ١١٨٧) .

قدم من ايطاليا سنة ١١٥٠ واستوطن الاندلس (المورد ، نفسه المقالة .)

كان مدفوعاً برغبة جامحة لمعرفة المجسطي . فانتقل الى طليطلة حيث أتقن العربية وترجم مالا يقل عن (٧٤) مؤلفاً عربياً بين صغيرة وكبيرة ترجمة حسنة . بحث في علم الفلك والتنجيم والحساب والجبر والهندسة والفلسفة والطب . وترجم المجسطي عام ١٥١٥ في البندقية .

(مجلة المشرق . يصدرها مركز العلاقات الايطالية العربية في روما . العدد ٢ -٣ . سنة ١٩٥٦)

بحث في علم الفلك لجابر بن أفلح . وآخر لابن الهيثم – الشفق (لشبونه ١٥٤٢) ، والقانون لابن سينا . طبع عدة مرات . والموجز للفرغاني . (اعيد طبع قسم منه خ . ١٩١٠ .) وتطبيق التبريزي على الكتب العشرة الاولى لاقليدس ، وتطبيق ابي بكر محمد بن عبد الباقي على كتاب اقليدس العاشر : (طبع في روما ١٨٩٩ ، وفي باريس ١٨٣٨ ، ١٨٦٥ .) وكتاب الانواء لربيع بن زيد ، وبحثاً موجزاً في الجبر لا يعرف مؤلفه ، وكتاب الجبر للخوارزمي . (طبع في باريس ١٨٣٨ ، ١٨٦٥) مراد كامل ، نفس المقالة . كما استعمل الارقام العربية .

٧ . الراهب لل Raimun Lull :

نشأ في اسبانيا خلال القرن الثالث عشر الراهب لل (١٢٣٥ - ١٣١٥ م) .

تفرغ لل لدراسة اللغة العربية بكل جهوده ، وحاول ان يحمل الجامعات الاوربية على تعيين اساتذة للغة العربية ، يدفعه الى الحماس التبشير في البلدان الاسلامية . ولهذا الغرض نفسه امضى لل سنة في تونس وتسعة اعوام في دراسة العربية كما انه قام بتدريسها في ديرالفرنسيسكان في جزيرة ماجوركا ، بعدها قصد روما محاولاً اقناع كلمنصو الخامس ، والبابا بتيفاس الثاني بضرورة تخصيص كرسي للغات الشرقية في المدارس التي تمد المبشرين (مقالة فيليب حتى ، تاريخ دراسة المشرقيات في اوربا – مجلة الهلال ، الجزء الثالث السنة الثالثة والثلاثين .

ويقال انه كتب بعض مؤلفاته بالعربية ثم ترجمها الى اللغة القطلونية (اضواء عربية) .

ان محاولات لل واصراره على تنفيذ آرائه أسفر في النهاية عن قناعة البابوات بوجاهة دعوته ، وتقبلهم اياها وكانت اساساً من أسس التبشير .

ترجم ريموندو من ابن عربي الاسماء الحسنى ، ونقل فصولًا عن (الفتوحات) ، وكتب مؤلفات ورسائل كثيرة في التصرف والكلام والفلسفة غير انه كان في الوقت نفسه يدعو الى معاداة الاسلام . (Ulken) نفس الفصل

الخلاصة :

اكتفينا في هذا العمل بترجمة نماذج من كتاب البروفسور H.Z.Ulken الموسوم بـ(الترجمة والمؤثرات في الحضارة الاسلامية) . ووجدنا من المفيد اضافة حواشي فيها بعض الزيادة والتوضيح فقط دون البحث المستفيض . وتركنا المترجمين الاخرين . وهم كثيرون جداً – للباحثين في الحضارة العربية والعالمية .

***

انكيدو والتصوف الاسلامي*

شاكر حسن آل سعيد

* اللهم ان العلم عندك وهو محجوب عني، ولا اعلم امراً فاختاره لنفسي. فقد فوضت اليك امري، ورجوتك لفاقتي وفقري فارشدني.

* ابو معين الشافعي.



القسم الاول

مقدمة

يظل التاريخ الثقافي للفكر الرافديني بمثابة المقطع الطولي لشجرة المعرفة في بلاد مابين النهرين** منذ اقدم العصور التاريخية. فلو نحن استعرضنا المواقف الثقافية للانسان العراقي منذ ابتداعه الاشكال الاولى للمواصلات اللغوية، واعني بها الابجديات الزخرفية والتدوينية وهي في مراحلها التكوينية [الجينيولوجية] لامكننا ان نلمح فيها [أجنة] بل جينات العديد من الصفات الثقافية الموروثة، ومن اهمها ما يخص شخصية انكيدو بالذات.

ان ما يميز هذه الشخصية المتميزة في الميثولوجيا الرافدينيه [ايقاعها] المكاني، او بالاحرى [انسانيته المشوبة بالخليقة الحيوانية]. ذلك ان ملامحه المنحوتة او الموصوفة في النصوص الاسطورية، تمثله على هيئة [انسان / حيوان]، على الضد من شخصية جلجامش، الذي تمثله الاساطير [انسان / اله]. فمثل هذه النسبة للمخلوق، وليس للخالق، تستبطن من الناحية الفكرية والثقافية نزعة الانسان للالتجاء الى الطبيعة عبر الكائنات، تلك النزعة التي تمرس بها الانسان (الصائد) لا جامع الثمار في العصر الحجري القديم، والتي في جوهرها تؤول بصورة مسبقة او سابقة لاوانها، طبيعة الفكر في العصر الحجري الوسيط، بل الفكر في المجتمعات الرعوية لا الزراعية. ومن هنا فهي ذات نسب واضح بالفكر الصوفي الاسيوي [والذي يحتكم الى الوجود الشيئي للطبيعة، او الى المملكة النباتية او النبات الطبيعي][1] وان لم يكن صوفياً بل سحرياً.

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الرغبة الى التجذر والاستقرار في الاصل يتسم شخصية انكيدو[2] بالارض لا بالسماء، وبالطبيعة وليس بما وراء الطبيعة. ومن هنا معنى موت انكيدو، ودفنه في باطن الارض لا ارتفاعه الى السماء. فكأنها، اي الرغبة الى التجذر، تؤكد معنى [سكونية] الوجود الموضوعي للذات Sujet . فانكيدو، اذن، يبدو وكانه مخلوق ثقافي سومري اكثر منه مخلوقاً اكدياً. [مع انه وجلجامش نتاج سومري بالاصل]. ولكنني هنا اشير الى اسبقية وجوده الثقافي على جلجامش، اي بعد خلقه، لا وجوده التاريخي.[3] ذلك ان جلجامش في جوهره وجود (مستقبلي)، ضد ما ضوى، فهو ينزع نحو التحرر من الطبيعة او الارض عبر موضوعية الذات في توجهه نحو الالهة من خلال (تجاوزاته)، ثم بحثه المضني للحصول على سر الخلود. وهكذا فهو اذن يمثل (الرغبة) لـ التغيير والابداع والحركة وعدم الاستقرار او الثبات، تماماً على الضد من انكيدو الذي ظل ساكناً في (ازله) الخليقي قبل ان يلتقي بجلجامش

وهذا بعض ما يرسم الملامح الانكيدوية ويصف لنا وجوده التكويني [الجيني]. فهو العلامة الاولى على [وحدة الوجود الخليقي].[4] واننا لنجد مثل هذه العلامة بوضوح في بعض الوحدات الزخرفية والتصويرية على فخاريات دور سامراء وحلف والعبيد في عصر ماقبل السلالات في العراق ومن ضمنه الدور الشبيه بالكتابي.[5] [فمن ذلك مثلاً وحدة الكائن [الحيواني / النباتي] كما هو ملاحظ في الرسوم على فخار دور العبيد (٤٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م). فهنا نشاهد معنى اندماج الانفس بـ (الاخش)، [بتعبير بلاغي ظهر في العصر الاسلامي، كناية عن العلاقة بين الظاهر والباطن].[6] او ان الاشارة الى الانفس والاخس هو في حقيقته [تفسخ] او تفكك تحليلي لوحدة الوجود التركيبي التي نراها ماثلة في عصر ما قبل السلالات في العراق، مع العلم ان منزلة الكيان الحيواني / النباتي هي دون منزلة الكيان

* - القسم الاول من فصل مخطوطة كتاب « جوهر التثاني بين الانا والاخر ».

** آثرنا الابقاء على التسمية التاريخية والاثارية للعراق، (بلاد مابين الرافدين) كما يعلم الاثار. والا فان الاجدر بنا ان نستخدم تسمية (العراق) بدلاً من (وادي الرافدين) او (ميزوبوتاميا) Mesopotamie كما جاءت الينا في لفظها اليوناني اطلقه عليه اليونانيون، على حالها، لانها تسمية إصطلاحية، لها مناخها الخاص

[الالهي / الانساني] : اي منزلة جلجامش من انكيدو ، فكانهما بدروهما يمثلان معنى الانفس والاخسن] . ان وحدة الكائن الخليقي [الحيواني / النباتي] او صورة الماعز الجبلي بقرنيه الطويلين والذي يذكرنا بامواج المياه وبذنبه الذي يمثل سنابل الحقل[٧] هو دونما شك (اندماج) ذوباني لا خليطي ، يتاصل فيه معنى النبات في الحيوان [ربما هي وحدة التصور الرعوي في طوايا العالم النباتي ، اي الزراعي Cultivated Plants .] فاذا كان الامر كذلك فهو اذن (معاصرة) و (آنية)[٨] مكانية Spaciel Sy nchrony/ عند تخلق وجود الرمز الرعوي الذكري بالزراعي الانثوي[٩] ، وهذا ما يوازي معنى تداخل ذهنية العصر الحجري الوسيط بذهنية العصر الحجري الحديث ، او بالاحرى مدى تداخل معنى الرعي بمعنى الزراعة . ولكنه بلا شك كان يمثل ايضاً عملية تواصل لغوي بصيغته الايروتيكية ، اعني تزاوج عصرين ثقافيين وكيانين ذهنيين يعتمدان على ثوابت اقتصادية [= التقاء انتماء الانسان . الى الطبيعة المانحة والاقتصاد الاستهلاكي شبه الانتاجي ، بالثقافة الانسانية المنتجة والاقتصاد الانتاجي][١٠]. ان شخصية انكيدو وهي في (ازلها) الخليقي تؤشر لنا هذا الكمون الموتي في العصر الحجري الوسيط . فكان تآلفه مع الحيوان يرسم لنا مدى حاجته (للعصا السحرية) المستعاض عنها من قبله بمعاشرته اياها عند ارتباطه بعشب الارض وبقلها ومياه امطارها وغدرانها . ولكنها ايضاً سترتبط فيما بعد هذا (الازل) بالعصر الحجري الحديث : بثقافة الانسان . ومادمنا عند معنى الاندماج بين ذهنيتين تمثل لها رموزاً ماورائية (او بالاحرى قبلية Aorlorl) بالنسبة لشخصية انكيدو ، فنستطيع ان نقول : ان هذا الاندماج [الذوباني] في رسوم دور العبيد سبقه بلا شك تعايش [خليطي] في رسوم دور سامراء وما قبل ، لكلا العنصرين الحيواني والنباتي او الحيواني / الحشري ، وهذا ما توضحه رسوم فخاريات الدور الذي يصنع الرسوم الحيوانية والنباتية جنباً الى جنب ، او انه يفرد لكلا العنصرين في عدة مصنفات مستقلة . ولكن جرة من جرار « عصر العبيد من بداية الالف الرابع ق . م وجدت في تبه كورا »[١١] تعلن لنا عن هذا الوجود الذوباني متمثلاً في تجاور عدة حقول تشخيصية من الرسوم [واهمها الحقل الذي يجمع مابين مشهد الحيوان والاشكال المثلثة (لعلها تمثل الجبال او الاكواخ) ، والشكل المتموج « رمز الماء والحركة » تتفرع منه خطوط مستقيمة [لعلة حشرة ام اربع واربعين او النهر منظوراً من مسقط خرائطي)] . فاذا ما حللنا الرسوم الفخارية من دور سامراء اتضح لنا بصورة اكيدة مدى إنطواء الرسوم الهندسية الزخرفية على عناصر لرسوم تشخيصية ، حيث الرسوم الهندسية تمثل الفكر الزراعي والتشخيصية تمثل الفكر ما قبل الزراعي [للعصر الحجري الوسيط وربما العصر الحجري القديم في شكل عقد متحجرة أو متبلورة] . ذلك ان [الترميز الاثنولوجي] لهذه الزخارف الان يحيلنا الى كثير من التفسيرات ذات الاصل المرتبط بالطبيعة لذاتها ... بالماء والمطر والحيوان والقمر الخ ... مثلما (يُؤوِّل) لنا تكامل الشكل على السطح التصويري La Surface Pictorale كارهاصات في الاشكال التخطيطية ، التي تكتسب معانيها الشكلية بواسطة التقاطع بين الخطوط او الحزوز المكررة كما هو معروف في الرسوم الزخرفية لدور حسونة في الالف السابع ق . م . وفي جميع الاحوال فان الرسوم الزخرفية ذات القوام الهندسي لهذا الدور والدور الذي يليه [تستبطن] الملامح التشخيصية فكانها معنى [الذوبان] لما بين الفكر المؤوَّل والمؤوِّل (بالكسر) ، عبر الحيوان والنبات الى جانب معنى [الخليط] ، وذلك حينما تتجاوز مجموعة من الوحدات بكياناتها كذوبانات لكلا العنصرين ، وما منزلة الحيوان من النبات سوى منزلة الانسان من الحيوان . وهو ما سيتضح في دور العبيد وما بعده في عصر فجر السلالات .

فعلى سبيل المثال ، ذانكما الانائين من الفخار « المصبوغين ببرقشة هندسية رائعة من صناعة حلف (منتصف الالف الخامس ق . م ، وجدا في الاربجية) »[١٢]، انهما يمثلان ، كل على حدة ما نحن بسبيله فالاناء الاول يبين لنا بوضوح معنى اختزال اشكال حيوان الماعز الجبلي المرسوم على فخاريات دور سامراء كاربع حيوانات متكاملة المظهر . اقول : اختزالها في هيئة اربعة اشكال شبه مثلثة تنطوي على التجريد والتشخيص معاً من خلال الشكل المثلث بحيث يتكون احد اضلاعه من خط منحني وليس من خط مستقيم . ان هذه الاشكال تقع في القسم الوسطي من الاناء بحيث تلتقي زواياه العمودية في مربع تحيط به الاشكال الدائرية (رمز القمر) . اما الحلقات المحيطة بوسط الاناء وهي تربو على العشرين حلقة ففيها يتناوب رمزان اساسيان يمثلان معنى الماء هما (الموجة المائية) و (قطرات المطر) . وهكذا فان في هذا الاناء الاول تبدو [الوحدات الذرية] فيه وهي الممثلة لـ [انكيدو] وكانها تستقصي ، لا في اتحاد الانسان بالحيوان بل في اتحاد الشكل الهندسي بالشكل ما قبل الهندسي . [لعل الشكل الهندسي في تجريديته يحقق الذهنية في نزوعها نحو الالهة . فهو جانب من جلجامش في حين تظل رموز الطبيعة مقتصرة على انكيدو . اما في الاناء الثاني فنحن ازاء (زهرة) بتويجاتها وقلبها ، تتوسط الانية ، وهي محاطة بعدة حلقات تحتوي على زهور اخرى رباعية التويجات فهي اقرب الى ان تعني جلجامش من أن تعني انكيدو .

على ان الملامح الميثولوجية لانكيدو ، على الرغم من ان وحداتها الذرية تكمن في العلاقة ما بين العالمين الحيواني

والنباتي ، اي بين وحدتين تمثلان الطبيعة لا الاسطورة فهي تتضح شيئاً فشيئاً كلما توغلنا في العصر السومري . ففي حدود خمسمائة عام [٢٩٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق ٠م] كان على شخصية انكيدو ان تتبوأ منزلتها في الاختام الاسطوانية والنحت البارز والوسم والشعر الديني بشكل او بآخر . فهناك مثلًا بعض البدايات الاولى ، التي لا تزال [تعايش] او توالف مابين الحيوان والنبات كما في « قدح من رخام رمادي اللون نقش ظاهره نقشاً بارزاً بمنظر يمثل خمسة ثيران وسنابل وجد في أور ويقدر زمنه من بداية الالف الثالث قبل الميلاد . »[١٣] ذلك اننا عند تأملنا النحوت البارزة على سطحه لا نستطيع ان نحتوي الثور والسنبلة كلًا على حدة بل اننا ننظرهما معاً ، مما يرجح ان الغرض من نحتهما بهذه الهيئة هو الايحاء للمشاهد بكيانهما الموحد . وكذلك الامر بالنسبة لفخار ديالى القرمزي [١٤] والذي يتضمن على سطحه من بعض ما يتضمن من رسوم مشهد الماعز الجبلي الذي يلتوي قرناه كانهما موجتان ، وينتصب ذنبه بل يتدلى على شكل السنبلة . وهذه الانية التي نوهنا بها آنفاً هي « من تل اجرب برقم ٣٢٠٢٩ ـ ع ، ويقدر زمنها من بداية الالف الثالث ق ٠م)[١٥] .

اذن فان شخصية انكيدو تظل عبر العصور ويضمنها العصر السومري اكثر وضوحاً من ذي قبل . فهي سليلة الفكر الرعوي الصائر لان يصبح فكراً زراعياً . ذلك ان صلته العريقة بالارض ترشحه لان يكون ممثلًا للاله (انكى] او [أيا] اكثر من [آنو][١٥] فهو اقرب الى إله الارض والماء منه الى إله السماء . ومن هنا معنى تجذره بالتصوف اكثر من التفقه . واذا كان ايقاعه ايقاعاً سكونياً لانه يمثل معنى [الصمت][١٦] لا الكلام وينتسب الى الطبيعة لا الانسان فان وجوده في صميم الكيان الاسطوري يمنحه دونما ريب حق الايغال ماوراء الزمان والمكان معاً . فلنتعرف على وجوده الاسطوري ، اذن ، من خلال هذا الكيان الثنائي بالذات

القسم الاول :

٢ / شخصية انكيدو في ملحمة جلجامش : يعتمد للالمام بمعنى الاسطورة في سياق التاريخ على ادراك علاقتها بالاثنولوجيا . فهي ، اي الاسطورة ، مهما ظلت نوعاً من « التفريغ لمشاعر حقيقية . ولكنها مكبوتة (في الميثولوجيا)[١٧] فانها تظل جزءاً منها . ومع ذلك فان الاسطورة توجد ايضاً « ضمن اللغة و ورائها في آنٍ واحدٍ معاً . »[١٨] بل انها توجد كذلك او انها لاتتألف من مجموع رواياتها المختلفة . »[١٩] . والواقع ان مثل هذا الفهم يبقى هاجسنا في انتساب الاسطورة الى الاثنولوجيا ، لانها تبدو بمثابة الجملة او العبارة من الكلمة والكلمة من الابجديات اللغوية . فكما ان الكلام لا يحيى دونما نظام لغوي معين ، كان يكون للخطاب العربي اصوله في الابجدية العربية ، فكذلك الاسطورة ، اذ لا يمكننا التعرف عليها دونما معرفة مسبقة بالمناخ الاثنولوجي الذي نشأت فيه . على ان هذا المناخ نفسه ، اذا ما حاولنا ان نصفه فسنجده يعتمد ايضاً على شعورنا الانساني (بالعلاقة) المتكونة فيه بين الزمان والمكان من جهة والجزء والكل من جهة اخرى . فاذا تم لنا ذلك على ما يرام امكننا ان نُمسك بمعنى الاسطورة بل بمغزاها وفي اصغر شكل ممكن . هنا سيبدو لنا بغتة ان معنى الزمان والمكان يتمحور فيها وفي الذرى الاثنولوجية ، اي في تلك المساحة المكانية التي يختزل فيها الكل الى كل اصغر [مع ما سترتع فيه من اجزاء] او في (اللحظة ـ الهباءة) معاً . فحيلئذٍ، سينبثق فينا معنى الاسطورة مرة واحدة .. كلحظة صحو ذهني فريدة . ومن هنا ايضاً فان الاسطورة وقتئذ هي بمثابة (الذروة) او القمة من السفوح الجبلية . فالسفوح تبقى متعددة ولكن القمة واحدة . او ان لكل سفح زمانه ومكانه اما الذروة فليس لها زمان ومكان . فهنا هو ما يحدو بنا الى تحديد كيان انكيدو في ملحمة جلجامش او اسطورة جلجامش بكونه (تكوينا) متجاوزاً حدود (الواقعة) التاريخية للاسطورة . او ان علينا ان نتبين منزلته في قمة الجبل بلا . . سفوحه ، وبالضبط منزلته في مساحة الذروة وخامتها او نسيجها الاثنولوجي ، هو الاسطوري قلباً وقالباً .

والان .

لنبدأ بتحليل ملحمة جلجامش لنتعرف على شخصيته فيها ، او لنبدأ بتحديد (انكيدو) في سياق الاسطورة ، كتمهيد لاكتشاف ملامحه في التصوف الاسلامي ، باكتشافنا محوري الملحمة التعاقبي والاني .

أ ـ ان المحور التعاقبي Diachronic

يصوره لنا فيها منذ البداية كمخلوق خليقي Creature . فهو يولد ويعيش في البرية مع الحيوانات ، يألفها وتألفه . ذلك ان الاله آنو لما استمع الى شكوى سكان ارك استنجد هؤلاء من بعده بالالهة اورور : « يا ارورو (العظيمة) انت التي خلقت هذا الرجل (يعني جلجامش) بامر انليل فاخلقي الان غريماً له يضارعه في قوة اللب والعزم . وليكونا في صراع مستديم لتنال اوروك السلام والراحة . حالما سمعت اورورو ذلك تصورت في لبها صورة لانو ، وغسلت ارورو يديها واخذت قبضة من طين ورمتها في البرية وفي البرية خلقت انكيدو الصنديد ، نسل ننورتا القوي »[٢٠]

وبعد ان خلقت الالهة انكيدو اصبح « لا يعرف الناس ولا البلاد . يلبس لباساً مثل [سموقان] (اي الماشية كما يرد في حاشية النص الاسطوري المعد] ، ومع الظباء يأكل العشب . ويستقي مع الحيوان موارد الماء ، ويطيب لبه عند ضجيج الحيوان في مورد الماء »[٢١] وهكذا فانّ انكيدو في هذه المرحلة

الاول من تاريخه الشخصي الاسطوري هو كائن خليقي ، يتعايش مع الحيوانات فكأنه واحد منها بل انه ليعادي الانسان الذي يصطاد الحيوانات : « لقد ذعرت منه فلم اقو على الاقتراب منه (هذا القول لصياد التقاه انكيدو عند مورد الماء) . ملأ الاوجار التي حفرتها وقلع شباكي التي نصبت ، فجعل الصيد وحيوان البر تفلت من يدي . لقد حرمني من القنص في البرية » .(٢٢)

تلك هي المرحلة الاولى من مراحل حياته . ولكننا نجده في المرحلة الثانية متحولاً (او متطوراً) الى مخلوق انساني اسطوري ، ليصبح نداً لجلجامش بعد ان يتعرف على المرأة : « فانجذب اليها اي الى البغي شمخة ، وهي التي امر جلجامش الصياد مستدرجاً بها انكيدو) . وتعلّق بها . »(٢٣) ويحدثنا النص ان تحولاً جوهرياً طرأ عليه بعد هذا التحول ، فهو الان كائن انساني وليس كائناً خليقياً لانه لم يعد يأنس الى الحيوان : « كلمت البغي انكيدو وقالت له صرت تحوز على الحكمة يا انكيدو مثل اله ، فعلامَ ، تتجول في الصحراء مع الحيوان . ؟ »(٢٤) بل ان هذا التحول في شخصيته سيقابله رد فعل في الطرف المقابل اي في سلوك الحيوانات ازاءه : « فما ان رأت الظباء انكيدو حتى ولت هاربة وهرب من قربه حيوان الصحراء . هم انكيدو ان يلحق بها ولكن وهنت قواه . خذلته ركبتاه لما اراد اللحاق بحيواناته . اضحى انكيدو خائر القوى لا يستطيع العدو كما كان يفعل من قبل ، ولكنه صار فطناً واسع الحس والفهم . »(٢٥) ونحن نستطيع ان نحدس في هذا كله انه لم يعد منسجماً مع النسق الخليقي لانه اصبح موجهاً اهتمامه لقواه الانسانية الصرف . (لنقل انه اصبح اقل انفتاحاً ازاء الطاقات الكونية وان الدائرة الذهنية التي كان مكرساً لارتيادها اصبحت اقل شمولية) وها هوذا قد عاد (تابعاً) في خصوصية نوعه البشري عبر قواه العقلية والحسية والشعورية في حين تخلى ، كما يبدو ، عن طاقاته الحدسية وقدراته الغيبية مما كان يتيح له التفاهم مع سواه من الكائنات وخاصة الحيوانات . فلقد اضحى في قطيعة واياهم . بل ان مارافق هذا التحول تحول فسيولوجي آخر . اذ غدا اقل احتمالاً للعدو او الجري كما تجري الظباء وغزلان البر وربما ايضاً اقل حدة في البصر والشم ، وهو ما تمتاز به بعض الحيوانات ، مثل الخيول او الكلاب ، عن البشر .(٢٦)

مهما يكن من امر ، فان انكيدو في المرحلة الثانية من تاريخه الشخصي في الاسطورة اصبح كما يبدو كائناً بشرياً ، الا انه لم يعد ليتمتع بقواه الغيبية سوى ان يستبدل صداقته للحيوان بصداقته لجلجامش . فكأنه في استبداله لقواه الغيبية الخليقية تلك كان يعوض عنها بقوى اخرى غير مباشرة ، وهي ما يتمتع به صديقه جلجامش من (نسل) إلهي . (بعد ان يلتقي به كغريم ثم كصديق) . لقد استطاع ان يتجاوز (دور مراهقته) عبر منحنى سيرورته . ولسوف يتبع اكتمال رجولته الانسانية بعد صراعه (الايروتوكي) مع المرأة صراعه [التدميري] مع الرجل [انه بلا شك (الازل المعكوس) للصراع التقليدي والطقسي لانتخاب الشخصية الدموزية] .(٢٧) وهكذا كان التقاء انكيدو جلجامش نهاية سيرورته الخليقية الاولى (سيرورته الثانية ستتم بان يصبح اهلاً لمنازلة ثور السماء) . ومعنى هذا اللقاء لجلجامش انه لو كان قد انتصر عليه لتحول نهائياً عن شخصيته الصوفية الى كائن عقائدي (الى صاحب دعوة) ، ولكنه لم ينتصر ، وهذا ما حفظه وابقاه على هويته رغمه في نفس الوقت الى مستوى جديد من المعرفة الخليقية .

او بعبارة اخرى ان تحوله نحو الانساني ، هو الخليقي ، كان قد اكسبه معرفة جديدة رفعت من نزعته الخليقية عبر نزعته الانسانية . او ان (موت) انكيدو الخليقي هو (الحياة) الجديدة له في مستواه الثاني . والواقع انه وهو الكائن الاسطوري سيظل اسطورياً من جديد [سوف يتكرر ذلك ثلاث مرات على الاقل في الملحمة وهذا ما يوازي معنى مرحلة الشريعة والطريقة والحقيقة في التصوف الاسلامي] .(٢٨) ومن هنا نستطيع ان نؤول الى حدٍ ما شخصية انكيدو في مستوياتها الثلاث باعتبارها شخصية صوفية . وهي كما يأتي :

١ ـ شخصيته ككائن خليقي يتخاطب مع الحيوان (وهو موضوع بحثنا)
٢ ـ شخصيته ككائن انساني يغامر مع جلجامش حتى يموت
٣ ـ شخصيته ككائن شبحي يتقمص جلجامش في رحلته [اي زيارة جلجامش جده اوتونابشتم ثم موته بعد ان يُسرق منه سر خلوده] ولعل شخصيته كانت تتخلل اسطورة الطوفان التي ذكرها اوتونابشتم وانبأ بها جلجامش . فلم لا نبحث عن انكيدو في كل ركاب السفينة (من كل زوجين اثنين) ، مثلما نبحث عن جلجامش في شخصية اوتونابشتم ؟

اذن فما ينبؤنا به تحليلنا للمحور التعاقبي في اسطورة جلجامش هو ان (حضور) انكيدو فيها كان حضوراً ديناميكياً . او انه على الاقل (تقلب) في ثلاثة مستويات كما يتقلب الصوفي معرفياً في (مقاماته) لا (احواله) بيد اننا سندرك ان (عروجه) في مقامه الاول : مقام التوبة هو الذي كان يرشحه دوماً لاكتشاف (مقامه في حاله) او (حاله في مقامه) وهو ما كان يضمن له كما يبدو كيانه الخليقي .(٢٩)

على اية حال فلا زلنا عند وصفنا تحوله الخليقي الانساني اي تمرحله في الطبقة الاولى . نقول اذن : اضحى موته الخليقي الاول [بل كان سيتحقق للمرة الاولى] في تعرفه على المرأة . [واني لاجد في نهاية هذه المرحلة من وجوده معنى ولادته التي خلف فيها شهور مرحلته الجنينية ماوراءه . فكان

عشرته مع الحيوان هي نفسها حياة الانسان الجنينية . تلك التي (يتخلق) فيها الانسان بعد ان يمر خلال وجوده (الشرنقي) بكل مراحل التطور الخليقي ، من الاميبا او الحيوان ذي الحجيرة الاحادية التكوين الى الانسان اكمل المخلوقات][30] ، بعد ان اصبح غريباً على الحيوانات ، اما اندحاره امام جلجامش فقد اعاده الى تلك الطبيعة من جديد ، كما نوهنا بذلك سابقاً . وتصف لنا الاسطورة كلّ هذا بالشكل الاتي :

« اجتمع البطلان ، انكيدو وجلجامش في اوروك . فوقف انكيدو في مدخل المدينة ، وتصدى له جلجامش ليمنعه . فنشب صراع دامي اهتز له الجدار . وبعد مقاومة عنيفة صرع جلجامش انكيدو وطرحه ارضاً . ولما هدأ روع جلجامش جاء انكيدو واعترف بقوته وعظمته . ثم اعتنق البطلان كلاهما وثبت بين الاثنين محبة قوية »[31] او كما هو مذكور في النص تماماً :

« ولما هيء الفراش لـ (اشخارا)
واقترب جلجامش ليتصل بالالهة
وقف انكيدو في الدرب ، يسد الطريق بوجهه .
رأى جلجامش انكيدو الهائج
الذي ولد في البادية ويجلل رأسه الشعر الطويل
فانقض عليه وهاجمه
تلاقيا في موضع سوق البلاد
سد انكيدو باب بيت العرائس بقدميه
ومنع جلجامش من الدخول الى الفراش
امسك احدهما بالاخر وهما متمرسان بالصراع
وتصارعا وخارا خوار ثورين وحشيين .
حطما عمود الباب وارتج الجدار
وظل جلجامش وانكيدو متماسكين يتصارعان كالثورين الوحشيين
وحينما انثنى جلجامش وقدمه ثابتة في الارض
هدأت سورة غضبه واستدار ليمضي
ولما هدأ غضبه كلمه انكيدو وقال له :
انك الرجل الاوحد ، انت الذي ولدتك امك .
ولدتك امك ننسون ، البقرة الوحشية المقدسة
ورفع انليل رأسك عالياً على الناس
وقدر اليك الملوكية على البشر . »[32]

نحن الان في سياق المحور التعاقبي هذا نلمح بين آونة واخرى تكون نفس العلاقات في اجزاء الاسطورة . كما في طبيعة التكامل الايروتيكي حينما يجتمع نقيضان ويلتقيا التقاء العنصر السالب بالموجب [التقاء الحيوان والنبات (او الثور والسنبلة) كما في الاناء والنذرى السومري[33] او الماعز ونبته المكون من السنبلة كما في بعض مواضيع فخار ديالى القرمزي[34] و هو في الاسطورة التقاء انكيدو بالمرأة في مطلع المرحلة الثانية منها وكما سيحدث ايضاً في مجابهة انكيدو لثور السماء او البديل للآلهة عشتار الهة الحب والحرب . وهكذا يصبح تحليلنا الاني للملحمة (او الاسطورة) بمثابة اكتشاف مثل هذه (الذرى) .

ب ـ المحور الاني

يبدو لنا هذا المحور بوضوح اثناء ايغالنا في رصد تحولات انكيدو المتعاقبة بحيث يتحقق في عدة (ذرى) تتكرربمظاهرها او [بجلودها] عدد المرات التي يرتفع فيها انكيدو من مستوى الى مستوى آخر . وهذه الذرى هي :

١ ـ موضوع الولادة او تمرس الآله الخالق بخلق انكيدو
٢ ـ موضوع الانتماء للمجتمع (التآلف مع الانسان بدلاً من الحيوان)
٣ ـ موضوع تكامل العنصرين الذكري والانثوي
٤ ـ موضوع التجانس المتماثل او الصراع
٥ ـ موضوع الموت او الفناء وهو الذي يتم فيه التحول بالذات .

وما دمنا بصدد العلاقة بين انكيدو والتصوف الاسلامي من حيث معايشة الانسان للحيوان او اكتشاف شخصية انكيدو الخليقي في المرحلة استطاع فيها الصوفي المسلم ان يعبر عن نزعته الخليقية [تخاطبه مع المحيط الخليقي من حجر ومدر وحيوان ونبات الخ ..] فان ملاحظتنا الان ستعنى باكتشاف شخصيته تلك في (ذراها) المتجردة . وستشهد نوعاً جيداً من الالفة بين الانسان وسواه ، تلك التي مر بها انكيدو مع حيوانات البر قبل تعرفه على المرأة . ولكن الالفة هذه المرة ستكون بين انسان ثلثاه من الالهة وثلثه من البشر . هو جلجامش وانسان آخر ربما كان ثلثاه من البشر وثلثه من الحيوان هو انكيدو .[35]

ولنقل ان هذا التبادل بين جلجامش الذي يتقمص انكيدو و انكيدو الذي يتقمص جلجامش سيؤكد القيمة الانسانية بالذات بحيث ينتج عن ذلك الانسان الكامل* [= ثلث من جلجامش وثلثان من انكيدو] ازاء الكائن الانساني [= ثلثان من الاله وثلث من الحيوان] ربما كان هذا الكائن هو خمبابا بالذات او قوى المخلوقات الشريرة ، وثور السماء ايضاً ، وهذا هو بالضبط ما تسرده الاسطورة نفسها بالرحلة التي قام بها كل من جلجامش وانكيدو الصديقان .

على ان من الملفت للنظر هنا هو تجدد صورة الشر وفق المحور العمودي للملحمة . فقد كان يتم في المرحلة الاولى او المرحلة الخليقية من خلال تلك الشرور التي يلحقها الانسان الصائد بالحيوانات اما الان فهي (خمبابا) بالذات . كما ان من الصور المتجددة ايضاً صورة (التعرف على المرأة) ، فهي في هذه المرحلة الجديدة (الالهة عشتار) او اينانا وليست البغي شمخة كما كانت في المرحلة الاولى . [بما ان الصراع الايروتيكي لكل من جلجامش وانكيدو اللذين يمثلان معاً الانسان الكامل

مع المرأة . فهي الان بصورتها اللا - انسانية ستتآلف من الالهة زائداً الحيوان الالهه اي من الاتحاد الكائن مابين الالهة عشتار وحليفها ثور السماء] وبعبارة اخرى نقول : ان جلجامش المتقمص لانسانية انكيدو الحيوانية [= شخصيته الخليقية] سوف يرفض الزواج من عشتار ذات الطبيعة الالهية في الوقت الذي يقبل به انكيدو ، المتقمص لانسانية جلجامش الالهية ، الصراع مع ثور السماء . فكأنه في مثل هذه الايجابية الانسانية لمقارعة ما هو الهي كان (متجاوزاً) بطبيعته او ناشياً لسر الهي ناله اكتساباً . وهكذا سيكون نتيجة هذا (التعارض) بين الاصالة الالهية والاصالة الحيوانية (الفاحم) ، اي فناء الشاطح : موته . وهكذا يموت انكيدو بمشيئة الالهة . ولنتأمل فحوى الصراع منذ بدايته : « فطارد انكيدو ثور السماء ليمسك به . ومسك به من ذيله وضبطه بكلتا يديه . وجلجامش ، مثل قصاب ماهر . طعن الثور السماوي طعنة قاتلة ، وغرس حسامه مابين السنام والقرنين [ما اشبه هذه الصورة بمشهد من مصارعة الثيران في اسبانيا ؟] وبعد ان اجهزا على الثور السماوي واقتلعا قلبه وقرباه الى الاله شمش ، وسجدا له قعد الاخوان واستراحا ».[36] اذن فان مقتل الثور هو مشهد لصيغة (فوق - انسانية) لمعنى الزواج والميلاد الجديد لكل من جلجامش وانكيدو . اي ان هذا (الموت) الحاسم لانكيدو [اي موته الصوفي كمنتصر وهو ما يلقّيه كمتهور لان القهر هو ما يحقق تسامي الروح] اصبح الان الموت الحاسم لجلجامش .. جلجامش الكائن المنتصر ابداً كانسان ، اذ سرعان ما يستبطن في ذاته انكيدو بحثاً عن الخلود .. سيحزن لموت صديقه ، وسيدافع عن قيمه الانكيدوية طوال رحلته الى جده اتونبشتم . « لانهما قتلا ثور السماوي وقتلا خمبابا فينبغي ان يموت ذلك الذي اقتطع اشجار الارز »[37] : هذا ما خاطب به الاله آنو الاله انليل (او ماخاطب به اله السماء اله الارض) لكن انليل سيجيبه : « ان انكيدو هو الذي سيموت وجلجامش لن يموت »[38] وسنفهم بعد حوار مقتضب بينهما ان موت (الانسان الكامل) اي الوحدة الصداقية ما بين جلجامش وانكيدو ستتصدع تماماً . سيموت انكيدو ويعود جلجامش الى نفسه وقد تلبس* به انكيدو .. او لنقل شبح انكيدو فلو نحن تأملنا هذه السيرة المتكاملة في معنى (الموت) بضوء مقولة الحسين بن منصور الحلاج لادراكنا مغزى (النسخ) الصوفي في شخصية انكيدو او في صورتها السلبية (اي شخصية جلجامش) : يقول الحلاج :

« حجبهم بالاسم فعاشوا ولو ابرز لهم علوم القدرة لطاشوا
ولو كشف لهم عن الحقيقة لماتوا »[39]

وهكذا . (حجب) انكيدو في ازله الخليقي اولًا ثم اصبح (طائشاً) في مرحلة (الانسان الكامل) ثم مات اخيراً (كفانٍ) في المرحلة الثالثة من الاسطورة وهي مرحلة سفر جلجامش للقاء جده اتونابشتم .[40]

اذن سيستأنف جلجامش مسيرة انكيدو بعد موته ، سيصبح بدلًا عنه بعد فنائه .[41] الا اننا وقد توخينا تحليل شخصية انكيدو في الاسطورة وخاصة بما يتعلق بالمرحلة الخليقية له فسينتهي بنا الامر الى استقصاء (بذور) التصوف في هذه الشخصية . فهي واضحة في (سحنته) الفيزيقية المتجذرة في (الطبيعة) وليس في (ما وراء الطبيعة) كما هو شأن جلجامش . او انها تقترب مع معنى التصوف العام من حيث تأصله في ثقافة الانسان المتأصل لمعنى وجوده في الطبيعة كما ظهر في الذهنية الاسيوية وفي القارة الهندية بالذات . الا ان تصوف انكيدو يبدو لنا ممثلًا الذهنية الرعوية [لا المنبثقة عن ثقافة انسان (النبات الطبيعي) ولا الانسان الزارع على السواء .] ومعنى هذا ان موقفه (الخطابي) من الحيوان بالذات ينبثق من معنى (الوعي) كحرفة تحاول ان (تستنطق) قوى الطبيعة (كحالة) تجمع ما بين (الطبع) و (التطبيع) معاً . او ان الايقاع العام لهذه الحالة يعتمد على تعبئة الموقف الانساني من حيث وجوده الفطري لا التصدي ، مثلما تعتمد على (معايشة) الحيوانات (كقوى) يستطاع (احتلابها) او رعايتها لتتجاوب مع الانسان دونما تسلط تام من قبله (وهو ما يميزه عن موقف الانسان الصائد كمتسلط على الحيوان ليقتات بلحمه) . ان فلسفة الحياة الرعوية هي المسؤولة عن ظهور التصوف الانساني في حالة (خطاب) لما بين الكائنات الخليقية .[42]

الهوامش

(١) يرد في كتب الجغرافية الطبيعية ان « المقصود بالنبات الطبيعي الغطاء الطبيعي كانواع النباتات والاعشاب التي تنمو من تلقاء نفسها على سطح الارض والتي كانت موجودة في جهات كثيرة في الماضي قبل ان يقطع الانسان الاشجار من الغابات ويزيل العشب من مساحات واسعة بقصد زراعة الغلات النافعة . ولذلك كان من من المهم ان نميز بين النباتات الطبيعية Vegetation والنباتات المزروعة Cultivated P.

(٢) يرد ذكر انكيدو في ملحمة كلكامش « المصدر السابق » وغسلت أرورو يديها وأخذت قبضة من طين ورمتها في البرية . وفي البرية خلقت انكيدو ص ٥٥ .

(٣) يرد في اسطورة جلجامش (ملحمة جلجامش) اعداد طه باقر في وصف جلجامش « كان طوله احد عشر ذراعاً وعرض صدره تسعة اشبار ، ثلثان منه اله وثلثه الاخر بشر » ص ١٥٢ . اما انكيدو فانه يصور عادة على الاختام الاسطوانية بشكل (الانسان / الثور) كناية عن انتصاره للحيوان في حمايته من

الاسد ، بينما يرى د . صبحي رشيد في كتابة تاريخ الفن في العراق القديم (جـ ١) (فن الاختام الاسطوانية) ان « من فكرة الحماية (اي حماية الانسان للحيوانات الاليفة) ظهر الحيوان المركب (الانسان / الثور) الذي يجمع في الغالب بين فكرة البطل الحامي وبين الحيوان المقدس) ص ٤٢ . وعلى كل حال فان انكيدو قد صور من قبل السومريين في اختامهم بالمره [بشكل (انسان / ثور)] فانه قياساً بتكوين جلجامش (ثلثا من الانسان وثلثين من الالهة) فسيكون تكوين انكيدو ، وهو الشبيه بجلجامش بحكم عملية خلقية هكذا وذلك لانه المفترض ان يكون شبيهاً بجلجامش ، اقول : ان تكوين انكيدو لابد ان يكون (ثلثا من الحيوان وثلثين من الانسان) وهذا ماسوغ لنا ان نرجع صورة (الانسان / الثور) في الاختام الاسطوانية السومرية وبالتالي الاكدية لانها تمثل (انكيدو) بالذات . « واخذت قبضة من طين ورمتها في البرية . وفي البرية خلقت انكيدو » ص ٥٥

(٤) استخدمنا مصطلح « وحدة الوجود الخليقي » مستنطقين المصطلح الصوفي المعروف بـ « وحدة الوجوه » كناية عن التقاء كل ما خلقه الله تعالى من الحجر والمدر ، الناس والحيوانات والنباتات مما يعرف بذوات الارواح ، ومن الجمادات من غير ذوات الارواح . وهذا المصطلح كما يدل عليه معناه يعني التقاء كل الموجودات في نقطة واحدة هي (الذرة) : اصغر الوحدات التي يتالف من التئامها الغلاف المادي ، او الظاهرة المادية للمخلوقات ، ولكنه (اي المصطلح) يدل ايضاً على ان (الخليقة) Creation مدلول اعم من مدلوله (الانسانية) Humanity . او ان الانسان هو جزء من نوع عام هي المخلوقات الحية او ذات الكيان المادي والذي يقابل نوعاً آخر هي المخلوقات الثلجية الوجود او الروحية ، اي ذات الكيان الاثيري .

(٥) هذه الادوار المارة الذكر هي التي اختصرت فيها العلامة على وحدة الوجود الخليقي اي التي تدل على التركيب لاالتصوير (= وحدة اجزاء المنظومة) .

(٦) ربما ارتبطت هذه العلاقة بين [الظاهر والباطن] من جهة وبين [الانفس والاخس] من جهة اخرى بطبيعة العلاقة بين [العلوي والسفلي] في الفيض الافلاطوني « قال افلاطون : وكما تفاضلت الاجرام السفلية ونقص تفاوت بعضها - كذلك كانت الاجرام العلوية » [راجع كتاب الافلاطونية المحدثة عند العرب : تنصيص وتحقيق د . عبد الرحمن بدوي ، ١٩٧٧ (الرابوع الرابع ترجمة اسطوميناس وهو الكتاب الاول من الرابوع الرابع من ارابيع افلاطون) / ص ٢٠٧ . الا انها كما يبدو تتجذر في الفكر العراقي القديم من خلال معنى الخلق مابين جلجامش (ثلثاه من الالهة وثلث من البشر) وانكيدو [الكائن الخليقي والذي طالما صور في الاختام الاسطوانية على شكل (انسان / حيوان)] معاً . اما في الفكر الاسلامي ، فان علاقة [الانفس بالاخس] تطورت لدى ابن سينا ثم السهروردي المقتول كما هو معروف في مؤلفاتهما .

(٧) يظهر هذا الشكل بوضوح في كاس سوسة الفخاري ، وهو من مواقع سوسة المعاصر لمكتشفات دور العبيد في مواقع العبيد في العراق (٤٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م) راجع كتاب كنوز المتحف العراقي للدكتور فرج صبحي / بغداد ١٩٧٢ / ص ١٩ .

(٨) استخدمنا مصطلح (آنية مكانية) لتوضيح معنى التوالقية Simultaneaiieme وتطويرها من كونها (طريقة في سرد الاحداث التي تقع في اماكن مختلفة من غير انتقال) الى كونها (موالفة) تزامنية ولكن في صيغة مكانية لنفس الاحداث .

(٩) راجع الفصلين الخاصين بالعصر الوسيط والعصر الحجري الحديث من ص ١٩ - ١٤٩) HERBERT KUHN : L'ASEENSION DE L'HUMAMILE . يرد في المصدر المذكور أنفاً « لقد احتلت الاسطورة محل السحر في الفكر الذي يؤمن بالتنجيم (تجمعات النجوم Constellation) والروح Ame والارواح Esprits والموت ، ففي هذا العالم تولد شيئاً فشيئاً مبدأ الشرك Polytheisme وتعدد الالهة . كما ان هذا المجمع Pantheon كان ما يتحكم لدى المزارعين Les Eultivatevr هي الالهة المؤنثة العظمى اما لدى الرعاة فكان ما يتحكم هو الالهة الذكرية » ص ٨٣

(١٠) الاقتصاد الاستهلاكي والاقتصاد الانتاجي من المصطلحات الواردة في كتاب الباحث المعروف ارنولد هاوزر : الفن والمجتمع عبر التاريخ (ترجمة د. فؤاد زكريا) . يرد في المصدر المذكور (جـ ١) : « ان تغير الاسلوب في العصر الحجري الجديد يرجع آخر الامر الى عاملين ، اولهما الانتقال من الاقتصاد الطفيلي الاستهلاكي البحت لدى المشتغلين بالصيد التقاط الغذاء الى الاقتصاد الانتاجي البناء لدى مربي الماشية وزارعي الارض وثانيهما الاستعاضة عن النظرة الواحدية التي يسودها السحر الى العالم بفلسفة حيوية الطبيعة ... » ص ٢٧

(١١) بصحجي ، فرج (الدكتور) : كنوز المتحف العراقي / راجع مجموعة المتحف العراقي من الاثار معروضة برقم (٣٣٤٨٨ - م ع) ص ٤٦٦ . اما فيما يتعلق بالأدوار الحضارية ومراحلها التاريخية فقد اعتمدنا على نفس المصدر في ترتيب الجدول الاتي :

العصر او الدور	المدى الزمني	العصر او الدور	المدى الزمني
١ - الحجري القديم	قبل ١٠٠ الف ق.م	دور حسونة	٥٨٠٠ - ٥١٠٠ ق.م
٢ - الحجري الوسيط	أكثر من ١٠٠٠٠ ق.م	دور سامراء	٥٠٠٠ ق.م
٣ - الحجري الحديث	من ١٠٠٠٠ ق.م	دور حلف	٤٩٠٠ - ٤٣٠٠ ق.م
٤ - دور جرمو	٦٢٠٠ - ٦٠٠٠ ق.م	دور اريدو / حاج محمد	النصف الثاني من الالف الخامس ق.م
٥ - دور الصوان	اوائل الالف السادس ق.م		

العصر او الدور	المدى الزمني	العصر او الدور	المدى الزمني
١٠- دور العبيد	٤٠٠٠- ٣٥٠٠ ق.م	زمن البدء بالكتابة	٣٢٠٠- ٣٠٠٠ ق.م
١١- دور الوركاء	٣٥٠٠- ٣١٠٠ ق.م	[البروتولتريت]	
		دور جمدت نصر	٣١٠٠ -. ٢٩٠٠ ق.م

(١٢) نفس المصدر السابق - راجع (ص ٤٢) ، (ص ٤٦٥)
(١٣) نفس المصدر السابق - راجع (ص ١٨٠) ، (ص ٤٦٦)
(١٤) فخار ديالى القرمزي ، تسمية تطلق على الفخار السومري المكتشف في مواقع اثرية تقع في محافظة ديالى كما في مواقع (تل اجرب) و (خفاجي) وسواهما . وهي تصف لنا للوهلة الاولى الالوان المستخدمة في صبغ الفخار الوان قرمزية على الاغلب .
(١٥) راجع كنوز المتحف العراقي للدكتور فرج بصمجي ص ٤٦٧ / رقم (٤٠)
(١٥ ب)- يرى د . صموئيل كريمر في كتابه من الواح سومر (ترجمة طه باقر) ان « أن - كي) هي كلمة مركبة تعني السماء - الارض) .. « ص ١٥٢
(١٦) يظل (الصمت) في المنظور اللغوي الجانب الاخر من اللغة المحكية . وهو جانب لغوي توليدي على كل حال . بل وسيميولوجي . وكان الصوفي المعروف الشيخ عبد القادر الجيلاني يتحدث في معنى الصمت في بعض مؤلفاته ومن ذلك قوله ، « سوء الادب عندي ، ولكن قواعده رخصة » وهو يعني بذلك ان الاحرى به ان (يصمت) فلا يعظ الخلق لولا ان الله عزوجل (رخصه) بذلك . راجع الفتح الرباني للشيخ عبد القادر الجيلاني .
(١٧) كلود ليفي شتراوس ، بنية الاساطير / وهو الفصل الثاني من كتاب [الانثروبولوجيا البنيوية البنائية] نقل النص مصطفى كمال / مجلة بيت الحكمة عدد (٤) السنة ١٩٨٧ / ص ٦٤
(١٨) نفس المصدر السابق ص ٦٩
(١٩) نفس المصدر السابق ص ٧٥
(٢٠) طه باقر : ملحمة جلجامش / بغداد ١٩٧١ / ص ٥٤ - ٥٥
(٢١) نفس المصدر السابق ص ٥٥
(٢٢) نفس المصدر السابق ص ٥٧
(٢٣) نفس المصدر السابق ص ٥٩
(٢٤) نفس المصدر السابق ص ٥٩
(٢٥) نفس المصدر السابق ص ٥٩
(٢٦) يرى كولن ولسن في كتابه (الانسان وقواه الخفية) - بيروت / ١٩٧٨ / ترجمة سامي خشبة « ان ما يسمى بالقوى السحرية انما هو جزء من هذا العالم الكامن الخفي او قدرات الحاسة السادسة او البصيرة الثانية والرؤية المسبقة والتواصل عن بعد والتنبؤ . وليست هذه القدرات هامة بالضرورة لتطورنا . ان اكثر الحيوانات تمتلكها . وما كان لنا ان نسمح لها بان تغرق لتختفي وراء ستار اهمال استخدامها لو انها كانت قدرات اساسية .
(٢٧) يعتبر الصراع بين الانداد من الذكور في موسم الخصوبة او بالاحرى بين المتبارين للفوز باحقية الزواج من آلهة الخصوبة لدى السومريين مدعاة انتخاب من يمثل شخصية تموز .

(٢٨) لابد لنا من الاشارة هنا ، ولو بصورة اولية ، الى ان هذا (الرفع) ذا الصفة العمودية لا الافقية ، يكاد ان يكون لازمة للذهنية او للثقافة الانسانية في الوطن العربي ، وربما تسرب ايضا الى الثقافات المجاورة . فهو كما يبدو القوام المنهجي للفكر كمعرفة . نلاحظ ذلك مثلاً في الفكر العراقي القديم . فهو من الناحية الدينية يؤمن بتعدد الالهة ولكنه يظل محافظاً على اعتبار الاله آنو [إله السماء ويمتلك سلطات تنسب الى ارواح الولادة والتكاثر] ثم الاله انليل [اله الريح] ثم الاله انكي [اله العالم السفلي ثم اصبح فيما بعد اله مياه الهاوية التي لا قرار لها التي رست عليها الارض] . الالهه الرئيسة او الكبرى .
بيد ان اولهم هو الاله انو فهم اذن الهة السماء والريح والارض / الماء او « انهم اقتسموا فيما بينهم السيادة على ثلاثة عناصر من العناصر الاربعة والعناصر الثلاثة هي الهواء والارض والماء هذا على الرغم من ان سيادة آنو على الهواء غير منازع فيها .
اما الماء فكانت هي الاخرى مقسمة بين نفس الالهة الثلاثة .
وكان طريق (انو) ينضوي تحت سموات انليل وايا » راجع جورج كونتينو :
الحياة اليومية في بلاد بابل واشور (ترجمة سليم طه التكريتي) ص ٤١٠ - ٤١٣ . كما نلاحظ ذلك ايضاً في تصورهم التشكيلي .
فان المثلث كان اول الاشكال المرسومة بواسطة الخطوط المتقاطعة (راجع رسوم دور حسونة) اما المربع والدائرة فقد ظهرا بعد هذا الدور في دور سامراء .
في حين سيؤكد العرفان الاسلامي عبر التصوف عن وجود ثلاثة مستويات للمعرفة وهي على التوالي معرفة العموم والخاصة وخاصة الخاصة .
راجع من مؤلفات ابي حامد الغزالي (الاربعين في اصول الدين) كذلك رسالة القشيري للقشيري ومدارج السالكين لابن قيم الجوزية . وغيرها من كتب التصوف

(٢٩) لابد لنا من التنويه هنا الى ان (المقام) في الفكر الصوفي في الاسلام يمثل الوجد او الانتشاء الروحي للمتعبد وهو في محوره التعاقبي . اما (الحال) State فيمثله في محوره الاني . في حين ان تقاطع كل من (المقام والحال) او المحورين التعاقبي والاني كان سيقدح (شرارة) الرؤية الكرامية للصوفي . ومن هنا فان معنى العروج او التسامي (= التحول من مستوى الى آخر وهو ما يمكننا ان ندعوه (بالتقلب) [اني اتقلب في علم الله كما يقول الكيلاني] هو ما ينعطف به حتماً الانتشار المقامي الافقي الى حركة (صعود / هبوط) عمودية ... اي الى (حال) متسامي . وما نقطة الانعطاف هذه سوى التوبة (اي التوبة كمقام والتوبة

كحال في نفس الوقت) وفي اعتقادي ان الوجود في لحظة البداية هذه هو نفسه ما كان يعبر عنه انكيدو في شخصيته الخليقية ، وما يمكن بدوره الصوفي المسلم من التخاطب مع الحجر والمدر والحيوان والنبات .

(٣٠) يرد في ملحمة جلجامش هذا المقطع : « ثم شقت لباسها شقين (يعني البغي التي تعرف عليها انكيدو) البسته بواحد منها واكتست بالثاني . وامسكت به من يده وقادته كما تفعل الام بطفلها » . راجع ملحمة جلجامش اعداد طه باقر / ص ٦٤ .

(٣١) د . كاظم الجنابي : مقدمة لدراسة اقدم ادب عرفه الانسان / القسم الاول في العراق / بغداد ١٩٥٧ / ص ٧٠ .

(٣٢) راجع ملحمة جلجامش المصدر السابق ص ٦٧ – ٦٩ .

(٣٣) راجع الحاشية رقم (١٣) وكذلك الرسم التوضيحي .

(٣٤) راجع الحاشية رقم (١٤) في الفصل نفسه .

(٣٥) يظل الجذر الثقافي لهذه النسبة كامن في معنى (الكائن المركب) حيث ان اقدم شاهد عليه هو (الماعز ـ وذنبه السنبلي) او (الثور والسنبلة) . كما سبق ان ذكرنا . الا ان مغزى هذا يكمن في وحدة الفكر الانتاجي لما بين الرعي والزراعة ، او الرمز الذكري والرمز الانثوي ، وربما الوحدة المؤلفة مابين الطبيعة والفكر ، ثم الاقتصاد الاستهلاكي والاقتصاد الانتاجي .

• المقصود بالانسان الكامل هو الصورة المثالية لانسانية جلجامش كبطل اما المصطلح كما هو المعروف في الفكر الاسيوي (غيومرث) او في فلسفة وحدة الوجود الصوفية فليس هو المقصود بالطبع .

(٣٦) طه باقر : ملحمة جلجامش (ص ٩١٣)

(٣٧) نفس المصدر السابق (ص ٩٧)

(٣٨) نفس المصدر السابق (ص ٩٧)

(٣٩) راجع اخبار الحلاج لابن انجب الساعي . تحقيق لويس ماسينيون وبول كراولس (ص ١١٢)

(٤٠) ان تحليل المقولة بالنسبة لشخصية جلجامش (او الصورة السلبية لانكيدو)

• ان معنى التلبس يختلف عن معنى التقمص . فالتلبس هنا بمعنى تقمص الروح او الوجود الشبحي للميت جسد الحي . اما التقمص فمعناه تقمص روح حي للحي الاخر فهو نوع من المعايشة بينهما سيكون كالاتي :

١ ـ جلجامش المتسلط (محجوب) عن المعنى الخليقي في نزعته الانسانية ـ الالهية ، اولاً

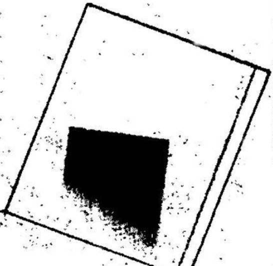
٢ ـ جلجامش بعد التقائه انكيدو (يطيش) في شخصية الانسان الكامل اي قتاله لخومبابا ثم ثور السماء .

٣ ـ جلجامش بعد موت انكيدو (يموت عن) المعنى الانساني في استحالته الى كائن صوفي [= رحلته الى جده اوتونابشتم ثم حصوله على سر الخلود واخيراً يأسه من الخلود بعد آن تسرقه الافعى هذا السر] .

(٤١) كان علينا ان نسترسل في استقصاء هذا المستوى الثالث من الاسطورة .

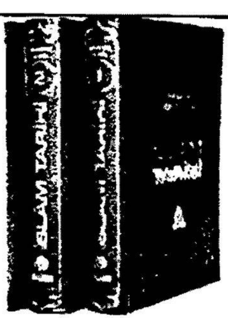
***

صدر حديثاً





بنية البند وأصوله الفنية



د . عباس مصطفى الصالحي

كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد

المقدمة

الشعر والنثر نوعان عريقان في تاريخنا الادبي ، تمتد أصولهما الى أعماق الزمن الجاهلي ، وما وصلنا منهما ناضجاً متكاملاً ، هو في حقيقته نتاج اجيال متعاقبة ، شهدت تجارب وتجارب ، واستقطرت خلاصاتها عبر مراحل لا ندري مداها ، فلغة كاملة بقواعدها ، عامرة بفنونها ، زاخرة بقيمها ، لا يعقل أن تكون حصيلة جيل أو جيلين ، او حتى ثلاثة أو اكثر ؛ إذ لا يقوى قرن أو قرنان على تهذيبها ، وأخراجها بهذا الكيان الرصين ،

ان المنطق يقودنا الى افتراض ـ وهو افتراض حقّ ـ أن اللغة العربية ، شانها شان كلّ اللغات الحية ، قد تنسمت الحياة شيئاً فشيئاً ، وقد كانت أوليتها بدائية ، ثم شرعت ، مع الزمن ، تتبنى حاجات القوم الكلامية ، ونمت مع تراكم تلك الحاجات ، ثم تفتقت فنونها ، وتبلورت قواعدها ، وتوضحت خصائصها ، وكان الشعر والنثر بأنواعهما .

فرضيات يقودنا اليها التأمل العقلي ، وما أدرانا فقد يكشف المستقبل القريب ، او البعيد أسرارا تجثم عليها الرمال ، فمن يستطيع سبر اعماق الارض ، وغير الارض ، ليكتشف كنوزها ، من نفط وغيره ، بامكانه أن يسلط أشعة أقماره الصناعية على الاثار المطمورة ، ويصور أطلالها المطمورة ، و يفضح ألغازها ، وساعتذاك سنقف او تقف أجيال تربتنا ، على الحلقات المفقودة في مسيرة تطور لغتنا ، وأدبنا ، وحضارتنا .

إنّ للشِعر ميدانه ، وللنثر مجاله ، منذ الجاهلية ، ولست بصدد الحديث عن أيهما أسبق في الظهور ، فهذا كلام موضعه غير هذا الموضع ، ولكننا نستطيع ان نتذكر نصاً مشهوراً ، ترافق فيه النثر والشعر في علاج موضوع واحد ، ذلك النص هو خطبة قس بن ساعدة الايادي ، وهي مشهورة لا حاجة الى تسجيلها ، ولقد احتفظ كل نوع منهما بكيانه ، وان تقاربا في السلاسة والايقاع .

ولكن الحدود بين النثر والشعر صارت بمرور الايام صارمة ، فضلاً عن الوزن ، كان لزاماً على الشاعر ان يختم كل بيت في القصيدة بحرف يكرره مع أبياتها كافة ، مهما طالت تلك القصيدة ، وعليه أيضاً شطر البيت الى صدر وعجز ، مع الاخذ بضرورة استقلال البيت بذاته ، ولكن الشعراء شرعوا يتطاولون على هذه القيود ، ليخففوا من حدّتها ، فكان البيت المدور نوعاً من التجاوز على تشطير البيت ، وكان التضمين هروباً من استقلاليته ، ولم يكتفوا بذلك ، بل نوّعوا القافية كسراً لرتابتها .

ومع الاسلام الحنيف ، أخذنا نقرأ آيات كريمة ، موافق ايقاعها لبحور الخليل ، دون قصد ؛ لان القرآن الكريم ليس بشعر ، وبتوالي السنين أسهمت هذه الظواهر الادبية بالايحاء الى فئة من شعراء العصر الوسيط ، في جنوب العراق ، والخليج العربي ، اولاً ، بنوع جديد من المنظوم ، قد تلقّف من الشعر والنثر أفضل خصائصهما ، وتحرّز من أثقل ما في الشعر ، أخذ الايقاع من الشعر ، والسجع من النثر ، وهجر التشطير والقافية الموحدة ، فكان « البند » .

ان ظاهرة « البند » ، في حقيقة اصولها الفنية ، تكشف لمحاولات متراكمة ، تساقطت في تيار شعرنا العربي ، منها

ما كان عفو لخاطر، انسياقاً مع رغبة التمرد الكامنة في ذوات الشعراء، ومنها ما كان متعمداً، اضطر اليه الشعراء، أو اختاروه اختياراً ملبياً لميل لا شعوري في التحرر من القيود، ومنها قيود القصيدة القديمة.

وان تلك الظاهرة لم تترك دون اهتمام، ففضلاً عن الممارسة بالنظم والتطوير، حتى غدا صنواً للقريض في مجالس الادباء، وشريكاً له في علاج مختلف الاغراض، شرعنا نقرأ بنوداً رائعة قد اتسمت بالتجديد، شكلاً ومضموناً على انه لم يشمل كل الاغراض.

لقد اقتصرت العناية بالبند ابتداء على استظهاره، ولذا ناله ما نال شعرنا الجاهلي من آفات الرواية، تصحيفاً وتحريفاً وتضييعاً، وهذا لا يعني أنه لم يحظ بالتدوين مطلقاً، ولم ينشر أبداً، فقد كان الاهتمام به ضمن آثار شعراء مشهورين، كممتوق الموسوي مثلاً.

وضمن فصول تآليف العروض قديماً، ككتاب « الجدول الصافي في علم العروض والقوافي » للقس جرجيس منسا، المطبوع في بيروت.

و« انيس الخاطر وجليس المسافر » المعروف بكشكول الشيخ يوسف البحراني (١١٠٧ - ١١٨٦هـ)، المطبوع في النجف.

ومن المجلات التي رصدت « البند » وسجلت نصوصاً كثيرة منه « مجلة اليقين » ومنذ أعدادها الاولى الصادرة في بغداد سنة ١٩٢٢م

وفي العصر الحديث ألف عبد الكريم الدجيلي كتابه : « البند في الادب العربي » وقدم للنصوص بدراسة جيدة.

ود. جميل الملائكة كتابه : « ميزان البند » الذي درس فيه البند دراسة عروضية، وطرح فيه اراء دقيقة في مجالها.

وفي (دار صدام للمخطوطات ببغداد) مخطوطة من تآليف المحامي عباس العزاوي بعنوان « البنود العراقية » وهي عبارة عن مسودات، وملاحظات لم تتكامل كتاباً، على انها تخلُ من الاراء الجيدة، وقد ألحق بها سبع وريقات، من القطع الصغير، وبالخط العادي، بعنوان « نظم البند » من تآليف الشاعر خضر عباس الطائي، توجهت الى دراسة عروض البند، ويبدو انها كانت تلبية لطلب المحامي عباس العزاوي.

ولقد درست نازك الملائكة « البند » فصلاً في كتابها « قضايا الشعر المعاصر » وكذلك مصطفى جمال الدين في كتابه « الايقاع في الشعر العربي ».

ولا يفوتني ان اذكر دراسة بعنوان : « البند في الادب العراقي » لعبد الرزاق الهلالي، نشرها في مجلة الاقلام، عدد تشرين الثاني ١٩٦٤..

على ان اغلب مؤلفي العروض المعاصرين لم يتعرضوا لدراسة عروض البند : جهلاً، او تجاهلاً.

وكلّ تلك الدراسات، وإنْ قدمت فوائد كبيرة في تدوين نصوص البند، وتحديد عروضه، وتقريبه لافهام الدارسين، قد اقتصرت على تعريفه، ببسط شيء من تأريخه، دون الاهتمام بدراسة أغراضه، وتحليل نصوصه، وبنيته، ناهيك عن استقصاء أصوله الفنية، وتعليل تسميته، اذ كان الاهتمام منصباً، بالدرجة الاولى، على عروض البند فتكاثرت الاراء في ذلك الى حد التقاطع، والاضطراب.

لذا وجدتُني مهتماً بدراسة الجوانب التي بدا لي أن الدارسين الذين سبقوني قد تشاغلوا عنها، كان دورهم كان مقتصراً على التدوين فقط، فاخلوا المجال لامثالي لدراسة هذا النوع من الشعر دراسة تحليلية نقدية، الى جانب كونها في ميدان الدراسات الادبية.

تتكون خطة البحث من : مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخلاصة، وثبت بالمصادر والمراجع.

تناولت في الفصل الاول : أصول البند، وفي الثاني : عروض البند وفي الثالث: بنية البند « دراسة تحليلية » لابرز أغراضه ثم في « الخلاصة » دوّنت أهم النتائج التي استخلصتها من تلك الفصول.

وآمل أنّ جهودي كانت موفقة في دراسة واحدة من ظواهر ادبنا العربي.

ولعلي قدمت أفكاراً جديدة، واطروحات تستحق الاهتمام
ومن الله التوفيق

تمهيد

للبند - في اللغة - معانٍ كثيرة، ولكنني ساعرض منها ما اعتقد أنه ذو صلة ببحثنا.

« البَنْد » : الذي يسكر من الماء، وحيل مستعملة، وبيذق منعقد بفرزان. »[1]

وفي (المنجد في الادب والعلوم) : الفصل او الفقرة من الكتاب، والقيد، والحيلة، الجمع بنود[2].

و (البند) كذلك : شريط، وظفيرة، وشراك النعل، وحزام، ونطاق، وبند السيف : حمالته، والبند من الشطرنج : البيذق اذا صار فرزاناً وبنود الرمح : المناوشات بالرماح، و(بنود) وحدها تدل على نفس المعنى.[3]

وللبند في اللغة الانكليزية (Band) حوالي اثني عشر معنى، منها : قيد، رباط، شريط، عصابة، نطاق، حزام ...[4]

وفي اللغة الالمانية (Band) : مجلد (جزء من كتاب) مجلدات، رباط (شريط) أربطة، طوق أطواق، قيد قيود، وثاق أوثقة.[5]

وفي اللغة الفرنسية : حزام، حزمة حزمات، شريط :
وفي اللغة التركية :[6] السدّ، المانع، نوع من الشعر متكون من

قطع متعددة ، وهو موزون مقفى ، مادة ، فقرة ، فصل في القانون ، شريط ، رباط ، قديماً البند مقالة في جريدة .

وهكذا نجد ان لفظة « بند » تكاد تكون مشتركة في لغات عدة ، وتتقارب معانيها ، وماذكرناه هو الذي استطعنا الوقوف عليه مما تتيسر لدينا من معجمات .

اما « البند » فنياً فهو (شعر له عروض خاص ، عُرف عند المتأخرين من المتأدبين)[٧] او (لون من الوان الادب العربي ، وضرب من ضروبه ، وجد أخيراً : نتيجة خروج عن عمود الشعر التقليدي ، الذي لا ينظم فيه ، ويجوّد إلّا العمالقة من أجل هذا الفن ، وإلّا العباقرة ومازال كذلك)[٨]

ولقد عده عباس العزاوي (بذرة التجدّد المشهورة في حياة الادب العربي عندنا في العراق خاصة)[٩] ، وهو في رأيه تمازج الثروة المتكونة من مجموعة مخلفات الماضي ، مع ما ولدته العلاقات الحاضرة للعهد الذي انبثق فيه هذا النوع من الادب ، ويقصد البند .[١٠]

« والبند » عند د . جميل الملائكة (ضرب من الكلام المنثور ، نشأ في العراق الاسفل في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، ثم شاع قرضه في العراق ومنطقة الخليج العربي طيلة ثلاثة قرون ، ينظمه الشعراء ، ويتناقله الادباء والمتأدبون ، فكان له بوز مهم في الاوساط الادبية ، حتى لا يكاد المرء يقرأ لبضعة شعراء من تلك الفترة حتى يجد بينهم من كان ينظم البنود)[١١]

هذه هي أبرز معاني « البند » في اللغة والاصطلاح مما قدّمه الدارسون قديماً وحديثاً .

القسم الاول

اصول البند

ليس من الطبيعي أن تنطلق الانواع الادبية فجأة دون أن تسبقها عملية تلاقح وانشطار ، تجري بين أشكال مألوفة ، ومؤثرات معينة ، قد انبثقت هي الاخرى من تخاصب أنماط ناضجة ، وهكذا تتم عملية المخاض والاستيلاد في دورة ذات حلقات مترابطة متتالية ، ومن تلك الانواع الادبية « البند » الذي أثار فضول الدارسين قديماً وحديثاً ، وحفّز اراءهم ، واستتبع اجتهاداتهم ، فتنوعت ، واتفقت مرة ، وتقاطعت أخرى .

القرآن الكريم والبند :

فمن قائل إن هذا الفن قد ظهر مع القرآن الكريم ، وحجتهم في ذلك انهم وجدوا فيه آيات وافق إيقاعها بعض بحور الخليل ، من ذلك قوله تعالى : « وقرآن فرقناه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلًا »[١٢] ، التي جاءت على بحر الهزج[١٣] علماً ان في القرآن الكريم آيات أخرى يوافق إيقاعها بحور الشعر ، وهي كثيرة ، منها : « وجفانٍ كالجوابِ وقدورٍ راسيات »[١٤] (قالوا : هو من الرمل من البحر الذي قيل فيه :

ساكنُ الريح نطوفُ الـ ..... مُزنِ مُنْحلُ العَزالى)[١٥]

ووجدوا من الايات ما وافق المتقارب : « ومن يتّق الله يجعلْ له مخرجاً ويرزقه من حيثُ لا يحتسب »[١٦] ، ومن الرجز قوله تعالى : « ودانيةً عليهم ظلالُها وذُللت قطوفُها تذليلًا »[١٧] (ويشبعون حركة الميم وقد ضمنها ابو نواس بشعره :

وفتية في مجلس وجوههم ريحانهم قد عدموا التثقيلا
« دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا »[١٨]

وزعموا من الوافر قوله تعالى : ويُخزهم وينصركم عليهم ويشْفِ صدور قوم مؤمنين »[١٩]

ومن الخفيف قوله تعالى : « أرايت الذي يكذّب بالدين ، فذلك الذي يدعُّ اليتيم »[٢٠] (ضمنه أبو نواس[٢١] في شعره ففصل ، وقال : « فذاك الذي » ، وشعره :

وقرأ معلناً ليصدع قلبي والهوى يصدع الفؤاد السقيما
أرايت الذي يكذّب بالديـ ـن فذاك الذي يدُعّ اليتيما)[٢٢]

والايات التي زعموا أن ايقاعها يوافق بحور الشعر ليست قليلة وهذا لا يعني مطلقاً ان القرآن الكريم قد أنزله عزّ وجلّ موزوناً ، وهو القائل : « وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون »[٢٣] ، وقوله : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو الا ذكر وقرآن مبين »[٢٤] .

من هنا يفهم ان الوزن في القرآن الكريم لم يكن مقصوداً البتة ، ولكنه وقع فيه مصادفةً ، فلا مجال لقبول رأي من يرى ان بداية البند قد كانت مع عصر القرآن الكريم ، وهذا رأي لا يجارى ، فضلًا عن ان العلماء قد نفوا مبدأ وجود الشعر في القرآن ، ومن اولئك الباقلاني[٢٥] مثلًا .

ان يحتوي القرآن آيات موزونة ، موقعة بفواصل ذات جمال بليغ فقد عرض نماذج يمكن أن تحتذى ، ولا سيما ان اغلب شعراء البند ، ان لم نقل كلهم ، ذوو اطلاع واسع على القرآن الكريم ، وروائع إعجازه ، وكان المعين السماوي الثرّ الذي استمدّ منه البلغاء فصاحتهم ، واستوحوا بلاغتهم ، فلماذا لا يكون هذا النمط من آيات الباري عز وجل قد أثار اعجابهم ايضاً ، وانه كان حاضراً في أذهانهم حين نظموا بنودهم ؟ انه ـ بلا شك ـ توقع منطقي مقبول .

اصول البند :

يروي الباقلاني ، في صدد نفيه الشعر من القرآن ، نصاً موزوناً ، ذا شطرين ، ولكنه مختلف القوافي ، يكتبه كثيرون بطريقة النثر ، وقيل

ان هذا النص من نظم الباقلاني ، ونسبه بعضهم لابن دريد الازدي (٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ) ، وهو كالاتي :

ربّ أخٍ كنت بـه مغتبطـاً   أشـدّ كفي بعرا صحبتـه
تمسكـاً مني بـالـودّ ولا   أحسبه يزهد في ذي أمل
تمسكـاً مني بـالـودّ ولا   أحسبـه بغير العهـد ولا
يحـول عنـه أبـداً فخـاب   فيـه أملـي[٢٦]

لقد قدّم الباقلاني هذا النص بقوله : (من سبيل الموزون من الكلام أن تتساوى أجزاؤه في الطول والقصر ، والسواكن والحركات ، فان خرج عن ذلك لم يكن موزوناً ـ وقد علمنا أن القرآن ليس من هذا القبيل ، بل هذا قبيل غير ممدوح ولا مقصود من جملة الفصيح ، وربما كان عندهم مستنكراً ، بل أكثره على ذلك .)[٢٧]

ولقد قرأت تلك الابيات ، اذ كانت جزءاً من بند قديم ، كما يأتي :

وهذا بند قديم وجد في بعض الكتب القديمة من كتب احمد بك الشاوي حينما بحث بعد وفاته رحمه الله تعالى . وهو ، وان كان مختصراً ، لكن في غاية القوة والجزالة :

« رب أخ كنت به مغتبطاً ، أشدّ كفي بعرى صحبته ، تمسكاً مني بالودّ ، ولا احسبه يزهد في ذي أمل ، ولا أحسبه يغيّر العهد ولا يحول عنه أبداً ، فخاب فيه أملي ، ما حلّ روحي جسدي ، فانقلب العهد به ، فعدت ان اصلح ما استصعب أن يأتي طوعاً ، فتانيت أرجيه ، فلما لجّ في الغيّ اباء ، ومضى منهمكاً ، غسلت اذا ذاك ـ يدي منه ، ولم آل على ما فات مني ، واذا لجّ بك الامر الذي تطلبه فعدّ عنه وتأتّ غيره ، ولا تلجّ فيه فتلقى عنتاً ، وجانب الغيّ واهلّ الفند ، واصبر على نائبة فاجاك الدهر بها ، والدهر أولي بذوي اللب ، واربى بهموا [كذا] ، وقلّ من فاجاه الدهر به إلّا سيلقى عنتاً في يوم او في غد . »[٢٨]

وليس متناقضاً قول الباقلاني عن جزء من هذا البند : « ... بل هذا قبيل غير ممدوح ، ولا مقصود من جملة الفصيح ، وربما كان عندهم مستنكراً ، بل اكثره على ذلك »[٢٩] مع ما نقرأ من تقديم للبند نفسه : « ... وهو ، وان كان مختصراً ، لكن في غاية القوة والجزالة » ، اذ تعاقبت قرون ، واختلف العصر ، وتغير الجيل ، وتبدّل الذوق ، والاحكام ، والكل جيل ذوقه ، ولكل عصر قياسه .

ويروى لابي العلاء المعري (٣٦٣ ـ ٤٤٩ هـ) نص من هذا النوع : « اصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تاتينا اليوم الى منزلنا الخالي لكي تحدث عهداً بك ياخير الاخاء فما مثلك من غير عهداً أو غفل »[٣٠]

والنص على هياة الشعر كما يأتي :

اصلحك الله وابقاك لقد كان من ال
واجب ان تاتينا اليوم الى منزلنا ال
خالي لكي تحدث عهداً لك ياخير الاخاء فما مثلك من غير عهداً او غفل

من هذا القبيل ما قدّمه ابن سنان الخفاجي (٤٢٣ ـ ٤٦٦ هـ) بقوله : (ومن عيوب القوافي أن يتم البيت ولا تتم الكلمة التي منها القافية حتى يكون تمامها في البيت الثاني ، مثل أبيات كتبها إليّ الشيخ ابو العلاء بن سليمان في بعض كتبه ، وحكى أن أبا العباس المبرّد ذكرها في كتابه الموضوع في القوافي ، وسمى هذا الجنس من عيوب القافية ـ المجاز ـ والابيات :

شبهٌ بـابـن يـعقـوبٍ   ولكـن لـم يكـن يـو
سُـفْ يشـربُ الخمـر   ولا يـزنـي ولا يـو
سـع الامـواه بـالقـهـو   ة مـزجـاً لـم يكـن نو
نَ فـي صبـح وإمسـاء   وهـذا منكـرٌ يـو
شكُ الرحمـان أن يصليـ   ـه في نـار خـزي هـو
لهـا الـرحمـان فلا يكشـ   ـف عنـه رُبنـا السـو
ء إنّ الاخضـر الابطيـ   ـن ولـو قيـل لـه نو
قـدُ النـار لاضيـاف   فيا رحمان لا تو
دنـانيـر وأمـوالٍ   ـذي منظـرة لـؤ
سـع الرزق عـل ذا الـ   ـؤوزن الـريش لايـو)[٣١]
لـؤ والفضـل ستـوقٌ

ولو كتبنا هذا النص كما يكتب البند لوجدناه بنداً كما يأتي :

(شبيه بابن يعقوبٍ ولكن لم يكنْ يُوسفُ يشرب الخمر ولا يزني ولا يوسع الامواه بالقهوة مزجاً لم يكن نون في صبح وإمساء وهذا منكرٌ يوشك الرحمان أن يصليه في نار خزي هولها أهلٌ فلا يكشف عنه رُبنا السوء أنّ الاخضر الإبطين ذا الفحشاء لا يوقد النار لا ضياف ولو قيل له ذو دنانير وأموال فيا رحمان لا توسع الرزق على هذا الذي منظره لؤلؤ والفعل ستوقٌ فوزن الريش لا يعدِ[ن]) .

ويفهم من كلّ ذلك أن أقدم النصوص التي تقترب من البند ، وتتشابه خصائصها مع خصائصه هي ما نسب الى ابن دريد او الباقلاني ، وما روي عن المعري ، حتّى وان لم تكن لواحد منهم فيكفي أنها كانت معروفة في عصرهم وهو العصر العباسي ، وهي محاولات رائدة ، فلا يتوقع فيها نضج البند ، وتكامل خصائصه ، التي تكتنفها بمرور الايام ، وتراكم تجارب الشعراء .

كان من المنتظر أن تستمر التجربة ، وتتوسع ، ولكن لاسباب لمّا تزل غامضة ، خفت صوتها ، بل اختفى حتى عصر معتوق الموسوي (١٠٢٥ ـ ١٠٨٧ هـ) ، الذي سجلت له خمسة بنود في ديوانه : ٢٢٧ ـ ٢٣٠ . وقد يكون لظهور فنون جديدة أخرى ، كالرباعيات والمواليا والكان وكان والقوما ، تاثير في انصرافهم عن البند عصر ذاك . أو يبدو ان هذا النوع من الشعر لم يرق لمعظم ـ ان لم نقل لكل ـ مؤرخي الادب ، وهم محافظون شديدو المحافظة ، لذا لم يدونوه في أسفارهم ، وليس هذا بغريب علينا ؛ إذ تعرّضت الموشحات في الاندلس لمثل هذا التصرف ، حتى ان ابن عبد ربه الاندلسي (٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ) . (صاحب العقد الفريد في مقدمة مبتدعي هذا الفن الذي ربما أخذه عن واحد من القبريين ، ولكن لا تذكر لنا المصادر أية موشحات من تلك التي أنشاها القبري او ابن

عبد ربه)(٣٢).

ولم يكن حظ البند بعد معتوق الموسوي بافضل منه قبله مما حدا بالمؤرخ عباس العزاوي ان يقول عن البنود عامة : (ويهمنا تاريخها في الادب العراقي ويهمن صفحة منه ، وقد ضاع الكثير ، فلم يجمع في مجموعة توضح تاريخ ظهوره بالضبط ، وتطوره ، المتوالي ، بل لا يزال في مجموعات خفية عن الانظار منتشراً فرداً هنا وهناك غير منتظم .. ويرجع العهد الى القرن الحادي عشر ، وعرف بهذا الاسم في العراق في الادب العربي ، وفي الادب التركي في (ديوان روحي البغدادي) وأول ما ظهر في العراق ، بل في بغداد ، ولم يكن من وضع ايران كما يتوهم المتوهمون مجاراةً للفظ)(٣٣).

الادب الفارسي والبند :

لقد ذكر المستشرق ادورد جرانفيل بروان نوعين من الشعر في الأدب الايراني ، وهما : الترجيع بند ، والتركيب بند ، تختلف خصائص كل واحد منهما عن خصائص البند ، وقال عنهما ما نصه : « هذان النوعان من القصائد الموشحة ، يتمثل كل واحد منهما على عدد من الوحدات تكون في العادة متساوية في عدد أبياتها ، وتكون كل واحدة منها على قافية واحدة ، ويفصل بين الوحدة والاخرى بيت مستقل من الشعر ، ليبين لنا نهاية الوحدة التي سبقته وبداية الوحدة التي تليه ، فاذا تكرر بيت بعينه بعد نهاية كل وحدة (بند) فان المنظومة تسمى بـ(الترجيع بند) ، اما اذ تكررت أبيات مختلفة بعد نهاية الوحدات ، وكانت هذه الابيات متفقة القافية مع بعضها ، ومختلفة عن سائر الوحدات فان المنظومة تسمى ، في هذه الحالة ، بـ(التركيب بند) ، ويجب أن تجري المنظومة من هذين النوعين على وزن واحد في جميع أبياتها)(٣٤).

ولو شئنا ان نتلمس انواع النثر الايراني أيضاً لوجدنا ان بروان قد ذكر له ثلاثة انواع ، وهي :

أ . النثر العادي : وهو ما لاوزن ولا قافية له

ب . النثر المرجّز : وهو ماله وزن وليس له قافية ، وقيل عنه كذلك : هو عبارة عن شعر صدر عفواً في وسط كلام منثور ، ولم يقصد قائله أن يحمله شعراً مثل قوله (ﷺ) « الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم » فهذه العبارة موزونة على الرمل المثمن

ج . النثر المسجع : وهو ما له قافية ، وليس له وزن ، وهو انواع : المتوازي ، والمطرف ، والمتوازن .(٣٥)

ومن ذلك نفهم ان ليس في الشعر الفارسي ونثره ما تتفق خصائصه مع خصائص البند العراقي ، فهو ـ اذن ـ نتاج العراق ، له جذور ممتدة الى العصر العباسي ، عصر ابن دريد والباقلاني والمعري ، كما كان امام ناظميه انماط وردت في القرآن الكريم من الآيات التي صادف ايقاعها بحور الخليل ، كل ذلك شجع من بادر الى نظم البند . فأورثنا هذا النوع الشعري بسماته المتحررة من خصائص الشعر التقليدي التي تشكل قيوداً معوقة ، تعرقل تدفق الشاعرية ، كالقافية الواحدة ، ونظام الشطرين ، والتمسك ببحر واحد .

وقد استمر البند في اطراد طيلة العهد العثماني الاول (٩٤١ ـ ١١٦٣ هـ) ، وايام المماليك حتى سنة ١٢٤٧ هـ ، بل استمر الى القرن الرابع عشر الهجري ، بعد انقراض العهد العثماني الاخير ، وواضح ذلك من اسماء ناظميه ، وآخرهم صاحب ذهب (١٣٤٧ هـ) ، بل ان بعض من نظمه من المعاصرين كالدكتور حسين محفوظ والدكتور مهدي المخزومي ، وإن كانت ممارستهما نظمه من قبيل التندر(٣٦).

ومن حقنا أن نتساءل : أين هو البند الان ؟

يبدو أنّ البند ، بشكله المعروف ، قد اختفى ، ونهض على اثره ما عرف بالشعر الحر ، ويعزو المؤرخ عباس العزاوي اختفاءه الى جملة أسباب ، منها : ان (السيرة في الايام الاخيرة صارت تقليدية ، ولم يتنوع فيها ! ليحافظ على جدتها ، فصارت البنود مملّة في اطرادها على وتيرة في موضوع واحد وأنّ تغاير اللفظ ، او تباين الموضوع فوقف ، فاذا رأينا البنود وقابلناها ببعضها وجدناها لا تخرج عن بعضها)(٣٧) ويعتقد ان علاج ذلك في (ان تتبدع طرق في التنوع والتجدد في الأساليب ، فلا يقتصر على ضرب منها ..)(٣٨).

اما نازك الملائكة فتقول : (لا ريب في ان البند هو أقرب اشكال الشعر العربي الى « الشعر الحر ») والأجدر أن يقال : إنّ الشعر الحر هو أقرب اشكال الشعر العربي الى البند ، على اساس أن اللاحق يتبع السابق منطقياً .

إنّ ما يجمع الشعر الحر بالبند مسائل تخصّ الشكل ، فكلاهما لا يتقيد بنظام الشطرين ، والقافية الواحدة ، وان كان الشعر الحر طليقاً في النقاط واحدة من تفعيلات البحور الصافية المعروفة(٣٩) فان البند ظل ضمن دائرة المجتث ، وان تجاوزها قليلاً في بعض الاحيان .

اما الموضوعات فهذه مسالة تفرضها طبيعة كل عصر ، وثقافة الشاعر ، ومما يلاحظ في هذا المجال دوران شعراء البند في فلك موضوعات الشعر التقليدي ، واساليبه ، مع التأثر بصنعة النثر في عصرهم ، والميل كثيراً الى المحسنات البديعية . ولكن الشاعر الحر ، بما قيضت له وسائل النشر والاعلام من ظروف اتصال ، قد توسعت آناته ، وتنوعت اساليبه ، ونضجت تجربته ، وبات واحداً من مجموعة كبيرة من المجددين المتحررين ، ليس على نطاق العراق ، او الوطن العربي فحسب ، بل صار يغترف من تجارب آخرين بعيدين عن هذا المحيط ، وبدأنا نقرأ من يكتب قائلاً : (في أواخر

الاريميديات . وحينما كان السياب طالباً في دار المعلمين العالية ببغداد ، تعرّف على الشاعر الانكليزي « توماس ستيرنز إليوت » من خلال قراءته لشعره ، وبخاصة قصيدة « الارض الخراب »[٣٧] .

لقد انطلق الشعر الحر نحو عوالم بعيدة عن الواقع ، يستلهم الاساطير البابلية وغير البابلية ، متخذاً اياها رموزاً ، فقد حاول (الاديب المعاصر ان يبحث عن العالم الذي يمكن ان يعيده الى شيء من طبيعته الاولى ، يلائم فيه بين تجسيد بدائي لآماله ، وطموح الانسان الحديث في إعادة خلق عالمه ، فلم يجد غير العودة الى الوعاء الاول ، الى الاسطورة ، يحاكيها ، يتنفس سحرها ، يستلهما ، يوظفها ، ليعيد بناء العالم الذي ينشده بكلمات طقوسها)[٣٨]

وتلك بعض الامور التي مارسها الشعر الحر ، ولم يمارسها البند ، لان عصره غير عصره .

ومن هنا نعي ان نقاط التقائهما كانت مقتصرة على الشكل دون المضمون ، ومع ذلك يبقى الشعر الحر أقرب الانواع الى البند ، ويصلح ان يكون وريثاً له .

القسم الثاني

عروض البند :

لقد وجدتني ـ وأنا أكتب في البند ـ ملزماً بالالمام ، وبشكل مركز ، بعروض البند ، ولا سيما ان الاراء فيه كثيرة ، فمن قائل إن وزنه من بحر الهزج ، ومن قائل انه من بحر الرمل ، ومن ذاهب الى امتزاج البحرين في البند الواحد ، وتارجح إيقاعه بينهما ، ولعل مردّ ذلك اشتراك هذين البحرين في دائرة واحدة ، هي « المجتلب » الذي يعني توافق ايقاعهما في المقاطع والاسباب والاوتاد .

وقد ذهب بعضهم الى ان وزن البند من الوافر ، وهذا افتراض سيأتي تبسيطه ضمن ما أجملنا من آراء سلفاً .

ومن الذين تعاملوا مع البند من خلال الهزج عبد الكريم الدجيلي[١] ولكنه يعتقد وجود زيادة في أوله ، إذ قال : (وحسب تتبعي وجدت في اول كل بند ـ على الاكثر ـ يأتي ناظمه ومنشئه بزيادة (سبب) او (وتد) ، ولا أعلم السبب في هذه الزيادة ، فهل هي من مستلزمات النغم والأيقاع ، وكل ما أعرفه في هذا السبيل أن أرباب البنود جروا ، على هذه الزيادة في اول كل بند ، والمتأخرون هم أكثر التزاماً . بهذه الزيادة) ثم يستشهد ببند لابن الخلفة (محمد بن اسماعيل البغدادي توفي سنة ١٢٤٧ هـ) : « يا ايها اللائم في الحبّ دع اللوم عن الصبّ » وعقب عليه : (والواجب ان يقول : « أيا لائم في الحب » ، حتى يستقيم البحر)[٣٩]

لقد التقطت نازك الملائكة هذا الرأي ، وعلّقت عليه بقولها : هذا شيء غير مسموع في العروض العربي ، فلسنا نعرف في الشعر حرفاً إلّا وهو داخل في وزن الشطر والبيت ، فبأيّ حقّ نفرد سبباً خفيفاً فلا نزنه ؟ واذا كان في وزن البند زيادة غير موزونة ، فما سرّ الايقاع فيه اذن ؟ وعلى أي وجه تقبله الاذن العربية المرهفة) وبذا مهّدت لرأي انفردت به ، قبل سواها ، وهو (ان البند خلافاً للشعر العربي كلّه يستعمل بحرين اثنين من بحور الشعر ، يجمع بينهما ، ويكرر الانتقال من احداهما الى الاخر ، عبر القصيدة كلها ، والبحران الوحيدان المستعملان فيه هما الهزج والرّمَل) .

وتحسب نازك الملائكة تعسف النقاد في تعليل (خروج البند عن الهزج يرجع في اساسه الى انهم يعتقدون استحالة الجمع بين بحرين من بحور الشعر في قصيدة متناسقة ، فكيف يصحّ ان تجتمع تفعيلة « فاعلاتن » مع التفعيلة « مفاعيلن » دون أن تتنافرا)[٤٠]

وهي تعلّل انسجام الهزج والرمل في قصيدة البند بأمرين ، اولهما : قدرة الشاعر في السيطرة عليهما ، وثانيهما : العلاقة الخفية بين تفعيلتي الهزج والرمل : فمقلوب « مفاعيلن » وهو « لن مفاعي » مساوٍ في حركاته وسكناته لتفعيلة الرمل « فاعلاتن » ، وكذلك مقلوبها « علاتن فا » مساوٍ لتفعيلة الهزج « مفاعيلن » .

ولكي تعزز رأيها استشهدت أيضاً بمقطع من بند لابن الخلفة ، حيث (ان الاشطر الاربعة الاولى ـ من بحر الهزج ذي التفعيلة « مفاعيلن » :

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلْ

أهل تعلم ام لا ان للحبِّ لذاذاتْ
وقد يعذر لا يعذل من فيه غراماً وجوى ماتْ
فذا مذهب أرباب الكمالاتْ
فدع عنك من اللوم زخاريف المقالاتْ)[٤١]

وتستطرد : (وفجأة بعد تواتر « مفاعيلن » في هذه الاشطر كلها دون شذوذ ، يأتينا شطر تشذّ تفعيلته الاخيرة ، فلا تكون « مفاعيل » وانما « فعولن » ، قال :

فكم قد هذّب الحبُّ بليداً
مفاعيلن مفاعيلن فعولن)[٤٢]

و« فعولن » مما يرد في تشكيلات بحر الهزج ، وهي مساوية للمقطع « علاتن » من تفعيلة الرمل « فاعلاتن » (فكأنّ الشاعر قد جاءنا فجأة بتفعيلة يشترك في قبولها البحران كلاهما : الهزج والرمل ، وكان ذلك خير تمهيد شعريّ للانتقال من الهزج الى الرمل في الاشطر التالية :

فغدا في مسلك الاداب والفضل رشيدا
صه فما بالك اصبحت غليظ الطبع لا تعرف شوقا

لا ولا تظهر توقا
فاعلاتن فاعلاتن)[43]

ثم ياتي ابن الخلفة بشطر تتحول تفعيلته الاخيرة الى « فاعلاتان » : التي ترد في بحر الرمل :

لا ولا شمت بلحظيك سنا البرق اللموعيّ
الذي أومض من جانب أطلال خليط عنك قد بانْ
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتان [44]

و« علاتان » من « فاعلاتان » مساوية في ايقاعها لـ« مفاعيل » من بحر الهزج ، وبها يعود الشاعر إليه

وفي الزيادة التي ترد في اول البند ، على اساس أنه من بحر الهزج ، والتي قال بها عبد الكريم الدجيلي ، فاستثارت نازك الملائكة ، يمثل خضر عباس الطائي ، دون قصد منه ، بقوله : (ومن التجوزات في البند ان يلحق أوله ، في بعض الاحايين ، نوع من الحذف ، أشبه بما يسمى « الخرم »[45] ، وقد استقبح أن يدخل الخرم في بحر الهزج ، ولذلك تجنبه الشعراء مهما صعب التخلص منه)[46]

أكثر التفعيلة ، فلم يبق منها إلّا سبب خفيف ، وهو « لن »

ويستشهد أيضاً بمطلع بند ابن الخلفة :

... ايها اللائم في الحبّ
ووزنه : ... لن مفاعيل مفاعيل

ثم يقول : (ويزول هذا الخرم الغريب لو كان كما ياتي :
« ألايا » ايها اللائم في الحبّ
ليعود وزنه على : مفاعيلن مفاعيل مفاعيل)[48]

وقد ياتي البند وفق بحر الرمل ، كما صرّح بذلك بعض ناظميه وهو السيد علي باليل الحسيني ، بقوله : (قد أنارت كلماتي فيه كالشهب وزينت بها في كل بند ، فاعلاتن في ست مراتٍ فما فوق حوالٍ ، برزت عن حجل الفكر تجلّى كشموس بزغت في (رَمَل) الابحر من نظم ابن باليل « علي » فأخطب الافكار إن كنت لها كفءاً ، واهب السمع مهراً)[49]

وثمة من يتوقع أن (ياتي وزن طاريء في عروض الهزج يقرّبه من « مجزوء بحر الوافر » ، وهو تحريك الخامس الساكن من « مفاعيلن » ، فينقل الى وزن « مفاعلتن » ، وهو من أجزاء بحر الوافر)[50] ولكن ورود ذلك قليل بحيث صرف أهل العلم نظرهم عن ذكره في العروض ، إلّا استئناساً في الموسوعات)[51] ، ولما كان البند مما ينظم هزجاً ، فقد (سرى هذا الزحاف الطاريء اليه في بعض البنود ، إلّا أنّ سريانه كان قليلًا جداً ، ولكنه عل قلته ، أوهم بعضهم فمدّ للبند وزناً آخر ، وذكر انه يجري على بحر الهزج وغيره ، وانما أراد هذا المجزوء للعلة التي ذكرناها)[52] .

ولقد صرح مصطفى جمال الدين بان (الهزج وافر مجزوء) وهو يتحدث عن بحور الشعر عامة ، وسجّل أن كثيراً (من القصائد الهزجية في الشعر العربي ، قديماً وحديثاً ، توجد فيها تفعيلات وافرية)[53] ، ولما كان البند مما ينظم هزجاً ، فاراه لا يخرج عن إطار هذه الملاحظة ، وان حرص ناظمو البند على البقاء ضمن أوزان الشعر المألوفة ، ولكنهم قد يضطرون تحت وطأة علة او زحاف أن يميلوا الى الوافر ، ولكن يبقى الايقاع الهزجي غالباً على بنودهم ان كانوا ملتزمين بحره .[54]

ولدى رأي آخر في « ميزان البند » عرضه د . جميل الملائكة بقوله : (البند كلام منظوم ، زنته « م فاعي لن » مكررة تباعاً حتى آخره ، وكفّها حسن ، وقوافيه وضروبها متغيرة اختياراً دون تاثير على سياق وزنه ، وأبياته متغيرة عدد الاجزاء كذلك ، وكلّ منها شطر واحد عروضه ضربه ، ويجوز في اوله الخرم والخزم ، ويغلب في آخر جزء فيه الحذف)[55]

ومن الواضح أن د . جميل الملائكة يتصرف بالتفعيلة « مفاعيلن » التي تتكون من وتد وسببين خفيفين ، بحيث يجعلها « م فاعي لن » فجعلها تتكون من متحرك تليه ثلاثة أسباب خفيفة [56] وهذه الصيغة غير واردة في تفاعيل الشعر العشرة[57] ، فهناك « فاع لاتن » « مستفع لن » ، وهما اللتان وردتا بهاتين الصورتين فقط . ثم يخلص للكلام على دائرة « م فاعي لن » العروضية ، وهي : مفعولاتُ ، ومستفعلن ، وفاعلاتن (وكل منها ينفكّ من اول كلّ سبب من أسباب « م فاعي لن » الثلاثة ، لان « مفعولاتُ » تكافيء « فاعيلن مْ » و« مستفعلن » هي بمثابة « عيلن مفا » و« فاعلاتن » مثل « لن مفاعي »[58]

وفي ذلك توسّع بيّن ، لا يقتصر على « مفاعيلن » فحسب ، بل تجاوزها الى الدوائر العروضية التي رسمها الخليل ، فدائرة المجتلب تضم : الهزج ، وتفعيلته « مفاعيلن » مكررة اربع مرات ، والرمل ، وتفعيلته « فاعلاتن » مكررة ست مرات ، والرجز وتفعيلته « مستفعلن » مكررة ست مرات ايضاً . فاقحم فيها « مفعولاتُ » التي تشترك في تفاعيل المنسرح مع « مستفعلن » :

مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن

وكذلك تشترك في تفاعيل المقتضب مع « مستفعلن » ايضاً ، بترتيب مختلف قليلًا بالقياس الى المنسرح :

ويمكن ـ من وجهة نظر د . جميل الملائكة ـ الانتقال من تفعيلة الى أخرى ، ويتحقق ذلك بوضع سطره بعده ، فالتحول من « مستفعلن » الى « مفعولاتُ » يتم بوضع السطر (٢) بعد السطر (٣) وهكذا[60] على النحو الآتي : (علن مستفعلن مستفعلن مستف ... ت مفعولاتُ مفعولاتُ مفعولا) ، وينقل « مستفت » الى « مفعولُ » يكون سياق الميزان : (... مستفعلن مستفعلن مفعولُ مفعولات مفعولات ..... الخ) ، اي اننا ننتقل من « مستفعلن » الى « مفعولاتُ » بادخال

١	من	ـتفا	عيـ	لن	مـ	فا	عيـ	لن	مـ	فا	عيـ	لن
٢	ث	مفـ	ـعو	لا	ثُ	مفـ	ـعو	لا	ت	مفـ	ـعو	لا
٣	ـعـ	لن	مسـ	تف	ـعـ	لنِ	مسـ	تف	ـعـ	لن	مسـ	
٤	عـ	ـلا	تن	فا	عـ	ـلا	تن	فا	عـ---	ـلا	تن	فا

« مفعولُ » بينهما دون اي اخلال في ميزان البند ، وبهذه الطريقة يمكن الانتقال من سطر الى آخر ».(٦١)

ويعد كل هذا الجهد في تفكيك التفاعيل ، وموازنتها ضمن دائرة المجتلب ، وخارج هذه الدائرة يفاجئنا د . جميل الملائكة بقوله : (والواقع انك بهذا تغير الميزان لفظاً فحسب ، ولكنه لا يتغير حقيقةً لانه باقٍ في جميع الاحوال موافقاً لشطر مفاعيلن ، وكذلك لايّ من الشطور المنفكة منه) .(٦٢) وهو لا يعدّ للبند بحراً ؛ على أساس ان ابياته (ليست ثابتة الاجزاء والاطوال ، وانما الصحيح ان يقال دائرته)(٦٣)

وفي الواقع ان تلك التحليلات لم تقتصر على دائرة خليلية واحدة ، وانما تجاوز الامر دائرة المجتلب ، الى المشتبه ، بادخال مفعولات ، وانطلاقاً من كل هذه الاراء التي دارت حول عروض البند ، وتكثيفاً لها يُمكن ان اتصور ايقاعاً خاصاً بالبند ، لا يخرج عن مجال الوزن العروضي ولايتمرد ، طبعاً ، على التذوق الموسيقي ، بل هو ـ في واقع امره ـ داخل في اطار مكونات الوزن العربي .

لقد أسهب الدارسون في تفهم عروض البند ، واجتهدوا كثيراً في الاراء ، حتى بلغنا الحديث عن دائرة عروضية ، لا بحراً أو تفعيلة ، بل لم يقتصر الامر ـ كما مرّ ـ على دائرة المجتلب ، بل تجاوزناه الى دائرة المشتبه ، فصار البند ـ وفق هذا الرأي ـ متقبلاً لايقاع خمسة بحور هي : الهزج والرمل والرجز والمنسرح والمقتضب ، لانّ الاساس في الدوائر العروضية الخمسة التي أوجدها الخليل ، وصنف بحور الشعر فيها هو (تشابه المقاطع الصوتية من الاسباب والاوتاد) .(٦٤)

ومن هنا اتساءل : ألا نستطيع أن نعدّ وزن البند مبنياً على الايقاع المنطلق من تلك المقاطع الصوتية ؟ وبذا نبدّد الحيرة التي حملت الدارسين على توقعات كثيرة ، وتصورات عدة ، بحيث لم تتفق اجتهاداتهم على بحر بعينه ، ولا تفعيلة بعينها ، في حين وجدناهم متفقين على بواعث الايقاع من أسباب واوتاد ، المكونة ـ كما هو معروف من حركات وسكنات بترتيب معين .

حقاً ان شعرنا العربي شعر كمي ، فهو مكون من (التفعيلة التي يستغرق نطقها زمناً ما) ، وانتظامها في قوالب البحور يتخذ نمطين ، فهي أما متساوية كالرجز ، او متجاوبة كالطويل ، حيث تكون التفعيلة الاولى « فعولن » مساوية للثالثة ، والثانية « مفاعيلن » مساوية للرابعة (ولكن هذا الكم لا يكفي لكي نحسّ بمفاصل الشعر ، فلا بد من الايقاع)(٦٥)

وما الايقاع إلّا (عبارة عن رجوع ظاهرة صوتيةٍ ما ، على مسافات زمنية متساوية ، أو متجاوبة ، فانت اذا نقرت ثلاث نقرات ، ثم نقرت رابعة أقوى من الثلاثة السابقة ، وكررت عملك هذا تولد الايقاع من رجوع النقرة القوية بعد كل ثلاث نقرات ، وقد يتولد الايقاع من مجرد الصمت بعد كل ثلاث نقرات)(٦٦)

وهنا تحضرني ملاحظة د . جميل الملائكة : (وجدنا بالحساب ان بند ابن الخلفة جاء بمعدل ثلاثة اجزاء مكفوفة مقابل كل جزأين سالمين « الجزء السالم هو الذي سلم من الزحاف »)(٦٧)

إلا يشكل ايقاعاً كلُّ ثلاثة اجزاء مقابل كل جزأين سالمين ؟

تلك أطروحة أملتها عليّ الاراء المتشابكة ، المتخالفة في عروض البند ، وهي ـ بلا شك ـ في حاجة الى استقراء كل النصوص ، واجراء تطبيقات اخرى ، قد نخرج منها بحصيلة تعزّز تلك الاطروحة ، وهذا عمل يشكل ـ بحد ذاته ـ دراسة مستقلة جادة تستحق الوقت والجهد ، توقعاً لما تفرزه من نتائج مفيدة ، ليس للبند فحسب ، وانما للشعر عامة ، فعسى الظروف تتيح لي ، او لسواي فرصة القيام به ، وستكون هذه الدراسة أدقّ لو تيسّر للباحث أجهزة قياس مما يستعمل في الدراسات اللغوية وغيرها ، وبذا ترتكز النتائج على أسس تقنية متقنة .

الفصل الثالث

بنية البند « دراسة تحليلية لابرز أغراضه »

مما يحقق نوع البند ، زيادة على الوزن ، انفماره في علاج الاغراض التي انفرد بها الشعر دون النثر ، ولدينا من تلك نصوص شواهد على ذلك .

لقد جمع الباحث عبد الكريم الدجيلي حوالي مئة بند لاربعين شاعراً في كتابه « البند في الادب العربي » وتلك مجموعة كبيرة نسبياً ، ومع هذا فليس بمقدور أي باحث ان يجزم بانها تمثل كل ما قيل في هذا الفن ، ولاسيما انها نظمت عصر كان جلّ محبي البند يعتمدون على الذاكرة في حفظه ، وكان يستظهره العامي والخاصي[٨ ,٦] على حدّ تعبير المؤرخ عباس العزاوي ، الذي يقول أيضاً : (... وقد ضاع الكثير منه [يقصد البند] ، فلم يجمع في مجموعة توضح تاريخ ظهوره بالضبط ، وتطوره المتوالي ، بل لا يزال في مجموعات خفية عن الانظار ...)[٦٦]

ويكفي أن نعرف تدليلًا على ذلك أنّ للشيخ حمزة البغدادي ثمانية بنود (حامداً في الاول منها الحقّ سبحانه وتعالى ، وآخر في الثناء على الرسول (ﷺ) ، والائمة الطاهرين من أهل البيت ، ثم مدح الوزير حسين باشا آل افراسياب أمير البصرة)[٧٠] هي اقدم ما وصلنا ، ولكنها مازالت متوارية نسختها في برلين ، فضلًا عما انفرد به ، مثلًا ، الشيخ يوسف البحراني ، في كتابه « أنيس الخاطر وجليس المسافر » الشهير بكشكول يوسف البحراني ، المطبوع سنة ١٢٩١ هـ ، من بنود على باليل الحسيني ، وهي مئة وخمسون بنداً ، أخذ منها الدجيلي ستة وعشرين ، ولنقس على ذلك[٧١]

ومع كلّ ما مرّ فبامكاننا أن نتخذ من هذه البنود المتوافرة لدينا عينةً - وهي عينة جيدة قد تمثل لنا مؤشراً واضحاً على أغراض البند ، وبنيته ، وخاصة أنها واكبت بداية ظهوره ، وحملت مؤثرات القرون التي تلت انتشاره ، كما انها لشعراء عاشوا في بيئات مختلفة ، ويقيناً ان ما توحي به من ملاحظات سيعكس معظم الخصائص الفنية لهذا النوع من شعرنا العربي .

أغراض البند :

ثمة بنود في المدح ، وكذلك في الادب العرفاني ، والرثاء ، والهجاء ، والاخوانيات « المراسلات ، والتندر ، والتقريظ » والسياسة « يقظة العرب » .

وعلى العموم فان بين أيدينا مجموعة لا يستهان بها من البنود ، قد غطت أغلب الاغراض التي تواطأ الشعراء على معالجتها .

المدح :

إنّ اشهر البنى التي صيغ بها بند المدح تتجلى في أقدم النصوص التي بندها معتوق الموسوي (١٠٢٥ - ١٠٨٧ هـ) ، في مدح بركة بن منصور

لقد تمثلت بنية هذا البند في ثلاث لوحات :

« أ » في وصف الآيات السماوية

« ب » في وصف الآيات الأرضية

« ج » في نعمة ارسال الرسل ، ثم الى مدح بركة بن منصور .[٧٢]

نص في المدح :

أجدني ملزماً بتكوين البند لوحةً لوحة ، كي نقف على خصائص كل واحدة منها ، ونهجها في عرض الجزئيات ، واسلوبها :

(أ) « أيها الراقد في الظلمة نبّه طرف الفكرة ، من رقدة ذي الغفلة ، وانظر أثر القدرة ، واجلُ غَسَق الحيرة ، في فجر سنا الخيرة ، وإن الفلك الاطلس والعرش ، وما فيه من النقش ، وهذا الافق الادكن ، في ذا الصنع المتقن ، والسبع السماوات ، ففي ذلك آيات هدى تكشف عن صحة إثبات ، أله كشفت قدرته عن غرر الصبح ، وأرخت طرر النجح ، على نحر ضياء فغدا يغسل من مبسمه الاشنب في مضمضتي نور سناه لمس الغيهب ، واستبدلت الظلمة من عنبرها الاسود بالاشهب ، واعتاضت ، من مفرقها الحالك بالاشيب ، وانصاعت ، من خوف كميت الشفق المعلم ، دهم الغسق المظلم ، إذ سار من المشرق في سابقه الاشقر ، ملك فلك الاعظم ، وانبث من النور ، واجرى لجج الليل ، بتوب السبح الاسحم كالسيل ، فاسود وأبدى زبد النجم من خالص بلور وعسجد ، فكسته حلة الذيل ، وحلّتهُ باكليل ، وجلته بمصباح ، من البدر به لاح ، ومن كوكب زهراء بقنديل ، ومن شهب ثرياه بمشكاة فسواه منيراً .

فهو الاول والاخر ، والباطن والظاهر ، والقابض والباسط ، والباعث والوارث ، والعادل والعالم في خائنة الأعين سراً وجهاراً »

« ب » خالق أضحك في قدرته البرق ، فابدى شنب اللمع ، وأبكى مقل الودق ، فاجرى درر الدمع ، فاحيا بقع الارض ، فانبتن دنانير بهار حملتها قضب الشذر ، ومن خُمر يواقيت شقيق المخمل الخضر ، حقاقاً خزن المسك بها القطر ، اذا ما انفتحت كالمقل الرمد ، من السهر ، بكت في درر الطل ، واشكال وأجناس من الزهر وألوان ، ونسرين وفيروز وريحان ، وأجفان لجين شخصت في حدق العسجد من نرجسها الغض ، والواه أقاح بسمت من شنب الدر ، وأسنان من الطلع ، وقامات من البان ، وساقات أنابيب زجاج حملت من ورق الود بمرجان وعقيان ونارنج باشجار ، تضاهي أكر الدُّرّ ، وتفاح كوجنات عذارى اشربت ، راح ، ورمان - باغصان ، ترى الاعين اذ بان ، نهوداً رفعت فوق صدور رقصت في حلل السندس والروض ، كما مخمله الاطلس ، والآس له عذر في عارضه الاخضر والزنبق قد صفف أعلام بني الابيض ، والنور به أحدق في جند بني الاصفر والشيح ، بها غير اثواب صبا الريح ، وليل الشجر المثمر في نورٍ

وفي الوند ، كانفاس حبيب حمل الورد على الخد ، اذ بلّله الطلّ روي من شما، الند ، فلا يعجزه ضد ، ولا يشبهه ند ، تعالى الصمد الفرد ، كريم سبقت رحمته السخط ، له الحمد على الصحة والسقم وفي اليسر وفي العسر وفي القوة والضعف مدى الدهر ، وما سار شذا الزهر على الريح مساءاً ونهاراً . »

« ج » « باعث الرسل أولي العزم الى العرب مع العجم ، ومن طهر ما أحدثه الكفر ، من الرجس عن الملة بالطهر ، أبي القاسم ذي الرأفة والقسوة والقوة والقدرة والقدر ، مع الحكمة والحكم ، مجلي ظلم الفترة من نور ضحى البعثة مصباح دجا الملة ، مبدي نهج الحق ، ومخفي سبل الفسق ، ومن فجزّ في معجزه الصم من الصخر ، ومن كلّمه الظبي ، ومن حنّ له الجذع ، وانشق له البدر ، ومن أيده الله تعالى باخيه الاسد الضارب في أبيضة الأروس ، والطاعن في أسمرة الانفس ، حاوي الشيم الغر ، شريف النسب الطاهر ، بحر الكرم الزاخر ، من ردّ له القرص ، فجلى غسق الليل ، ومن خاطبه ثعبان ومن علم جبريل امام بطل غالب ، مغوار بني غالب ، مولاي علي بن ابي طالب محيي سنن الدين ، أبي الغر الميامين شموس الفضل والعترة ، أقطاب سما الرتبة ، أقمار دجا الامة ، أنوار هدى ، فبهم بان لنا الغي من الرشد ، واستبصرت العمي ، وعنهم نقل العلم ، وفيهم خزن الوحي ، مصاليت مصلين ذوي زهد وتقوى ، فعليه وعليهم صلوات الملك الخالق ما سبّحت الخلق وما شبب بالريح وما غرّدت الورق ، وما استل سنا البرق ضيا التبر على الافق ، وماسارت . في المغرب والمشرق أحاديث ندى الباسط من يمدحهم العدل مع الرفق أخي الفضل سليل الملك الاشرف منصور أبي راشد ذي الصدق ، كريم النسب الماجد ، سقف الشرف الصاعد ، حجاج بني حيدرة المعطر في الحرب مواضيه على الضد ، وفي السلم أياديه على الوفد بهاراً ونضاراً »

بنية البند بنية المدح :

هذه هي واحدة من بني البند ، في المدح ، وهي بنية خاصة فمقدمة البند غير مقدمة القصيدة التقليدية ، وموضوعها غير موضوعه : اذ جاء متنوعاً في شكله ومضمونه ، انسجاماً مع غرض المدح ، وفي ذلك تجديد لم يقتصر على الشكل ، بل تعداه ' الى المضمون ، خلافاً لفنون سبقته ، منها : الموشحات ، والرباعيات ، من الفنون المعربة ، ولو شئنا ان نتجاوزنا فسنضم اليها فنوناً أخرى غير معربة ، كالزجل بانواعه ، والمواليا باشكالها ، والكان وكان ، والقوما .

لكل بند بنية ثابتة ، وبخاصة بنود المدح ، شأنه شأن القصيدة التقليدية ، ولكنه يمتاز منها بهجره المقدمة الطللية ، ووصف المفاوز الصحراوية ، وحيوانها ونباتها ... الخ ، الى شيء لم يكن مألوفاً في شعرنا الذي سبق ، أو عاصر هذا الفن . فهو يُستهل بوصف الايات السماوية ثم الارضية من النبات وانواعها ، يتوسل الى تقريب المفاهيم بتشبيهات دقيقة رائعة ، مستخلصاً العبرة ، ومجسداً القدرة الالهية ، ومن ثم ينتهي الى ذكر الرسالات والرسل ، ليخلص الى الرسول الاعظم (ﷺ) ، ومن هنا يشرع بالتسلل الى غرض البند ، وهو المدح ، فقد اقتصرت هذه البنية عليه .

إن في مقدمة هذا البند وأضرابه قدر كبير من التفاؤل بالقياس الى مقدمة القصيدة الجاهلية مثلًا ، فاذا كان الشاعر الجاهلي يقف عند الدوارس ، ويستذكر أزماناً حبيبة الى نفسه ، بحزنٍ ولوعة ، ويذرف الدموع سخينة سخية ، لا يقنع باكياً ، وانما يحاول ان يستوقف ويستبكي رفاقه معه ، ويصرف النظر عن الدوافع : سواء أكانت ندباً لما يشره به الطلل من فناء ، أو تنفيساً عن الكبت الذي اورثه اياه الرحيل ، فان المقدمة الجاهلية تصور لنا شاعرها انساناً متشائماً على العكس شاعر البند الذي ملك عليه ايمانه بالله تعالى جوانح ذاته ، واستبد بمشاعره ، فراح ينوّه بمظاهر القدرة الربانية ، يستحث فينا ان نتمتع بها ، ونفكر بخالقها ، واذا بالشاعر الجاهلي وشاعر البند كرجلين نظرا الى كأس نفد نصفه ، فنظر الجاهلي الى النصف الفارغ ، ونظر شاعر البند الى نصفه المملوء ، فكان الاول متشائماً ، والثاني متفائلًا والحياة هي الحياة ، والمصير هو المصير .

ولان الجاهلي وثني تعود تقديس النصب والاوثان ، لا يفكّر كثيراً فيما وراء ذلك ، فخُيل اليه ، وهو يطوف بالاطلال ، انما يطوف في واحد من معابد الجاهلية ، حول صنم ، او وثن مما فيها ، اما شاعر البند فانسان يحيى ايمانه التفاؤل في نفسه ، وتستلفت انتباهه الالوان في الفسق والفجر والظلمة والمسجد والبلور والكوكب والقنديل والشهب والثريا والمشكاة ، ويسترعي اهتمامه البرق والودق والازهار والبهار والدنانير والشذر واليواقيت والمسك والطل ، ومفردات اخرى كثيرة ، فيبدأ يربط بينها في عبارات بليغة ، يبنيها على علاقات دقيقة ، مجنداً البيان والبديع وكل الوسائل الاسلوبية ؛ ليشكل صوراً باهرة ، تحفز ايمان الانسان الغافل ، لينتهي الى موضوعة ايمانية اصيلة : « ... فهو الاول والاخر ، والباطن والظاهر ، والقابض والباسط ، والباعث والوارث ، والعادل والعالم في خائنة الاعين سراً وجهاراً »

وبعد جولة واسعة ، عبر القيم الدينية والتشكيلات البلاغية ، بمهارة واعية ، يصل الى اللوحة (ج) من البند فيقول : « باعث الرسل اولي العزم الى العرب والعجم ، ومن طهر ما أحدثه الكفر ، من الرجس عن الملة بالطهر ، أبي القاسم ذي الرأفة والقسوة والقوة والقدرة والقدر ، مع الحكمة والحكم ... » ، ثم يذكر شيئاً من معجزاته (ﷺ) ليصل الى آل

بيته ، وبالذات « ... امام بطل غالب ، مغوار بني غالب ، مولاي علي بن ابي طالب ، محيي سنن الدين ... » ويذكر أيضاً شيئاً من كراماته ، ويلوه بابنائه ، ليخلص الى المدح بقوله ، « ... فعليه وعليهم صلوات الملك الخالق ما سبحت الخلق ، وما شبب بالريح وما غردت الورق ، وما استقل سنا البرق ضيا النير على الافق ، وما سارت . في المغرب والمشرق أحاديث ندى الباسط من بمدهم العدل مع الرفق أخي الفضل سليل الملك الاشرف منصور أبي راشد ذي الصدق ، كريم النسب الماجد ، مثقف الشرف الصاعد حجاج بني حيدرة الممطر في الحرب مواضيه على الضد ، وفي السلم أياديه على الوفد بهاراً ونضاراً »

ونلاحظ ان الشاعر قد أدخل الاحاديث عن الممدوح سائرة في المغرب والمشرق ضمن الثوابت المستمرة ، معتمداً على (ما) المصدرية الظرفية ، كررها ليحقق التسليم بما اورد من مفاهيم ، انه ساوى الممدوح ، او الاحاديث عنه ، مع تسبيح الخلق بخالقهم والتشبيب بالريح ، وتغريد الحمام الورق ، ومع خفقات البرق الذهبية على الافق ، مدعياً ان من هذه الثوابت ايضاً سيرورة الاحاديث عن كرم الممدوح في المغرب والمشرق ، ثم بنؤه بخصال أبيه التي هي خصاله : العدل والرفق ، والصدق ، وكرم النسب ، والشجاعة في المعارك ، والكرم في السلم .

ويلتزم هذه البنية شاعر آخر ، هو السيد عبد الرؤوف الجد حفصي (١٠٦٦ - ١١١٣ هـ) ، في مدحه الامام علي بن ابي طالب (ع) ، ولكنه قدّم له بمناجاة تشبه الى حد كبير مناجاة الصوفية :

« الا يا ايها الحادي ، ترفق بفؤادي ، واحبس الركب ولو حلَّ عقال ، فكليم الشوق قد آنس برق الغرب ، من نحو حمى الحبّ ، فظن النور في الطور بجنح الليل ناراً .

فغدا يقتبس النار كما ظن بنعليه فنودي : اخلع فهذا ربع ليلي ... »[٧٣]

ويلتزم هذه البنية حسين العشاري (١١٥٠ - ١١٩٥ هـ) كذلك ، اذ يستهل بنداً له بذكر نعم الباري عزوجل ، ثم مدح الرسول (ص) ، ليصل الى مدح عبد الله الفخري ، ويلتزم ذات البنية في مدح اسعد وفخري ولدي عبد الله الفخري[٧٤]

ومثل العشاري عثمان بن عمر البكتاشي[٤٢] ، بل ان الشيخ حمزة البغدادي في بنوده الثمانية ، « وهي أقدم ما وصل الينا » كان « حامداً في الاول منها الحق سبحانه تعالى ، وآخر في الثناء على الرسول (ص) والائمة الطاهرين من اهل البيت ، ثم مدح الوزير حسين باشا آل افراسياب أمير البصرة »[٧٥]

ومن ذلك يفهم ان للمدح بنية خاصة في مجموعة من البنود ، التزم بها فريق منهم ، من ذوي التوجه الديني ، لاننا وجدنا بنوداً اخرى ، في المدح ايضاً ، لها مقدمات غزلية ، يشوبها أحياناً وصف يتعلق بالخمر ، من ذلك بند السيد باقر السيد ابراهيم الحسيني :[٧٦]

(ما ليلات وصال ، من بديعات جمال ، ونسيمات شمال ، حملت نشر أريج من مليح ذي دلال ، أهيف القد ، كحيل الطرف زاهي روضة الخد ، مرير الهجر والصد ، يشوب الهزل بالجد ، ويزري بشذا الند ، ولا يلفي له في الحسن من ند ، اذا ما اختال ما بين محبيه ، غروراً من تجنيه ، أرانا الغصن المياس ليناً واعتدالاً .)

ثم ينتقل الى شيء من وصف ما يتعلق بالخمر ، بعد ما شغ البند بصور غزلية رائعة ، ليقرّب الينا مذاق ليلات الوصال اللذيذ :

(لا ولا رشف كؤوس ، من يدي أبهى شموس ، قد تجلّت للبرايا فبدا من جانب الكأس سناها وبهاها يهتدي من ضل يجلوها الى نهج رشاد واضح السبل بأبهى من سلام . رائق الوصف ، رقيق اللطف ، مشفوع بأسنى تحف تحملها أيدي الندامى من محبّ مستهام ، حلف شجو وغرام ، الف وجد وهيام ، مدنف القلب ودود ، لم يذق طعم هجود ، لا ولا صفو ورود ، سلب الوجد كراه ، هدم الشوق قواه ، حرق التوق حشاه ، وعراه ما عراه ، ودهاه ما دهاه ، وهو لا يغفل عن ذكر الاحباء ، وعن ودّ الأوداء ، وعن عهد الاخلاء ولو جرع كاسات النوى والهجر والبعد مراراً .)

ثم ينتهي الشاعر الى لوحة المدح على النحو الاتي :

(لجناب الماجد المولى الحسيب الطيب الاصل ، النجيب الكامل العقل ، الاديب البارع الحبر ، الاريب الثاقب الرأي ، اللبيب الطاهر الاخلاق والاعراق ، مصباح هدى الامة ، كشاف دجى الغمة ، بالايضاح والحجة ...)

ويسترسل البند في تعداد سجايا الممدوح : الحسب والنسب ، وعلو الهمة ، والعلم والحلم ، والكرم ، ... الخ ويمدها يأتي بالدعاء :

(دام للناس على مرّ الجديدين بقاه وعلاه ، ووقاه الله من كيد عداه ، وكفاه شر من يخشى اذاه ، وحباه ما تمناه بدنياه واخراه ولازال حماه للذي حجّ الى بيت نداه مستجاراً ...)

ثم يشرع في التمهيد لذكر رسالة الممدوح التي كان هذا البند جواباً عنها ، فقال :

(بينما نحن بافكار ، وأشواق وتذكار ، وأتواق الى سلسال ذاك المنهل العذب ، وذاك المندل الرطب ، الذي عبق أهل الشرق والغرب ، وعمّ الناس من عجم ومن عرب ، اذ تشرفنا بطرس تمّ فيه كل انس ، قرب الافراح منا ، ونفى الاتراح عنا ، حيث قد راق لارباب النهى لفظاً ومعنى ، وحوى من جو هر الفكر عقوداً أبهرت معنى وحسنى ، فهو للقلب شفاء ، وهو للعين بلاء ...)

بنية أخرى :

ولعل من أغرب البنود ، في مجال المدح مانظمه ابن الخلفة (ت ١٢٤٧ هـ) في مدح الامامين الكاظمين ، استغرق حوالي ثلاث صفحات ، بدأه بمقدمة غزلية ، لم تخلُ عبارات منها عن الصراحة ، استهلها بقوله : (أيها اللائم في الحبّ ، دع اللوم عن الصبّ ، فلو كنت ترى الحاجبي الزج ، فويق الاعين الدعج ، أو الخدّ الشقيقي ، أو الريق الرحيقي ، أو القد الرشيقي الذي قد شابه الغصن اعتدالاً وانعطافاً ...) ، ومنها من الوصف الصريح : (... ولو شاهدت في لبتها ـ ياسعد مرآة الاعاجيب ، كلها زكياً حقان عاج ، حشياً من رائق الطيب ، أو الكشح الذي أصبح مهضوماً نحيلاً مذ غدا يحمل رضوى ، كفلاً بات من الرض ، كموار من الدعص ، ومرتج بردفين ، عليها ركبا من ناصع البلور ساقين ، وكعبين أديمين ، صيغ فيهن من الفضة أقدام ـ لما لمت محبّاً في ربا البيد من الوجد بها هام ، أهل تعلم أم لا أنّ للحبّ لذاذات ...) ، الى ان يقول ممهداً للمدح : (... ولاعلنت بذكر الشادن الاهيف سراً وجهاراً ، مثل اعلاني بمدحي للامامين الهمامين التقيين النقيين الوفيين الزكيين ، من اختارهما الله على الخلق ...)[٣٧] ، وعلى هذا النحو يسترسل في سرد خصال الامامين (ع) .

وثمة بند آخر ، قصير ، من نظم صالح التميمي (١١٩٠ ـ ١٢٦١ هـ) ، في المدح ، مقدمته غزلية ايضاً [٣٨].

وللشاعر عبد الغفار الاخرس (١٢٢٠ ـ ١٢٩٠ هـ) بند في حوالي صفحتين في المدح ، مقدمته غزلية كذلك [٣٩].

وقد تكون المقدمة مكونة من تاملات ، مشوبة بالغزل وتباريح الحب ، عن طريق الموازنة والتفصيل ، من ذلك ما نظمه السيد باقر بن السيد ابراهيم الحسيني (١١٧ ـ ١٢١٨ هـ) في المدح ، فقال : (انّ أسنى تحف سارت بها الركبان في المشرق والمغرب من فوق متون الاعوجيات العتاق الشزب الضمر ، سير البدر في دائرة القطر ، وأغلى درر حبرها الحبر ، بما جاد به الفكر من السحر ، فازرت بعقود الدرّ والشذر ، على جيد الفتاة الكاعب البكر ...) حتى يصل الى القول (كجذاب الجوهر الفرد الذي طوّق أجياد المعالي ببهاه وعلاه ...)[٨٠]

وقد تقتصر المقدمة على الاشواق ، والوفاء ، والدعاء ، كبند الشيخ مسلم الجصاني : (بدا لي أنني أعرض ما يفرض ، من خير دعاء حسن حسن الرضا ناداه من شوق آليه ، والاجابات دعته وغدت تحمله ريح قبوله ...)[٨١]

وقد يكتفي بمخاطبة احدهم قاصداً الممدوح ، كما ورد في بند الشيخ حميد بن نصار الشيباني (ت ١٢٢٥ هـ) ، الذي بعثه الى أمير خزاعة الشيخ حمد آل حمود :

(ايها الراكب يفري شقق البيد ، على أمثلة السيد ، وأشباه القنا الميد ، من النجب المناجيد ، لك الله وحيّاك ، وأرشدت بمسراك ...)[٨٢] الى ان يقول ، (... هناك أعقل يد البكر ، ويمم واحد الدهر وشاهد ملك الفخر ، وقف والثم الترب ، ولا يزعجك الرعب ...)[٨٣]

وربما تكون المقدمة قصيرة لا تتعدى نصف سطر ، كما في بند الحسين بن علي الفتوني (١٢٧٨ هـ) يمدح آل البيت [٨٣] وقد يكتفي بالحمدلة كما في بند حسن الجسساني (١٣١٣ هـ) الذي كتبه الى ابي الثناء الالوسي [٨٤] وقد يهجم الشاعر على غرضه دون مقدمة ، كما فعل الشيخ محمد يونس الجليحي الحسكي (ت ١٢٤٠ هـ) في مدحه عمر أغا [٨٥]

بنية أخرى :

ولابن الخلفة بند آخر ، فيه ابداع ، وفيه ذكاء ملاحظة ، ودقة وصف ، وفيه طول ، بل هو أطول نص حوته مجموعة « البند في الادب العربي » وهذا البند ، مع ذلك الطول ، كان محبوكاً ، بريئاً من الاسفاف ، وهو ـ وان قيل في المدح ـ لوحات من الوصف ، ونفثات من الصدق ، وتأملات منصفة .

لو تدبرنا هذا البند الذي سُمّي بـ « الرحلة » لالفيناه ، قد جارى قصائد المدح المعروفة في شعرنا العربي ، فالرحلة رحلة الشاعر المدّاح ، ولكن ابن الخلفة تصرّف بلوحات (نص المدح) ، فقد استوحى بيئته (الحلة ـ بغداد) ، فالتقط منها ، بإمعان ودقة ، وكان للشعور الديني ، والعرف السائد في عصره تأثير واضح في ما رسم من صور ، وبنى من عبارات ، وضخّ من قيم ومعتقدات .

استهل ابن الخلفة بنده بوصف جواده وصفاً ينمّ عم معرفة بهذا الانيس الذي كرّمه العرب منذ القديم ، فقال :

(أيا مرتقباً سرج جواد من جياد الخيل طفاح ، رباعياً من الضمر في غرّته النجم اذا لاح ، طويل العنق والساق ، سريع الخطو سباق ، قصير الاذن والظهر ، وسيع العين والجبهة والصدر . فلا الريح يباريه اذا طار ، ولا السهم يجاريه اذا سار ، ولا الطير يجاريه اذا طار ...)[٨٦]

صفات تذكرنا باوصاف الشعراء القدامى للفرس ، أنيس وحدتهم ، وصديق رحلتهم في غزو ، وفي صيد .

ثم يذكر (كتاباً طرزت برد حواشيه يد الودّ ، وحاكته على سبك معانيه نظاماً أنمل الوجد . وقد أجرى عليه ناظر الشكوى نضاراً . صاغه الفكر الذي هذبه الشوق ، وصفاه الهوى في قالب اللطف على جمر لدى الشوق ، باقلام قد انحلها « الباري » من الصدّ ، على طول مدى الفرقة من حدّ ، مدى البعد ، وقد أهدى لهذا الجوهر الفرد ...)

انّ من الرموز الدينية التي ورد ذكرها في هذا البند ، مما ضمّت بغداد وضواحيها بين جوانحها : مرقد الامامين

الكاظمين ، وجارهما ابي يوسف ، وابي حنيفة ، والشيخ معروف الكرخي ، والشيخ عبد القادر الكيلاني رضوان الله عليهم اجمعين .

اما الاماكن التي مرّ عليها ابن الخلفة : جسر الحلة ، نهر النيل ، المحاويل ، خان ابن النجار ، البير ، خان زادة ، خان الكهية ، سوق الجديد حيث يلتقي الشعراء عبد الغفار الأخرس وعبد الباقي العمريّ وعبد الله الخياط ، وهذه اماكن قد اندثر أغلبها ، وتغيّرت معالمه .

أما الاشخاص الذين حظوا باطرائه فهم : حمد الشبل ، والوزير سعد باشا ، والسيد علي النقيب .

لقد سمحت طبيعة البند ـ تحرر من القافية ونظام الشطرين وتواصل التفاعيل ـ لموهبة ابن الخلفة ان تنطلق ، وتعرض كلّ ذلك الكم من المشاهد ، والمشاعر ، والافكار ، واللذعات النقدية ، واللمحات التاريخية ، والمفاهيم الدينية ، زخم حاشد من الصور والرؤى ، لا أدري كيف تأتى لابن الخلفة ، الذي يوصم بالأمية ، أن ينهض بانشائه ، انه ـ اذن ـ لامي عبقري حقاً ، ان صحّ أنه أمي .

لقد أسهم عروض البند المرسل في الاسترسال في صوغ المضامين ، ولو ان الشاعر لم يترك النص عاطلاً ، بل زيّنته دوماً بفواصل سجعية موفقة في أغلبها ، اذ لم تعق نفس الشاعر في انسياب أفكاره ، او تعرقل رسم الصور .

لقد تمثل صدق الشاعر في تفاعله مع بيئته ، بكل أنواعها ، واستطاع ، الى حدّ كبير ، تمثيلها بعفوية ، متحاشياً مزالق المحاكاة ، والسير في ركاب الاخرين ، فوفق في جانبين مهمين : الصدق في تمثيل البيئة ـ كما أسلفت ـ والنجاح في التعبير عن ذاته بامانة ، في عصر اتهم زوراً وبهتاناً بالتقليد والمحاكاة ، بل بالاجترار والاسفاف .

لقد كان ابن الخلفة بمنجىً مما ألزم أغلب شعراء البند أنفسهم به من ختام البند بالراء المنصوبة المطلقة ، وما وقع فيه بنديه من ذلك فكان عفو الخاطر ، شأن السجع الذي يسقط في انشاء الكاتب المترسل ، وهذا بحدّ ذاته مؤشر آخر على استقلالية الشاعر ، وتمسكه بذاته ، وابتعاده عن التقليد .

١ ـ البند العرفاني :

ونمط جديد آخر من البنود ، قال عنها ناظمها السيد علي باليل الحسيني : (هذه نبذة بنود بندتها على بحر الرمل ، وعدتها « ١٠ » بنود غزلاً ومدحاً ، وقد وضعت كل بند منها على « ٤٠ » كلمة ، اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً ، مشيراً في كلّ منها الى مسالة علمية ، أو صناعة بديعية ، والى كلّ من الامرين على العمية)[٨٧] وقد التزم في اواخرها قوافي موحدة هي الراء المفتوحة المطلقة ، مثل : (ذكراً ، فكراً ، حصراً ، خبراً) الخ .

إنّ بنود باليل ـ في واقعها ـ تاملات في الطبيعة والحياة ، فيها عمق في الاستكناه ، ورهافة في تحسّس أخفى العلائق ، وبراعة في مخاصبة الصور والافكار ، كما تمثل أنماطاً من الادب العرفاني الرائع ، لنقرأ ، معاً ، شيئاً من تلك البنود ، مثلاً :

(فتق الغيث عيون النرجس الغض ، فراحت شاخصات تنظر الاثار بالاحداق والافكار ، مثل العالم يتلو زبر الحمد خشوعاً ، ونرى الطلّ على حافاته كالدمع في الجفن ، سقى الله أويس النرجس الغض زلالاً ، مالها عن رية النرجس كالانسان ذكراً)[٨٨]

تشبيه صورتين محسوستين ، ولكن وجه الشبه بينهما مما يستشعر تاملاً : للنرجس عيون أينعت بعد مطر ، كلها بصر تتامل آثار القدرة تلتقط الصور ، وتتدبر الافكار مثل عالم خاشع بين يديه صحف يرتلها ، ويعي بعقله معانيها .

وصورة أخرى : طلّ متساقط على حافات زهرة النرجس ، كدمع في الجفن ، فوجه الشبه ـ هنا ـ قريب محسوس ـ وعادي مالوف ، لا يقترب من وجه الشبه في الصورة الاولى ، دقة وتحسساً .

أما المعنى الثالث في هذا البند فدعاء معلل بالتشبيه ، فالماء الزلال يروي النرجس وينعشه ، كما ينعش ذكر الله تعالى الانسان .

واليك بنداً آخر يحمل في اثنائه شيئاً من التصورات الصوفية ، وعباراتهم المغرقة بالرمزية البعيدة التي تتيح لكل من يسمعها فهماً خاصاً يناسب ادراكه ، وهو :

(واغتدى يقبض بالالحاظ مرضى هذه الأنفس لحظاً ، فعرفناه أن في اللحظ سقيماً ملك الموت وعندي وأنا المغرم باللحظ على اللحظ سؤال ، وهو ان اللحظ في الخير قد استعمل لو اطلق ، والطرف اذا ما يلحظ الصب حياه بمكان الخير شراً .)[٨٩]

في البند اشارة الى دعاء يتداوله الصوفية ، ويعولون عليه كثيراً في شفاء أمراضهم ، ويقصدون العجز في معرفة الحقيقة الالهية ، لا الامراض الجسمية .

البند القومي :

ومن الموضوعات التي عالجها البند المسائل القومية ، فيما كتبه السيد ضياء شكاره (ولد سنة ١٣٢٩ هـ) ، حيث استهل النص بمقدمة عنوانها « يقظة العرب »[٩٠] ثم جاء بعدها باثنين وعشرين مقطعاً ، مستقصياً تجمعات العرب في اماكن استقرارهم ، وهي وفق ماوردت :

المغرب الاقصى ، الجزائر ، تونس ، ليبيا ، مصر ، السودان ،

شنقيط زنجبار، عمان، البحرين الكويت، نجد، الحجاز، عسير، اليمن، عدن ولحج وحضرموت، فلسطين، لبنان، سورية، العرب في تركيا، العرب في ايران، وختمها بـ العراق »، قال في المقدمة :

(ألا يا ساهر الليل، تناجي الليل يقظان، وتقضي الليل حيران، وقد ضاق بك الصبر، وضاع الخبر والخبر، فلا بدّ من الفجر، ليهدي كلّ انسان. فقد طال بك الليل، وما أسعفك النجم، وأمنت فما هنت، فمن عزم الى عزم، فما أرهبك الحكم، ولا روعك السقم، ولا دنت الى الظلم وان مال بتهلان. ولا تسأل عن البرق، وأنّى هو قد لاح، ففي مصر وفي الشام بدا للعين وضاح. يضيء الدرب للركب، ويحيي الأمل العذب، وينجاب به الصعب، ازدهاراً بعد أزمان. ولا تأس على الماضي، فانّ الامر قد جدّ، ولاحت سحب الذر من الافاق تمتد، ولا عتبى ولاعتب. اذا ما افتضح الصب، أو اشتدّ به الكرب، يريد الوحدة الكبرى من « الفاو » لـ « تطوان »، ولا تسأل عن العرب، فما مثلي ينبيك، ويشكيك ويبكيك ولابد من الشرح اذا ما أشكل الأمر.)

وقال في « زنجبار » :

(وأيقظ بعدها في « زنجبار » كلّ مغوار، ونادى [كذا] هل لنا في الدار ديار، له النجدة والباس، ولا يعرفه الياس بقايا العرب من « لخم » و« قحطان » بدوا في سالف الدهر ليوثاً وأسوداً »

وقال في « العرب في تركيا » :

(ويا حاد الى الركب، يثير الهم والكرب، اذا ما ذكر الثغر وانطاكية الثكلى – وبالهفي – وقد اسلمها الغاصب بالقهر، وأقساماً زهت بالعرب اياماً على الدهر، ففي أرض « الرها » مجد، وفجد بديار لبني بكر، وفي ماردين والطور، بقايا الفتح والنصر، قضت والشعب أسوان، ونار القلب بركان.)

وقال في « العرب في ايران » :

(ويا ناع الى « الاهواز » يبكي القطر ولهان، ويقضي العمر حيران، لشعب آمن أرهقه الخسف وأضواه، وزاد الظلم بلواه، وقد اقفرت الدار فلا قربى ولا جار، يضيء الدرب للشعب لينجو بعد أزمان.)

انها تأملات وإماني قومية، أرسلها ضياء شكارة لكلّ أخوته العرب اينما كانوا، يتحسس آلامهم، ويهزج لانتصاراتهم مهللاً لثوراتهم، مشيداً بوقفاتهم، منوهاً باصالتهم، يصب غضبه على اعدائهم تقريعاً لهم.

وهذا ميدان جاسه البند بمهارة وتفوّق، انه ميدان السياسة في صفحاته القومية المشرقة.

واخيراً لم يقتصر شعراء البند على ما ذكرنا من أغراض، وانما تناولوا موضوعات للقريض فيها جولات ايضاً، كالرثاء والهجاء، والاخوانيات كالمراسلات، والتقريظات والتندر.

إلا ان البند لم يتميز في معالجتها شكلاً ومضموناً، فآثرت الاكتفاء بما تناولته آنفاً من اغراض، اذ لمست فيها أشياء انفرد بها البند، دون الشعر القريض.

الخلاصة

« البند » نوع أدبي، بلورته عوامل ثقافية واجتماعية في العراق، ابان العصر الوسيط (القرن الحادي عشر – الثاني عشر الهجري) وأحتاز أفضل ما اختص به شقا الادب : النثر والشعر، فأخذ من الأول انسابيته، وفواصله، وترابطه، وفواصله السجعية وتلونها، ومن الثاني : ايقاعه الموسيقي، وشفافيته، وأرق بحوره، مستبعداً فجوة شطريه، عازفاً عن رتابة قوافيه، كما نشط في علاج خير أغراضه، بمنهجية مخترعة، وبنية مبتكرة، ولا سيما في المدح، والعرفان، والميدان القومي.

للبند نصوص في القرن الحادي عشر، هي ما نظمه معتوق الموسوي (١٠٢٥ – ١٠٨٧ هـ)، ولكن وجوده قد سبق ذلك بعقود وعقود، قد تتصل بالشاعر روحي البغدادي، والشيخ حمزة البغدادي، ولكن تبقى جذور البند ممتدة الى القرن الرابع الهجري، في محاولات حفظتها مصادر لنا، في ما كتبه ابن دريد او الباقلاني، والمعري رواية عن تلميذه ابن سنان الخفاجي، وبذا يكون العصر العباسي الوعاء الذي تفجّر فيه هذا الفن، في وقت يلحظ ناظموه آيات كريمة توافق إيقاعها مع الأوزان العروضية، فكانت إنماطاً تسهل محاكاتها.

ومع كلّ ما مرّ يبقى فناً انطلق من العراق، وانحدر نحو جنوبه، والخليج العربي، ولم تكتب له السياحة نحو الشام ومصر والمغرب فالاندلس، اذا ان ضجيج فنون اخرى مبتكرة قد غطّى على صوته، كالرباعيات، والمواليات والكان وكان، والقوما، فأخمل ذكره، وزهد الشعراء في نظمه، زيادة على موقف المحافظين من الادباء والمؤرخين ازاء كل جديد، ذلك الموقف الذي يتجسد بالمحاربة والتجاهل، كما حدث للموشحات، بل كما حدث للشعر الحر في عصرنا.

لقد أخبرني من أثق به ثقة كبيرة، ممن زامل روّاد الشعر الحر في العراق، بدار المعلمين العالية في الاربعينيات، وبخاصة بدر شاكر السياب ونازك الملائكة، ان اساتذتهم، وفي مقدمتهم د. محمد مهدي البصير، وكمال الجبوري، كانا يرددان على مسامعهم نصوصاً من البند، وبالاخص بند ابن الخلفة : « ايها اللائم في الحبّ، دع اللوم عن الصبّ ... الخ »، وهذا كاف، لان يُعدّ البند من ملهمات فكرة الشعر الحر لروّاده في العراق وفي الستينيات عندما ألفت نازك الملائكة كتابها « قضايا الشعر المعاصر » ظهر اعجابها بالبند،

وتجسّد ذلك الاعجاب في إفراد فصل في كتابها ، أسمته « البندو مكانه من العروض العربي » عرضت فيه فكرة امتزاج بحري الهزج والرمل في وزنه ، ردّاً على من ذهب الى هزجية وزنه باختلال يُدارى بزيادة سبب في أوله .

وقد تكاثرت الاراء في عروض البند ، حتى قيل : إنه دائري العروض ولم يكتف بدائرة المجتلب (الهزج والرمل والرجز) ، بل أقحم « مفعولاتُ التي تشترك مع « مستفعلن » في بحري المنسرح والمقتضب ، وهما من دائرة اخرى ، هي دائرة المشتبه .

مما شجعني على القول : إن بالامكان تصور عروض البند مبنياً على الايقاع المنبعث من طبيعة توالي حركاته وسكناته ، وليس وفق بحر ، او دائرة معينة ، وأعلنت ان هذا الرأي أطروحة تفتقر حالياً ، الى دراسة معمقة ، تبنى على الاستقراء والقياس التقني .

لقد تهيكل البند ، في نصوص ليست بالقليلة ، بنية مكونة من عدة لوحات ، وكان ذلك واضحاً في بنود معتوق الموسوي وأمثاله ، ومنه في المدح حيث خصص اللوحة الاولى لوصف الايات السماوية ، والثانية لوصف الايات الارضية ، والثالثة في نعمة ارسال الرسل ، ثم التسلل فيها الى مدح بركة بن منصور ، الذي استغرق كذلك اللوحة الرابعة ، والخامسة .

وثمة بنية أخرى للمدح ، لا تبدأ بمثل تلك اللوحات ، وانما تتهيكل شكلاً غزلياً مألوفاً منذ أقدم النصوص الشعرية ، وكان ذلك واضحاً في بند ابن الخلفة ، كما مرّ بنا .

أنْ يطرق البند هذا الاتجاه الديني ، وغير الديني ، لهو ـ في حد ذاته ـ لا يخلو من مغزى سياسي ، ورمزية شفافة ، بعيدة قريبة .

بعيدة لانه لم يقتصر فهمه للمقدمة على مسائلها الالهية والبنوية ، مقتنعاً بما ورد فيها من معانٍ عالية باسلوب شيق ، موزون مسجوع ، متذوقاً أجمل ما في الشعر ، وأروع ما في النثر .

وقريبة لانه تعمق الفكرة ، ووعي العصر الذي نظم فيه ، عصر التسلط العثماني ، وتغطرس ولاته ، وما ترزح الامة تحت نيره ، وتقاسي من جبروته .

إنّ في البند لجوءاً واضحاً الى الله سبحانه ، وتشبث برسوله (ﷺ) ، والانسان ـ كل انسان ـ في محنه التي يعانيها ، وشدائده التي يقاسيها احد اثنين : مؤمن قوي الثقة بخالقه تعالى ، فيلجأ اليه سبحانه ملاذاً يدعوه مستشفعاً برسوله ، وقد ينزلق الى معتكفات بعيدة عن المجتمع ومشاكله مترهباً ، والاسلام لا رهبانية فيه .

وآخر رقيق الايمان ، فيهرع بعيداً عن المشاكل ، لا يحاول علاجها ، وقد ينحرف اكثر فاكثر ، فيغرق في آثام الخمرة ، محتسياً ومغازلاً .

ولقد تمثّل هذان التياران في بنود المدح ، ولكن دون انزلاق الى معتكفات ، ولا انحراف نحو آثام الخمرة ، فلقد كانت المقدمات ذات الملامح الدينية ممتلة رائعة ، توسمت قدرته تعالى في مظاهر الكون والطبيعة ، فشكلت تياراً جديداً بمعنى الكلمة .

اما المقدمات الغزلية فكانت مألوفة في عفتها ، وممتادة في صراحتها اذ قرأنا أنماطاً كثيرة تشبهها في الشعر التقليدي .

اما على باليل الحسيني فكان مبدعاً في بنوده التي نظمها على شكل ابتهالات صوفية ، وتأملات عرفانية ، ونبضات فكرية قد صاغها مقاطع ، تكون كل واحد منها من أربعين لفظة ، وحوى فوائد بلاغية وعلمية . وكذلك ضياء شكارة فما أروعه ، وهو يهزج لـ« يقظة العرب » ، ويتفقد جموعهم ، في الوطن العربي ، وخارج الوطن العربي ، في تركيا وايران وزنجبار ، يذوّة باصولهم ، ويتاوه لالامهم ، وهم يتنفسون وجودهم القومي ، يجالدون عبوديتهم ، ويقاومون محتليهم ، ومصادري حريتهم .

ويعدّ هذا من بواكير أدبنا القومي في زمن لم يزل العرب فيه ، يضمدون جراحاتهم ، ويتحسسون كياناتهم ، فكان بند ضياء شكارة صرخة في وجه الاعداء ، وومضة في دياجي الاستعمار .

تلك هي ـ اذن ـ من أبرز الاغراض التي عالجها البند ، لانه تجسّد في فئة منها التجديد في الشكل ، وأخرى في المضمون ، وثالثة في الشكل والمضمون معاً ، في عصر تهرأت فيه القيم السياسية ، وخملت القدرات وترامت نهايته ، او تكاد ، نحو الاضمحلال ، فكان للبند دور واعد بالتطور والانعتاق فكرياً وسياسياً .

الهوامش

(١) اللسان (بند)
(٢) المنجد في الادب والعلوم (البند)
(٣) تكملة المعاجم العربية : ١ /٤٤٩
(٤) المورد ، قاموس انكليزي ـ عربي : ٨٦
(٥) القاموس الوحيد : ١٢٥
(٦) EN YENI BUYUK TURKCT Sozluk
(٧) اصول اللهجة العراقية (مجلة المجمع العلمي العراقي) : ٤٢٠
(٨) البند في الادب العربي ، المقدمة (ف)
(٩) تاريخ الادب العربي في العراق : ٢ /١٨٢
(١٠) نفسه : ٢ /١٨١
(١١) ميزان البند : ٣
(١٢) سورة الاسراء : ١٠٦
(١٣) البند في الادب العربي ، المقدمة (خ)

(١٤) سورة سبا : ١٣
(١٥) اعجاز القرآن للباقلاني : ٥١ ـ ٥٢
(١٦) سورة الطلاق : ٢ ـ ٣
(١٧) سورة الانسان : ١٤
(١٨) اخبار ابي نواس : ٢ /٥٣ ، اعجاز القرآن : ٥٢
(١٩) سورة التوبة : ١٤
(٢٠) سورة الماعون : ١٤
(٢١) اخبار ابي نواس : ٢ و٥٣
(٢٢) اعجاز القرآن : ٥٢
(٢٣) سورة الحاقة : ٤١
(٢٤) سورة يس : ٦٩
(٢٥) اعجاز القرآن ، ينظر : ٥١ ـ ٥٦
(٢٦) اعجاز القرآن : ٥٦
(٢٧) البنود المراقية (مخطوطة) : ٢ (الحاشية)
(٢٨) نفسه ، البند في الادب العربي ، المقدمة (ن ـ س)
(٢٩) اعجاز القرآن : ٥٦
(٣٠) البند في الادب العربي ، المقدمة (س ـ ع) عن وفيات الاعيان لابن خلكان : ٢ / ١٤٣ (بولاق) في ترجمة ابي العز مظفر بن ابراهيم الشاعر العيلاني الضرير (٥٤٤ ـ ٦٢٣ هـ)
(٣١) سر الفصاحة : ١٧٨ ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم : ١٨٩
(٣٢) الادب الاندلسي: ٣٧٣
(٣٣) البنود المراقية : ٢
(٣٤) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي : ٥٣ ـ ٥٤
(٣٥) نفسه ، ينظر : ٣٢ ـ ٣٣
(٣٦) البند في الادب العربي : ١٦١ ، ١٦٦
(٣٧ أ) البنود المراقية ، ينظر : ٤ ـ ٥

(٣٧ ب) لقد حاول بدر شاكر السياب توظيف البحور الممزوجة ، وكذلك ادونيس ، انظر الايقاع في الشعر العربي : ١٨٩ ـ ١٩٨
(٣٧ جـ) الاسطورة في شعر السياب : ٤٩

(٣٨) نفسه : ١٩ ـ ٢٠
(٣٩) البند في الادب العربي ، المقدمة : (ص)
(٤٠) قضايا الشعر المعاصر : ٧٢
(٤١) قضايا الشعر المعاصر : ١٧٣ ، ١٧٤
(٤٢) نفسه : ١٧٤
(٤٣) نفسه : ١٧٥
(٤٤) نفسه : ١٧٥
(٤٥) الخرم ، بالخاء المعجمة والراء : هو حذف حركة من الوتد المجموع في اول بيت
(٤٦) نظم البند : ٥
(٤٧) المصدر نفسه
(٤٨) المصدر نفسه
(٤٩) البند في الادب العراقي : ٢٦ ـ الايقاع في الشعر العربي : ٢٣٥

(٥٠) نظم البند : ٤
(٥١) نفسه : ٤
(٥٢) نفسه : ٤
(٥٣) الايقاع في الشعر العربي : ٨١
(٥٤) نظم البند ، ينظر : ٤
(٥٥) ميزان البند : ٤ ـ ٥
(٥٦) نفسه ، ينظر : ٤ والهامش (٨)
(٥٧) ميزان الذهب : ٧ ـ ٨ .
(٥٨) ميزان البند : ٩
(٥٩) ميزان البند : ٩ ـ ١٠
(٦٠) نفسه ، ينظر : ١٠
(٦١) ميزان البند ، ينظر : ١٠ ـ ١٢
(٦٢) نفسه : ١٣
(٦٣) نفسه
(٦٤) الايقاع في الشعر العربي : ٢٥
(٦٥) في الميزان الجديد : ٢٣٢
(٦٦) نفسه : ٢٣٣
(٦٧) ميزان البند : ٨ هامش (٢٨) ، وزحاف الكف هو حذف السابع الساكن كحذف النون من « مفاعيلن » ، الادب الرفيع : ٢٩
(٦٨) البنود المراقية : ٣
(٦٩) نفسه : ٣
(٧٠) نفسه ٤
(٧١) الايقاع في الشعر العربي : ٢٢٥ ، البند في الادب العربي : ١٩ ـ ٢٦
(٧٢) البند في الادب العربي : ٣ ـ ٧
(٧٣) البند في الادب العربي : ١٠
(٧٤) ديوان العشاري : ٦١٦ ـ ٦٣١
(٧٥) البنود المراقية : ٢ ونسختها في برلين : ٢٢١٥ ص ٤٩٨ .
(٧٦) البند في الادب العربي : (٤٠ ـ ٤٣)
(٧٧) البند في الادب العربي : ٦٧ ـ ٧٠
(٧٨) ، نفسه : ٨٢
(٧٩) نفسه : ٩٤ ـ ٩٦
(٨٠) نفسه : ٤٧ ـ ٤٨
(٨١) البند في الادب العربي : ٥٨ ـ ٦٠
(٨٢) نفسه : ٦٣ ـ ٦٤
(٨٣) نفسه : ٩٧ ـ ١٠٠
(٨٤) نفسه : ١٠٤ ـ ١٠٩
(٨٥) نفسه : ٦٦
(٨٦) البند في الادب العربي : ٧١ ـ ٨١
(٨٧) البند في الادب العربي : ١٩ ، في الهامش ، عن انيس الخاطر وجليس المسافر : ٢٣٩ ، وقد ورد انها مئة وخمسون بنداً ، وقد التزم في آخرها قافية موحدة هي الراء المفتوحة ، وينظر : الايقاع في الشعر العربي : ٢٣٥
(٨٩) البند في الادب العربي : ٢٤
(٩٠) نفسه ، ١٢٥ ـ ١٥٧

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ . أخبار أبي نواس ابن منظور بغداد

٣ . الادب الاندلسي د. مصطفى الشكعة ط ١٤
بيروت ١٩٧٩

٤ . الادب الرفيع معروف الرصافي بغداد ١٣٧٥ / ١٩٥٦

٥ . الاسطورة في شعر السياب عبد الرضا علي بغداد ١٩٧٨

٦ . اصول اللهجة العراقية محمد رضا الشبيبي
مجلة المجمع العراقي مج ٦ ج ٢ ١٣٧٥ / ١٩٥٦

٧ . اعجاز القرآن الباقلاني ط ٣ دار المعارف بمصر

٨ . الايقاع في الشعر العربي مصطفى جمال الدين
النجف ١٣٩٠ / ١٩٧٠

٩ . بناء القصيدة في النقد العربي د . يوسف حسين بكار ط ٢
بيروت ١٤٠٣ / ١٩٨٣

١٠ . البند في الادب العربي عبد الكريم الدجيلي بغداد
١٣٧٨ / ١٩٥٩

١١ . البنود العراقية المحامي عباس العزاوي
مخطوطة دار صدام للمخطوطات رقم ٣٣٦٦٣

١٢ . تاريخ الادب العربي في العراق عباس العزاوي
بغداد ١٣٨٢ / ١٩٦٢

١٣ . تاريخ الادب في ايران
من الفردوسي الى السعدي براون تعريب د . ابراهيم أمين
الشواربي مصر ١٣٧٣ /١٩٥٤

١٤ . تكملة المعاجم العربية رينهارت دوزي تعريب د . محمد
سليم النعيمي بغداد ١٩٧٨

١٥ . ديوان العشاري تحقيق د . عماد عبد السلام رؤوف
ووليد الاعظمي بغداد ١٧٩٧ / ١٩٧٧

١٦ . ديوان ابن معتوق الموسوي ضبطه المعلم سعيد الشرتوني
بيروت ١٨٨٥

١٧ . السبيل معجم عربي فرنسي / فرنسي عربي د . دانيال ريغ
باريس ١٩٨٣

١٨ . سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي تحقيق
عبد المتعال الصعيدي القاهرة ١٣٨٩ / ١٩٦٩

١٩ . في الميزان الجديد د . محمد مندور ط ٣
مطبعة نهضة مصر القاهرة

٢٠ . القاموس الوحيد الماني عربي رياض حيدر ط ٢
المطبعة العصرية بمصر

٢١ . قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ط ٢
بغداد ١٩٦٥

٢٢ . المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد
عبد الباقي بيروت

٢٣ . المورد قاموس انكليزي عربي منير البعلبكي ط ٢٠
بيروت ١٩٨٦

٢٤ . ميزان البند د. جميل الملائكة بغداد ١٣٨٥ / ١٩٦٥

٢٥ . ميزان الذهب السيد احمد الهاشمي ط ١٤
١٣٨٢ / ١٩٦٣

٢٦ . نظم البند خضر عباس الطائي وريقات
ملحقة بمخطوطة « البنود العراقية »

٢٧ . EN YENI BUYUK TURVCE SOZLUK Ferit
DEVELLIOGLU NEVAL Kit.Ckinl Latmbul

***



سامراء في القرون المتأخرة

د. عماد عبد السلام رؤوف
كلية التربية ابن رشد ـ جامعة بغداد

حينما وصلت جحافل المغول الى منطقة دُجَيْل في محرم سنة ٦٥٦ هـ كانون الثاني ١٢٥٨ م كانت سامراء المعدودة ضمن هذه المنطقة، قد امست مجرد قرية عادية، بين مئات القرى التي تقاربها، بل تزيد عليها سعة وكثافة في السكن[١]. وقد وصف الرحالة ابن بطوطة ما آل اليه امرها، عند مروره بها سنة ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٧ م بانها « استولى الخراب على هذه المدينة فلم يبق منها الا القليل »[٢] وبزوال مراكز المدينة القديمة ومعالمها المهمة، ظهر مركز جديد مستقطب حوله من تبقى من اهلها، هو الموضع الذي دفن فيه الامامان علي الهادي بن محمد الجواد (المتوفى سنة ٢٥٤ هـ/ ٨٦٨ م) وابنه الحسن العسكري (المتوفى سنة ٢٦٠ هـ/ ٨٧٣ م) بينما خلت المدينة القديمة من اي مظهر من مظاهر الحياة والعمارة.

وتفيد النصوص التاريخية والبلدانية التي وصلتنا من القرن الثامن، ان اسم « سامراء » لم يعد علماً على اية وحدة ادارية، او منطقة زراعية، وانما توزع اقليمها بين وحدتين، اولاهما « دجيل » ومركزها بلدة « اوانا » والاخرى « حربى » وتقع في أعلى دجيل بين بغداد وتكريت[٣]. وما لبثت الوحدتان ان اندمجتا في تكوين اداري واحد، تحت اسم « دجيل »[٤] فكانت سامراء واحدة من قرى هذا التكوين.

التطور العمراني

وكان وجود اضرحة الائمة (حيث عرف مكانها بالمشهد العسكري) سبباً في ايلاء البلدة شيئاً من الاهتمام في فترات متباعدة، على ان هذا الاهتمام ظل مقصوراً على تعمير المشهد نفسه كلما اصابه وهن، او الزيادة فيه احياناً، ففي سنة ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م قام حاكم العراق الشيخ حسن الكبير باجراء اصلاحات واسعة في المشهد، شملت تزيين الضريح، وتشييد قبة ومآذن، وعمل بهو امام المشهد، ونقل المقابر التي كانت ظاهرة في صحنه الى الصحراء في خارجه[٥]. بيد انه لم يمض الا اقل من نصف قرن على هذا التعمير، حتى غزت العراق جيوش تيمورلنك، لتدمر آخر ما تبقى من حضارة المدن العراقية ومعالمها، فكانت سامراء واحدة من البلدان التي تعرضت الى اعماله التخريبية. ففي رواية متأخرة ساقها مؤرخ عراقي من اهل القرن الثاني عشر للهجرة (١٨ م) « ان آثار غدر تيمور مازالت ماثلة للعيان في سامراء »[٦] وهي اشارة مهمة، لانها تدل على فداحة ما الحقه بها هذا المحتل من خراب ودمار، ونحن نعلم ان تيموراً كان يستهدف في اعماله العسكرية تدمير المدن التي يبدي اهلها المقاومة والكفاح بالدرجة الاولى، فما هي طبيعة ما ابداه اهل هذه البلدة الصغيرة من ضروب المقاومة ياترى حتى استحقوا عليها هذا المصير، ذلك ما طوته صحائف النسيان، وسكتت عنه مصادر العصر. ومن المعروف ان تيموراً دمر مدينة تكريت القريبة تدميراً هائلاً ظلت آثاره مرئية، شاهدة على قسوته لعدة قرون من بعده، وذلك في اوائل سنة ٧٩٦ هـ/ ١٣٩٣ م وان احد قادة جيشه، وهو ابنه شاه رخ، عسكر ـ وهو في طريقه للانضمام الى جيش ابيه ـ في بلدة « اوانا » مركز اقليم دجيل، ثم في « حربي » وكلاهما قريب من سامراء[٧]، فمن المحتمل ان يكون ما اصاب الاخيرة من تخريب قد جرى في اثناء تلك الظروف العصيبة، وبسببها.

وبعد مضي ما ينيف على قرن واحد، عادت سامراء لتشهد من جديد، حركة البنائين، ولتسمع اصوات معاول التعمير. ففي سنة ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م تم صنع صندوق فخم من الخشب المطعم بالفسيفساء، والمزين « بالنقوش الاسليمية والختائية » ليوضع على الضريح، بدلاً من الصندوق القديم[٨].

وامتدت يد التعمير سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م لتشمل الاروقة والقبة والصحن، كما زين الضريح ايضاً(٩). وفي سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م اعيد تعمير ضريح الامام علي الهادي والقبة والصحن(١٠). بيد ان حريقاً شب في المشهد، بعد هذا التعمير، اصاب اخشابه وشعث اركانه، فاستدعى ذلك العناية به، سنة ١١٠٦ هـ / ١٦٥٤ م، عناية شاملة، تضمنت دعم تلك الاركان وتزيينها «بابهى ساج» واحيط الضريح بشباك من الفولاذ، وبلطت الارض بالرخام(١١) وفي سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م زار والي بغداد حسن باشا ضريحي الامامين «فانعم على خادميهما بالحلل الضافية وبث في ساحتيهما النقود النقرة الصافية»(١٢). وفي حدود سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٠ م قام احمد خان الدنبلي، احد سراة خوي وسلماس وارومية، بتعمير المشهد تعميراً بديعاً، اذ وسع صحنه ورواقه، وبنى الحائط المحيط بالحرم بالرخام المصقول، وابدل الاخشاب التي في المقام بالحجر الصوان والرخام، وعمر سرداب الغيبة وبدل بابه الخارجي الذي في صحن العسكريين وجعله عند باب الجامع الكبير وقد استمرت هذه الاعمال حتى سنة ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م، اذ شملت اكساء قبة الامام محمد المهدي بالاجر المزجج (القاشاني) واكمال بناء البهو وابوابه وكتابة الايات على جدرانه(١٣).

وعلى الرغم من التوسعة المستمرة للمشهد العسكري، فإن سجلات الاراضي العثمانية الرسمية، الموضوعة في القرن العاشر للهجرة، تخلو من اية اشارة الى ما عليها من اوقاف، بل انها لا تشير الى «سامراء» نفسها، بينما تذكر قرى قريبة منها، مثل «اوانا» و«صريفين» و«الجوسق» و«حصاية» و«حربي» و«جرم سرية» و«باب الشمال» و«بلاشة» و«بني جعفر» و«قصر سميكة» بوصفها توابع للوحدة الزراعية المسماة «بلوك دجيل من اعمال بغداد»(١٤).

وكان لتحول طرق التجارة بين بغداد والموصل، من الجانب الشرقي لدجلة، حيث تقع سامراء، الى الجانب المقابل، اثره في قلة عدد النازلين بها من التجار والرحالين، خاصة وانه لم يكن ثمة جسر يصل بين الجانبين عصر ذاك، واكثرهم كان يفضل النزول في خرائب قصر المعشوق (العاشق) المقابل لها، من الجانب الغربي، على العبور الى بلدة سامراء، اوان زيارته تكون - للسبب نفسه - وقصيرة خاطفة. ومن هنا جاءت اغلب كتاباتهم عنها مبتسرة، عامة، تعوزها التفاصيل، فالرحالة الفرنسي تافرنييه الذي زارها سنة ١٠٤١ هـ / ١٦٣٢ م لم يلفت نظره الا «ملويتها» الشاخصة، دون ان يمتد نظره ليشمل البلدة الحديثة، وسجل لنا ما كان يعتقده بعض الناس عن دفن اربعين نبياً فيها(١٥)، ولعل شيئاً من الالتباس قد حصل لديه بين سامراء وتكريت، فمن الراجح انه اراد بهذا المدفن الموضع المعروف في تكريت بمقام الاربعين. اما الرحالة الدمشقي مصطفى بن كمال الدين الدمشقي الذي مر بها سنة ١١٣٩ هـ / ١٧٢٧ م فاقتصر في ملاحظاته على تسجيل اعجابه بقبتي الامامين الهادي والعسكري(١٦) ولم يزد على ذلك شيئاً. وقريب منه ما فعله الرحالة عباس بن علي المكي في رحلته سنة ١١٤٨ هـ / ١٧٣٥ م اذ اكتفى بزيارة قبري الامامين، وتقديم نبذة قصيرة حول تأسيس المدينة على يد الخليفة المعتصم(١٧). وعلى الرغم من دقة الرحالة الفلكي كارستن نيبور C. Niebuhr في وصفه المدن، فان وصفه لسامراء سنة ١١٧٥ هـ / ١٧٦١ جاء مبتسراً، اقتصر فيه على التنويه بقبور الائمة وحاول وصف مئذنة جامعها الاثري القديم خارجها «الملوية» مشبهاً اياه ببرج الرصد في كوبنهاكن(١٨). اما الكابتن جون ماكدونالد كينير Kinnier الذي مر بها سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣م فانه وصف مشهدهما بقوله «بناء جميل من طابوق تعلوه قبتان ومنارتان مزينتان بالكاشي الملون الذي يتباهى به العرب، ويبدو بمنظر جذاب حينما تتساقط اشعة الشمس عليه» وعدا ذلك، فانه لم يصف الا اطلال المدينة القديمة الشاخصة خارجها(١٩).

شهدت سامراء توسعاً محسوساً في القرن الثالث عشر للهجرة (١٩ م) ومن المؤكد ان الزيادة المطردة في اعداد زوارها، ممن كانوا يقصدون ضريحي الامامين الهادي والعسكري، كانت سبباً مباشراً في تنشيط حركتها التجارية، ومن ثم زيادة السكن فيها، فاطمع ذلك بعض الجماعات المسلحة غير المنضبطة حولها في مهاجمة دور البلدة واسواقها او فرض الاتاوات عليها، ولذا فقد اتجهت النية الى تسويرها، حماية لاهلها وزوارها من التعديات. وفي حدود سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م انشىء حول سامراء الحديثة اول سور يحيط بها(٢٠) من الاجر والجص. وقد بلغ محيطه كيلومترين، وقطره ٦٨٠ متراً، وارتفاعه سبعة امتار، وله تسعة عشر برجاً، واربعة ابواب متجهة نحو الجهات الاربع المعروفة، هي: باب الناصرية، ويعرف ايضاً بالحاوي، من الشمال، وباب القاطون (او القاطول) من الغرب، وباب الملطوش (بمعنى: المسدود) من الجنوب، وباب بغداد من الشرق(٢١).

وقد سجل الرحالة فيلكس جونز Gones, Felix الذي زار البلدة سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م بعض ما لحقها من توسع في عهده، فنوه بسورها الذي لم يكن قد مضى على بنائه وقت طويل ايام قدومه اليها، واشاد بمتانته، الا انه لاحظ ان هذا السور بعيد نسبياً عن شاطيء النهر، ومن ثم يستطيع الاعداء تخريب القناة التي تأخذ المياه الى البلدة، ومن ثم ارغامها على الرضوخ لمطاليبهم. ووصف قبتي المشهد، معتقداً ان قبة الامام الحسن العسكري كانت مكسوة بالذهب، ثم ازيل(٢٢) وهو اعتقاد غير صحيح لان اكساءها بالذهب لم يجر الا بعد ذلك التاريخ

بمدة ، وعدا ذلك ، فإن اغلب ما ذكره يتعلق بآثار سامراء القديمة : المسجد الجامع (ويسميه المدرسة ايضاً) ومئذنته الملوية ، وقصر الخليفة وقصر العاشق وتل العليج وغير ذلك .

ولاحظ جون أشر Ussher , Gohn الذي مر بالبلدة سنة ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م انها ليست صغيرة بحال ، وان فيها عدداً كبيراً من السكان ، ونوه بكثرة ما حولها من خرائب[٢٣] ولم تمض الا ثلاث سنوات ، حتى قدم الى سامراء الرحالة الهولندي نيجهولت L . Nijholt فاشار الى سورها المستجد ومدافن الائمة فيها ، ويبدو ان نشاطاً تجارياً قد اخذ يبين في هذا العهد ، رغم صغر سوق البلدة يومذاك ، يقول« ان القرية الحاضرة تضم سوقاً صغيرة تتالف من بضعة دكاكين يباع فيها التبغ والرز والتمور والتفاح الاخضر .. الخ »[٢٤] وواضح ان جميع هذه المواد كان مما يجلب الى سوق المدينة من خارج اقليمها نفسه .

وكان المشهد العسكري نفسه قد شهد في السنوات ١٢٨١ - ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٢ - ١٨٦٨ م آخر التعميرات المهمة ابان العصر العثماني ، فقد جرى اكساء قبة المشهد بقطع الاجر المطلي بالذهب ، وتم تعمير الضريح والرواق وترميم الصحن واكساء المآذن وتعمير السور الذي بناه الدنبلي وفتح ابوابه ، وغير ذلك من اعمال اصلاح شامل . وفي سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م استؤنف العمل مرة اخرى بتبرع بعض اهل الخير ، ليشمل اكساء الاروقة بمرايا ذوات اشكال هندسية بديعة ، ونصب الساعة الكبيرة فوق باب القبلة ، وبناء المدرسة والحمام وغيرها . وفي سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م تم وضع المرايا الكبيرة فوق الرخام ، والخطوط المنسوبة حول المشهد .[٢٥]

ومع استمرار تزايد عدد السكان ، امتد السكن الى مناطق لم تكن قد اتخذت لهذا الغرض من قبل . وتوثقت صلات البلدة بما حولها من قصبات وقرى ، فانشيء اول جسر على دجلة يصل بين جانبيها سنة ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٨ م واسست اول شركة لنقل الركاب بين بغداد وسامراء بالطريق النهري سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م وافتتحت دائرة للبرق والبريد سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٨ م كما عرفت البلدة ايضاً عدة منشآت دينية وخدمية اخرى ، منها مساجد وحمام وخان وغير ذلك[٢٦] .

ادارة البلدة :

ليست ثمة معلومات تاريخية عن طريقة ادارة سامراء في الحقبة اللاحقة للعصر العباسي ، ومن المرجح لدينا - بناء على امثلة مشابهة - انها كانت تدار من قبل « ناظر المشهد » الذي هو - في الوقت نفسه - زعيم العشيرة الاقوى في البلدة . اما في العصر العثماني ، فان لدينا من النصوص ما يشير الى انها كانت تعهد الى موظف بلقب (ضابط) يتبع ولاة بغداد مباشرة[٢٧] وان في معيته نحو الف رجل مسلح ، من غير السكان[٢٨] . ويظهر ان تعيين الضباط في هذا المنصب كان يجري وفقاً لنظام الالتزام ، وهونظام اقطاعي مالي واداري في وقت واحد ، ويذكر جونز ان البلدة اقطعت في وقت زيارته لها سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م الى ضابط لقاء مبلغ (٢٨٠,٠٠٠) قرش او ما يعادل (٦٦٠) باوناً استرلينياً تقريباً[٢٩] وفيما عدا ذلك المنصب ، فإن « ناظر المشهد » كان له ثقل واضح في تسيير شؤون البلدة ورعاية مصالحها ، وقد تولت عشيرة عرفت بـ« القوشجية » (وهي تسمية تركية تعني حرفياً اصحاب الطيور) سدانة المشهد المذكور منذ عهد بعيد ولكن نظراً للمشاكل التي حدثت في عهدهم ، فإن تحالفاً جرى بين بعض عشائر البلدة الاخرى ، منهم البو صالح والبو عباس (وهما عشيرتان حسينيتان) لإخراجهم ، وقد اخرجوا منها بالفعل في زمن غير محدد لنا ، ليتولاها رجال من البو صالح ، وكادت مذبحة دبرها خصومهم ان تقضي على البو صالح ، الا ان الاخرين تمكنوا من العودة الى السلطة بدعم مباشر من داود باشا آخر ولاة المماليك في بغداد سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م ليتولونها دونما انقطاع[٣٠] .

ويشير مؤرخ بغدادي ، من اهل القرن الثالث عشر للهجرة (١٩ م) هو عبد الرحمن حلمي العباسي الدوري الى ان جداً له ، هو الشيخ محمد صالح العباسي المعروف بالخطيب البغدادي ، او خطيب دار السلام كان « حاكماً اقطاعياً يحكم الدور وسر من رأى وتكريت والدجيل وما والاها شرعاً وادارة ولقب بمتولي الدور وسر من رأى وتكريت والدجيل ومتسلمها وقاضيها الى غير هذه الالقاب التي كانت تختلف باختلاف تولي الولاة مدينة بغداد »[٣١] فإن صحت هذه الرواية ، تكون ادارة سامراء قد فوضت ، في فترات من الحكم العثماني ، الى رجال من اهل اقليمها ، جمعوا بين ايديهم السلطات الادارية والشرعية على حد سواء ، بموجب نظام الالتزام نفسه ولذا فلم يكن ثمة تحديد دقيق لالقاب هؤلاء الادارية .

وبموجب التنظيمات الادارية الحديثة التي طبقت في العراق في اواخر العصر العثماني ، عدت سامراء مركزاً لقضاء باسمها ، شمل ناحية واحدة ، هي تكريت . وتقدم لنا سالنامات ولاية بغداد (اي كتبها الرسمية السنوية) اسماء عدد كبير من القائممقامين فيها ، اولهم سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م سامي افندي ، وآخرهم صالح افندي . وهو آخر قائممقاميها العثمانيين وقد غادرها قبيل احتلال البريطانيين لها سنة ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧ م[٣٢] .

التكوين الاجتماعي

تناقص عدد سكان سامراء بسرعة فائقة منذ ان غادرتها الخلافة بمؤسساتها وجندها ، ولم يبق من سكانها الكثيرين ، الا قلة من الناس تجمعوا في حي او حيين من احيائها القديمة ، احدهما حي « العسكر » (وهو الذي نسب اليه الامام الحسن العسكري)[٣٣] الذي تحول ، مع مرور الوقت ، الى بلدة سامراء الحديثة كما عرفت في القرون المتاخرة .

وليست ثمة نصوص تاريخية توضح الاصول الاجتماعية لتلك القلة الباقية من السكان ، فالعلماء والشعراء الذين عاشوا في العصر العباسي وما بعده ممن وردت اخبارهم في كتب التراجم ، سكتت تلك الكتب عن ذكر انساب اغلبهم واكتفت بذكر نسبهم الى المدينة كما هي عادتها في اكثر الاحوال . ويفيد الماثور المتواتر لدى اهل سامراء[٣٤] ان هؤلاء السكان كانوا يشكلون مجموعة متحدة النسب رافقت ركب الامام علي الهادي من الحجاز الى مستقره في سامراء ، وقد تولى احفاد الامام المذكور ، او اقارب لهم ، ينتمون جميعاً الى الامام موسى الكاظم ، نقابة الاشراف في سامراء في العصر العباسي[٣٥] وبعد زوال مؤسسة النقابة في العصر التالي ، وبروز مؤسسة السدانة بدلها ، تقاسم هؤلاء ، وقد اصبحوا عدة من العشائر المستقلة ، مسؤولية حماية « المشهد » وادارته ، وبالمقابل فإنهم تقاسموا ما كان يرده من اموال المتبرعين ، وهكذا كانت عشيرة (البو صالح) تتولى السدانة (الكليدارية) ولها ـ على ذلك ـ ربع اموال المشهد ، بينما يحصل (البو نصيف) وهم فرع آخر من البو صالح ، على ربع آخر ، ويحصل كل من عشيرة (البو باز) وعشيرة (المشاعشة) على الربعين المتبقين ، واذ كنا لا نملك تحديداً لتواريخ هجرة العشائر او استقرارها ، فإن في وسعنا ان نعد تقاسم هذه العشائر الحسينية مسؤولية السدانة قرينة مهمة تدل على قدم وجودها في سامراء ، بل ربما كانت اقدم العشائر سكناً في البلدة . وثمة موارد اخرى ، ذات صفة ثانوية ، تقاسمتها عشائر اخرى ، وهم البو عباس ، والبونيسان ، والبوعاصي ، فضلاً عن حصة رابعة لالبو صالح ايضاً ، ومن ثم فإنهم من العشائر القديمة في سامراء ، وربما قاربت في قدمها تاريخ العشائر المتقدمة ، وعدا ذلك ، فثمة عشائر حسينية اخرى لم تكن لها صلة مالية بالمشهد ومن المرجح انها قديمة الاستيطان في سامراء ايضاً ، كالبو دراج والبو اسود والبو عيسى والبو عظيم[٣٦] .

وتقيم هذه العشائر في تجمعات خاصة بها داخل اسوار مدينة سامراء ، ويرتبط بكل تجمع باب من ابوابها ، فالبو بدري والمشاعشة يختصون بباب الناصرية ، والبو عبد الرحمن يختصون بباب الملطوش ، والبونيسان والبوعباس يختصون بباب القاطون ، بينما يختص البوباز والبوعظيم بباب بغداد ، على ان ذلك التوزيع لا يمنع وجود مجموعات من عشائر اخرى في البلدة[٣٧] .

وعلى الرغم من عدم وجود احصاء ، او حتى تقدير رسمي ، لعدد السكان في سامراء حتى آخر العصر العثماني ، فإن في وسعنا ان نخمن هذا العدد وفقاً لكتابات بعض السياح والرحالين الذين مروا بالبلدة منذ القرن الثالث عشر للهجرة (١٩ م) . ويذكر كينير سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ان سامراء تحتوي على الفي نسمة[٣٨] ويفيد المنشي البغدادي ان عدد بيوت سامراء ، في ايام كتابته رحلته سنة ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م ، بلغ الفي بيت (اي ما يزيد على عشرة آلاف نسمة) وان زوارها كانوا يقدرون بنحو ثلاثين الف نسمة[٣٩] ، ولا شك في وجود مبالغة في هذا التقدير ، بالنظر لصغر المساحة المأهولة من البلدة عهدذاك ، ولإختلافه مع التقديرات المتقدمة واللاحقة مما اورده الرحالون المتعاقبون .

وكانت سامراء قد اخذت بالتوسع والنمو في منتصف القرن الثالث عشر (١٩ م) فبلغ عدد سكانها ـ وفقاً لتقدير جونز ـ ٢٥٠ بيتاً ، اي نحو الف وخمسمائة نسمة ، اضافة الى الف نسمة آخرين يظهر انهم كانوا مكلفين بحماية البلدة[٤٠] وقد زاد هذا العدد في النصف الثاني من القرن المذكور ليصل ـ حسبما ذكر نيجهولت سنة ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م ـ الى ٤٠٠ اسرة[٤١] ، وهذه زيادة مهمة اذا قورنت بالتقديرات السابقة . وقد استمر العدد بالزيادة ، حتى بلغ ـ بموجب اول احصاء رسمي سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٠ م (٧١٨٧) نسمة[٤٢] .

الحياة الثقافية :

ثمة اشارات مهمة تدل على استمرار الحياة الثقافية في سامراء حتى في ظل اكثر حقب تاريخها ركوداً ، فممن نوهت بعلمهم وفضلهم كتب التاريخ والتراجم من اهل العلم والادب في هذه البلدة ، الشيخ اسماعيل بن جعفر بن عبد الرزاق السامري (توفي سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) وكان نحوياً مقرئاً اديباً ، له تصانيف في القراءات وشعر[٤٣] . والشيخ الصدر الاديب سيف الدين احمد بن محمد السامري كان تاجراً اديباً شاعراً ، عاش ربحاً من حياته في بغداد ، ثم هاجر الى حلب حيث حظي عند صاحبها الناصر ، واشتهر بجزالة شعره ، ونظم ارجوزة عرفت بالسامرية (نسبة الى سامرا) فضح فيها خصومه ، وكانت له اوقاف واملاك وثروة . وله اخ اقام في اليمن مدة ، يدعى نور الدين السامري ، لم نقف على ترجمته . وتوفي سيف الدين سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٧[٤٤] . ومنهم ايضاً كمال الدين ابو غالب هبة الله بن علي بن عبد الله السامري البغدادي (ولد سنة ٦١٦ هـ وتوفي سنة ٦٩٨ هـ / ١٢١٩ ـ ١٢٩٨ م) « وكان شيخاً عالماً فقيهاً زاهداً عابداً جليلاً ثقة ، من بيت العلم والحديث » . والشيخ جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود العبادي العقيلي السامري (ولد سنة

٧٧٦ هـ / ١٢٩٦ - ١٣٧٤ م) وكان شيخاً حافظاً محدثاً له مؤلفات تزيد على مائة مصنف في بضعة وعشرين علماً ، اخذ عنه كبار علماء عصره ، منهم الحافظ الذهبي وغيره[٤٥] . ومنهم ايضاً الشيخ عز الدين عبد العزيز بن ابراهيم بن لي السامري (القرن السابع للهجرة)[٤٦] والشيخ خليل الخطيب بن محمد بن ياسين السامري (كان حياً سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م) وكان عالماً بارزاً « له رواية من كتب حديث وفقه وتفسير وآلات وانشاء وتحرير »[٤٧] .

واذا كان بعض هؤلاء الفضلاء ممن قضى شطراً من حياته خارج بلدته الاولى ، وان نُسب اليها ، فإن البلدة نفسها لم تعدم وجود علماء وكتب وتدريس وقد وقفنا على خبر خزانة كتب في سامراء للشيخ احمد بن احمد ابان اواخر القرن العاشر للهجرة (١٦ م) وعلمنا ان كاتباً يدعى عبد الله بن احمد الطارفي كان ينسخ الكتب برسم هذه الخزانة ، ومن تلك الكتب « الروض الفائق في المواعظ والرقائق » تاليف : شعيب الحريفيشي المتوفي سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م وقد انجز نسخه سنة ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩ م[٤٧] .

وثمة مخطوطات في المكتبة القادرية ببغداد ، انتقلت اليها من خزائن كتب علماء سامرائيين من اهل القرن الثاني عشر للهجرة (١٨ م) منهم السيد حسين بن السيد عبد الرحمن خطيب الامامين العسكريين سنة ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م ، والسيد حبيب بن الملا علي خطيب سامراء سنة ١١٩٦ هـ / ١٧٨١ م[٤٨] .

ويظهر ان البلدة لم تخلو - ابان تلك الحقبة - من جهة تدريس او مدرسة ، ففي اول مخطوطة « الهدية السفرية والحضرية في شرح القصيدة الرائية المضرية » الموجودة في خزانة المرحوم السيد محمد سعيد الراوي ببغداد نقراً تمليكاً لمن يدعى « ناصر الدين الحسيني المدرس في سامراء » مؤرخ في سنة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م[٤٩] وآخر ما وصلنا من اخبار خزائن الكتب فيها ، خزانة مفتيها الشهير عباس حلمي القصاب (ولد سنة ١٢٧٦ وتوفي سنة ١٣٣٥ هـ / ١٨٥٩ - ١٩١٦ م) التي احتوت على مجموعة ضخمة ونفيسة من المخطوطات ، تبدد معظمها ، ونقل منها - بعد وفاته - ما قدر بخمسها الى بغداد[٥٠] ، ومثلها ايضاً خزانة كتب الشيخ احمد بن محمد امين الراوي (ولد سنة ١٣٠٠ وتوفي ١٣٨٥ هـ / ١٨٨٢ - ١٩٦٦ م) وفيها عدد من الكتب الخطية المهمة[٥١] .

وفي اواخر القرن الثالث عشر انشئت في سامراء مدرستان دينيتان على مستوى رفيع ، اولاهما المدرسة العلمية المؤسسة سنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧١ م والاخرى المدرسة العلمية المعروفة بالحميدية ، المؤسسة سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م وقد خرجت كل واحدة منها اجيالًا من العلماء ، وحوتا خزانتي كتب فيها مخطوطات قيمة ، ونشرت فهارسهما منذ حين[٥٢] . وفضلًا عن ذلك ، فقد كانت ثمة مدرسة رسمية أولية تدرس فيها مبادىء العلوم باللغة التركية[٥٣] .

وليس ادل على نماء البيئة الثقافية في سامراء في هذه الحقبة ، وتوفر عناصرها ومحفزاتها ، تلك الكثرة من العلماء والادباء والشعراء والمؤلفين الذين نبهوا فيها ونبغوا ، واكثرهم ممن خضرم العهدين العثماني والوطني ، وحفلت بهم كتب التراجم ومعاجم المؤلفين[٥٤] .

الهوامش :

(١) ثمة نصوص تاريخية وبلدانية عديدة تشير الى ان عملية اضمحلال سامراء وخرابها بدأت بعد ان غادرتها الخلافة العباسية في القرن الثالث للهجرة (٩ م) مباشرة ، يقول ابن حوقل (القرن ٤ هـ) « ومدينة سر من رأى في وقتنا هذا مختلة واعمالها وضياعها مضمحلة ، قد تجمع اهل كل ناحية منها الى مكان لهم به مسجد جامع وحاكم وناظر في امورهم ، وصاحب معونة يصرلهم في مصالحهم .. » وكتب معلق غير معروف بعد هذه العبارة قوله « وهي الآن خراب اكثرها » (صورة الارض ٢١٨) وقال ابن جبير في رحلته سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م « هي اليوم عبرة من رأى .. مدينة كبيرة قد استولى الخراب عليها الا بعض الجهات منها هي اليوم معمورة » (رحلة ابن جبير ، بغداد ١٩٣٠ / ١٨٥) وقال ياقوت الحموي يصف تطورها « فخربت حتى لم يبق منها الا موضع المشهد .. ومحلة بعيدة منها يقال له كرخ سامراء وسائر ذلك خراب يستوحش الناظر اليها .. » ونقل عن الحسن المهلبي قوله ان الموضع الماهول من خرائب المدينة القديمة « مقدار يسيرة في وسطها » (معجم البلدان ٣ / ١٧٧) .

(٢) ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار (القاهرة ١٩٢٨) ١ / ١٤٧ .

(٣) انظر العاني ، نوري عبد الحميد ، العراق في العهد الجلائري (بغداد ١٩٨٦) ٢٢٠ .

(٤) مكاتبات رشيدي ٢٠٣ .

(٥) انفرد الشيخ محمد السماوي (١٨٧٧ - ١٩٥٠) بوصف هذا التعمير في منظومته المطولة المعنونة « وشايح السراء في شان سامراء » (انجف ١٩٤١) ٣١ .

(٦) تفضي زاده ، مرتضى : كلشن خلفاً ، ترجمة موسى كاظم نورس ١٦٩ .

(٧) انظر مهاوي ، جاسم : تريخ الغزو التيموري للعراق والشام ، اطروحة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب بجامعة بغداد ، ط . رونيو ١٥٥ .

(٨) آل طعمة ، عبد الجواد : تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام (بغداد ١٩٤٩) ٢٤٧ .

(٩) السماوي : وشايح السراء ٣٢ والمحلاتي ، ذبيح الله : مآثر الكبراء في تاريخ سامراء (النجف ١٣٥٠ هـ) ٣٢٠ .

(١٠) السماوي ٣٢ .

(١١) اسماوي ٣٢ والمحلاتي ٣٢٢ وورد في نبذة خطية للشيخ محمد صالح السهروردي اودعها في أخر مخطوطته « اعمال الاجداد في محلات ومعاهد وآثار .. بغداد » (الجزء الثاني) ان تاريخ هذا التعمير هو سنة ١١٠٩ هـ (١٦٩٧ م) وانه اقتصر على عمل صندوق « فيه بعض تحارير ذهبية وفضية » على قبرى الامامين العسكري والهادي .

(١٢) السويدي ، عبد الرحمن : حديقة الزوراء جـ ١ (بغداد ١٩٦١) ٣٠ .

(١٣) السماوي ، ٣٢ – ٣٣ والمحلاتي ٣٢٤ .

(١٤) Basvekalet Arsiv Dairesi , Tapu Defteri الدفتر ، الورقة ٣١ .

(١٥) تافرنييه ، جان بابتست : العراق في القرن السابع عشر (ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ١٩٤٩) ٧٠ .

(١٦) كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان مخطوطة كامبردج (مصورة في المجمع العلمي العراقي) الورقة ١٩ .

(١٧) نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس ج ١ (النجف ١٩٦٧) ١٨٣ .

(١٨) خياط ، جعفر : سامرا في المراجع الغربية . موسوعة العتبات المقدسة قسم سامراء (بغداد ١٩٦٦) ٢٩٢) .

(١٩) المصدر نفسه ٢٩٤ .

(٢٠) يذكر ذبيح الله المحلاتي (مآثر الكبراء ١٢١) انه كان على سامراء في حدود سنة ٦٦٠ هـ سور ، وهو يرى ان هذا السور بقي اما ناقصاً او غلب عليه الخراب الى زمن انشاء سور البلدة الحديث .

(٢١) المحلاتي : مآثر الكبراء ١١٨ – ١٢٠ والسامرائي ، يونس ابراهيم : دليل سامراء (بغداد ١٩٦٢) ١٣ – ١٦ .

(٢٢) خياط ، جعفر : المصدر السابق ٢٩٤ .

(٢٣) المصدر نفسه ٢٩٥ .

(٢٤) المصدر نفسه ٢٩٦ .

(٢٥) المحلاتي : تحفة الكبراء ٣٢٤ – ٣٢٦ والسماوي : وشائح السراء ٣٢ .

(٢٦) السامرائي ، يونس ابراهيم : تاريخ سامراء ج ٢ (بغداد ١٩٧١) ٢٢٣ – ٢٢٦ .

(٢٧) المنشي ، محمد بن احمد : رحلة المنشي البغدادي ، ترجمة عباس العزاوي ، ٩٩ .

(٢٨) خياط ، جعفر : المصدر السابق ٢٩٩ عن رحلة فيلكس جونز .

(٢٩) المصدر نفسه ٣٠١ .

(٣٠) السامرائي : تاريخ سامراء ٢ / ٢٥٤ – ٢٥٥ .

(٣١) حلمي ، عبد الرحمن : تاريخ بيوتات بغداد ص ٩٥ بتحقيقنا (بغداد ١٩٩٦) وانظر ايضاً محمد صالح السهروردي : ترجمة الشيخ عبد المحسن السهروردي ، نشرها في أخر كتاب « نجاة الناس بكلمة الاخلاص » لعبد المحسن المذكور (بغداد ١٣٤٥ هـ) ص ٤١ حيث ورد فيه لقب الشيخ محمد صالح على النحو الاتي « قاضي سامراء والدور العليا وتكريت » .

(٣٢) كتابنا : الاسر الحاكمة ورجال الادارة في العراق ابان القرون المتاخرة (بغداد ١٩٩٢) ١٠٧ .

(٣٣) ياقوت : معجم البلدان ٤ / ١٢٣

(٣٤) السامرائي : تاريخ سامراء ٢ / ٢٣٧ .

(٣٥) كمونه ، السيد عبد الرزاق : موارد الاتحاف في نقباء الاشراف ج ٢ (النجف ١٩٦٨) ٣ – ٥ .

(٣٦) ينظر عن عشائر سامراء في السامرائي : تاريخ سامراء ٢ / ٢٣٧ – ٢٧٢ .

(٣٧) الدجيلي ، كاظم : ماذا يرى اليوم في سامراء ، مجلة لغة العرب المجلد ١ (العدد ٣ ايلول ١٩١١) ١٤٠ – ١٤١ .

(٣٨) خياط ، جعفر : المصدر السابق ٢٩٣ .

(٣٩) رحلة المنشي البغدادي ٨٨ .

(٤٠) خياط : المصدر السابق ٢٩٩ .

(٤١) المصدر نفسه ٣٠٤ .

(٤٢) السامرائي : تاريخ سامراء ٢ / ٢٢٦ .

(٤٣) السيوطي ، عبد الرحمن : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (القاهرة ١٣٢٦ هـ) ١٩٤ .

(٤٤) الكتبي ، ابن شاكر : فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ج ١ (بيروت ١٩٧٣) ١٢٤ – ١٤٠ .

(٤٥) السيوطي : بغية الوعاة ٤٢٣ وابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ (بيروت ١٩٧٩) ٣٤٩ .

(٤٦) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب ، تحقيق مصطفى جواد (دمشق ١٩٦١) ١ / ٢٠٥ .

(٤٦ أ) مجموعة السيد عبد الفتاح الواعظ (نسخة مصورة لدى كاتب البحث) الورقة ٥٠ .

(٤٧) ويقع في ٥٤٢ ص ٢ وهو برقم (٩٣٤٨) النقشبندي ، اسامة وظمياء عباس : مخطوطات الادب في المتحف العراقي (الكويت ١٩٨٥) ٣٢٠ .

(٤٨) كتابنا : الاثار الخطية في المكتبة القادرية ج ٣ (بغداد ١٩٧٩) ٧٨ – ٨٠

(٤٩) كتابنا : مخطوطات العلامة محمد سعيد الراوي ، مخطوط معد للنشر

(٥٠) حين استقرت في مكتبة الغربية الاسلامية ، وقد قام كاتب البحث بفهرسة مخطوطات هذه المكتبة ، وبضمنها مخطوطات السيد عباس حلمي القصاب التي تبلغ وحدها ١٦٥ مخطوطة الاثار الخطية في دار التربية الاسلامية ببغداد ، مجلة المورد ٦ (١٩٧٧) ع ١ ، ص ٢٢٣ – ٢٠٧ وع ٢ ص ٢٦٥ – ٢٩٨ .

(٥١) يبلغ عددها ٢٥ مخطوطة بحسب الفهرس الذي وضعه الشيخ يونس ابراهيم السامرائي : تاريخ سامراء ج ٣ (بغداد ١٩٧٣) ص ٢٣١ وقد افرد هذا الفهرس في رسالة بعنوان « تراث سامراء »

(٥٢) يبلغ عددها ١١٥ مخطوطة بحسب الفهرس السابق ص ٢٢٣ – ٢٣٩ .

(٥٣) مجلة لغة العرب ، المجلد ٢ (ع ٤ لسنة ١٩١١) ص ١٤٢ .

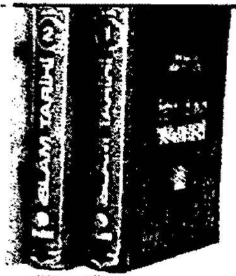
(٥٤) انظر عواد ، كوركيس : معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج ٢ (بغداد ١٩٦٩) ص ٢٤ – ٣١ والسامرائي : يونس ابراهيم : تاريخ شعراء سامراء منذ تاسيسها حتى اليوم (بغداد ١٩٧٠) في مواضع عدة .

• هذا المقال هو فصل من فصول البحث في جوهر التثاني بين الانا والاخر .

●●●

الطب والاطباء العرب(*) في القرن السابع الهجري

د . كمال السامرائي



القسم الثاني

ابن الصوري(٣٤) ـ هو ابو المنصور رشيد الدين بن علي الصوري .

طبيب وعشاب وشاعر ، وقد ولد بصور ونشأ فيها ثم انتقل الى دمشق وفيها درس الطب على موفق الدين بن عبد العزيز في البيمارستان النوري ، كما درسه على عبد اللطيف البغدادي . ورحل الى القدس وعمل في بيمارستانها ، وأخذ فيها عن العشاب الشيخ أبي العباس الجياني . وخدم بطبه ملك القدس ابي بكر بن ايوب ، وصحبه الى مصر ، وفيها خدم لابنة الملك المعظم عيسى ثم لابنة الملك الناصر داود فنصبه هذا الملك رئيساً لاطباء مصر ، وعاد ابن الصوري الى دمشق واقام فيها مجلساً لتعليم الطب . واعمال ابن الصوري المقدمة اهتمامه بالاعشاب والنباتات الطبية ، وكان يدرسها في الوديان وعلى الجبال بسوريا ولبنان ويوثق صفاتها برسم نبتها بالاصباغ بحسب الوانها في تتابع نموها وعند اكتماله وبعد جفافه فصار له معلومات وفيرة عن طبيعتها ضمنها كتاباً يعتبر اول كتاب مصور في النبات باللغة العربية ـ وتوفي ابن الصوري سنة ٦٣٩هـ(١٢٤١م) ومن تلاميذه ابن ابي أصيبعة . ومن مؤلفاته كتاب الادوية المفردة وهو الذي ادخل فيه صور الاعشاب الطبية وجعله بأسم مخدومه الملك المعظم الايوبي ، وله ايضاً تعاليق ووصايا كتبها لابن ابي اصيبعة ، وكتاب آخر فيه على كتاب(البلغاري)في الادوية المفردة .

أبو الحسن بن غزال(٣٥) ـ

ويلقب بامين الدولة ، وهو ابن ابي سعيد السامري ، وقد اسلم ثلقب لفرط أدبه ووفر علمه بكمال الدين ، وخدم الايوبيين في بعلبك وعند ملكها اسماعيل بن الملك العادل . وكان ولوعاً باقتناء الكتب ويستخدم لها العديد من النساخ ، فصارت له مكتبة ضخمة تضم فيها عشرين الف مجلد . وتوفي الصاحب بدمشق في ايام الملك نجم الدين ايوب سنة ٦٣٥هـ(١٢٤٠م) وله من المؤلفات : كتاب النهج الواضح في الطب وهو بخمسة كتب في الامور الكلية بعلم الطب ، وعلامات الامزجة المختلفة وفي الادوية المفردة والمركبة ، وفي تدبير الاصحاء وعلاج المرضى بالادوية والعمليات الجراحية ، وفي الامراض الباطنة والسموم والزينة .

شرف الدين الرحبي(٣٦) ـ

هو ابو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة ، ولد بدمشق ونشأ على مثل ابيه خلقاً وعلماً ، كما قرأ على عبد اللطيف البغدادي ، وعمل من البيمارستان الكبير النوري ، ورأس مدرسة الدخوار بعد وفاته ، وتوفي بعلة ذات الجنب بدمشق بعمر الثمانين وله من المؤلفات : كتاب في خلق الانسان وهيئة اعضائه ، وحواشي على كتاب القانون لابن سينا ، وحواشي على شرح ابن ابي صادق النيسابوري لمسائل حسين بن اسحاق .

ابن قاضي بعلبك(٣٧) ـ

هو بدر الدين بن القاضي مجد الدين ، وقد نشأ بدمشق وتعلم فيها الطب على مهدي الدين الدخوار ، وخدم الملك الاشرف موسى بن الملك العادل ، كما اشتغل في بيمارستان الرقة وصنف فيها مقالة في طبيعة هذه المدينة . وفي دمشق اشترى بماله الدور الملاصقة للبيمارستان الكبير النوري واضافها اليه . وقد توفي سنة ٦٤٠هـ(١٢٤٢م) وله فضلاً عن مقالته في مزاج الرقة كتاب باسم مفرج النفس ضمنه الادوية المفيدة في مرض القلب ، وكتاب الملح في الطب أخذ فيه عن آراء جاليدوس في

(*) نشر(القسم الاول) في العدد الاول ـ ١٩٩٦

الطب .

رفيع الدين الجيلي(٢٨) ـ

هو أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد . من اهل جيلان وينسب اليها . عاش بدمشق وله فيها علم يعلم فيه الطب . ومن تلاميذه ابن ابي اصيبعة . ولورعه وعلمه بعلوم الشريعة ولاه الملك عماد الدين اسماعيل الايوبي منصب قاضي القضاة . وتوفي الجيلي بدمشق سنة ٦٤١هـ(١٢٤٣م) . وله من المؤلفات اختصار الكليات من قانون ابن سينا .

نجم الدين بن المنفاخ(٢٩) ـ

واسمه احمد بن أسعد ويعرف بابن العالمة المعروفة باسم دهين اللوز . مولده ومنشاه بدمشق . ودرس الطب على ابيه موفق الدين المنفاخ طبيب الملك الاشرف موسى بن ابي بكر ، وعلى مهذب الدين الدخوار ، واتقن معرفة المهنة علماً وعملاً . وكان يجيد الضرب على اوتار العود والخط . وخدم بآمد ديار بكر في بلاط صاحبها الملك المسعود الايوبي ووزر له . كما خدم الملك الاشرف بحمص . وتوفي سنة ٦٥٢هـ(١٢٥١م) بظروف غامضة ، وله من المؤلفات ، كتاب التدقيق في الجمع والتفريق ، وهو في تشخيص الامراض التفريقي . وكتاب هتك الاسرار في تمويه الدخوار . وكتاب في شرح احاديث نبوية تتعلق بالصحة والطب ، وكتاب المهملات في كتاب القانون ، وكتاب العلل الى الطب وكتاب العلل والاعراض ، وكتاب الاشارات المرشدة في الادوية المفردة .

عماد الدين الدنيسري(٣٠) ـ

ابو عبد الله بن القاضي تقي الدين عباس . مولده ومنشاه بدنيسر القريبة من ماردين وفيها تعلم الطب ، ودخل القاهرة ودمشق ومارس في البيمارستان النوري بهذه المدينة . وهو شاعر مطبوع وقد توفي بدمشق سنة ٦٦٧هـ(١٢٧٧م) بعمر اثنتين وستين سنة . وله من المؤلفات : المقالة المرشدة في درج الادوية المفردة ، وكتاب نظم الترياق الفاروق ، وكتاب المترو ديطوس ، وشرح كتاب تقدمة المعرفة لابقراط ، وارجوزة طبية .

ابن البيطار(٣١) ـ

هو أبو محمد ضياء الدين عبد الله بن احمد المالقي ، وربما كان ابوه يمارس مهنة البيطرة فعرف ابنه ضياء الدين بنسبته الى هذه المهنة . وقد ولع بدراسة الاعشاب منذ صغره ، ثم درسها على علماء هذا الاختصاص وكان منهم أبو العباس بن الرومية وعبد الله بن صالح الكتاني صيدلاني بلاط الموحدين بفاس وعلى ابي الحجاج الاشبيلي ، كما تابع قراءة مؤلفات الاعشاب واستعمالها في تداوي الامراض ، من علماء اليونانيين والعرب في المشرق وفي الاندلس والجزائر فكان من مصادر مؤلفاته ديوسقريدس العين زربن واسحق بن سليمان الاسرائيلي ، ومسيح الدمشقي وجيش الاعسم الدمشقي وحنين بن إسحاق وابو بكر الرازي وابن سينا وغير هؤلاء كثيرون . وطاف وديان الاندلس وجبالها ليتدارس نبت تلك الديار وما فيها من احجار وحيوانات . ثم عبر البحر الى المغرب وهو في العشرين من عمره وقطع الصحراء على الجمل ودخل مصر في ايام حاكمها الملك الكامل محمد بن أبي بكر الايوبي فاكرمه وعينه رئيس العشابين بديار مصر ، وغادر ابن البيطار مصر نحو الشام وقيل انه دخل ايضاً بلاد الروم وراء دراسة الاعشاب فيها . وفي دمشق التحق به ابن ابي اصيبعة وتعلم عليه تفسير بعض اسماء الاعشاب الواردة في كتاب ديوسقريدس وكتب جالينوس والغافقي . وقد يكون من تلاميذه ايضاً عز الدين بن السويدي . يعد ابن البيطار اعظم العشابين العرب قاطبة ، وهو من بينهم كديوسقريدس بين العشابين اليونانيين . ومن مؤلفاته كثير من الادوية التي لم يذكرها ديوسقريدس في كتاب(هيولى الطب) . وكتابه وحده يكفي لان يجعل العرب قد فاقوا ما كتبه العشابون من الاعاجم . ولا يزال كتابه الجامع في مفردات الادوية والاغذية مرجعاً لمن يبحث . في استعمالات الادوية والاغذية في الوقاية من الامراض وعلاجها . توفي ابن البيطار بدمشق سنة ٦٤٦هـ(١٢٤٨م)وله كتاب الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، وهو اشهر مؤلفاته وسبب شهرة مؤلفه فيه وصف لاكثر من الف واربعمائة صنف من الادوية والاغذية ، اكثر من ثلاثمائة منها مما ليس لها ذكر في المؤلفات الهندية او اليونانية . وما سوى ذلك فقد اخذه عن مؤلفات من سلفه او عاصره من الاطباء . وهو يحرص ان يشير الى هذه المصادر في كل ما ينقله عنها . وقد ترجم كتاب الجامع الى اللاتينية والالمانية والفرنسية . وله مخطوطات كثيرة في مكتبات العالم التراثية . ولابن البيطار كتاب آخر سماه باسم المغني في الادوية المفردة ، ويعرفه المستشرقون باسم مفردات ابن البيطار ، وقد رتب ادويته ابن البيطار بحسب اعضاء الجسم الآلمة . ولابن البيطارايضاً كتاب في شرح ادوية كتاب ديوسقريدس ، وكتاب ينقد فيه كتاب المنهاج لابن جزلة البغدادي باسم الابانة والاعلام بما في المنهاج من الخلل والاوهام ، وكتاب ميزان الطب وكتاب الدرة البهية في منافع الابدان الانسانية . والكتب الاربعة الاخيرة لاتزال مفقودة .

ابن أبي إصيبعة(٣٢) ـ

ويقصد به ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن ابي

اصيبعة الخزرجي . وقد اشتهر من دون افراد العائلة بكنية جده . وكان ابو القاسم بن خليفة يمارس الطب والكحالة بدمشق فتعلم ابنه ابو العباس عليه الصناعتين ، كما درس على الدخوار ورضى الدين الرحبي ونجم الدين بن المنفاخ . واكثر الاحتمال انه اشتهر بطب العين فقط . وفي ايام الملك الكامل بمصر رحل ابو العباس الى هذا القطر والتحق فيها بالبيمارستان الصلاحي حيث كان يعمل فيه ابن النفيس رفيق صفه في المدرسة الدخوارية بدمشق . ثم هجر مصر بعد عام عائداً الى دمشق وفي هذه المدينة شرع بوضع كتابه المشهور عيون الانباء في طبقات الاطباء ثم انتقل الى صرخد(صلخد ؟) بحوران جبل الدروز وفيها اكمل كتابه المذكور ، وفي هذه المدينة توفي سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩ بعمر يزيد على السبعين سنة .

وله من المؤلفات : كتاب عيون الانباء الذي مر ذكره قبل قليل وهو افضل ماكتب باللغة العربية من تراجم الاطباء الاعاجم والعرب . وهو الكتاب الوحيد الذي وصلنا من مؤلفاته . وله ايضاً كتاب التجارب والفوائد(في الطب) ، وكتاب حكايات الاطباء في علاج الادواء ، وكتابات اصابات المنجمين . واذا كانت هذه الكتب الثلاثة من حيث منهجها ومحتوياتها نظيرة لكتابه عيون الانباء في طبقات الاطباء فما اعظم الخسارة بضياعها .

موفق الدين يعقوب السامري[٣٣] ـ

من كبار اطباء دمشق ، وقد ولد ونشأ في هذه المدينة وتعلم فيها الطب واتقنه ، وعلمه لكثير من الاطباء وتوفي سنة ٦٨١هـ. وله من المؤلفات : شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا ، وقد جمع فيه ما شرحه ابن خطيب الري والقطب المصري . وكتاب حل شكوك نجم الدين بن المنفاخ على الكليات .

ابن القف الكركي[٣٤] ـ

امين الدولة بن موفق الدين اسحاق بن القف النصراني الملكي المذهب(اليعقوبي) وقد تعلم الطب على ابن ابي اصيبعة في صرخة الشام ، وقرأ عليه امهات كتب الاطباء العرب . واستزاد من المعرفة الطبية على نجم الدين بن المنفاخ وعلى يعقوب السامري . وقد توفي في دمشق سنة ٦٨٥هـ وله من المؤلفات كتاب العمدة في صناعة الجراح بعشرين مقالة يصنفها في القسم العملي من الطب ولولا تقدم كتاب التصريف لابي القاسم الزهراوي المتوفى بجبرودة سنة ٤٠٠هـ لاعتبرنا كتاب العمدة مضاهياً له ان لم يكن يفوقه تضميناً . وابن القف في كتاب العمدة اول طبيب عربي يذكر التخدير بالاستنشاق . ولابن القف ايضاً كتاب الشافي في الطب ، وكتاب شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا بستة مجلدات ، وكتاب شرح الفصول لابقراط بكتابين ، ومقالة في حفظ الصحة ، وكتاب جامع الفرض ولم يصلنا من هذه الكتب سوى كتاب العمدة .

المستشفيات بديار الشام

كان في ديار الشام قبل حلول القرن السابع للهجرة زهاء عشرون مستشفى بما فيها مستشفى المدينة المنورة ومستشفى مكة المكرمة . اما ماعرف منها في القرن السابع فكان اثنان فقط وهي بيمارستان النوري بحلب ، او البيمارستان العتيق . وقد اسسه الملك نور الدين محمود فنسب اليه ، وقد اضاف الى عمارته صلاح الدين الايوبي قاعة للمرضى النساء اخذها من الدور المجاورة له . والمستشفى الاخر الذي عرف بديار الشام في القرن السابع هو البيمارستان الكبير النوري . وقد اسسه الملك ، الملك نور الدين محمود سنة ٥٤٩هـ(١١٥٤م) ، وكان اشهر واوسع مستشفى طيلة القرن السابع الهجري وحتى مطلع القرن الخامس عشر للميلاد[٣٥] . وكان فيه كل ما تتطلبه الخدمات الطبية لمختلف الامراض ، للنساء والرجال ، كما كان فيه خزانة للادوية وقاعة لتعليم الطلاب . وقد عمل فيه زهاء عشرون طبيباً نذكر من بينهم شمس الدين الكلي ، ورضى الدين الرحبي وجمال الدين الرحبي ، وشرف الدين الرحبي ، ومهذب الدين الدخوار ، وسرية الدين بن رقيقة ، وعز الدين السويدي ، وعماد الدين الدنيسري ، وابن قاضي بعلبك وموفق الدين بن عبد العزيز وكمال الدين الحمصي ورشيد الدين الخزرجي .

الطب والاطباء بمصر الايوبيين والمماليك

تنعمت مصر في ايام الفاطميين(٣٤١ ـ ٥٦٧هـ/ ٩٥٢ ـ ١١٧١م) باهتمام كبير من حكامها بالعلوم وتعضيد العلماء بالجاه والمال . وكذلك في ايام الايوبيين الذين اعقبوهم عليها(٥٦٩ ـ ٦٥٠هـ) وكان حكام مصر في اكثر سني العهدين يحكمون الشام كما يحكمون مصر ، واطباء القطرين يتناوبون فيها على خدمة الخلفاء والملوك وبحكم الحروب الصليبية التي كان يدير رحاها في الجانب الاسلامي الملك الناصر صلاح الدين الايوبي على مدى ربع قرن(٥٦٤ ـ ٥٨٩م) ، فقد احتاط هذا الملك القائد لمقتضيات القتال فضم الى حاشيته . اطباء جميع الاختصاصات الطبية من اطباء وجراحين وكحالين ومجبرين وممرضين ، وقد انحدرت افكار ومؤلفات هؤلاء الى اطباء القرن السابع في حكم الايوبيين والمماليك الاتراك(٦٤٨ ـ ٦٩٨هـ) وظهر في ايام هؤلاء الحكام عدد من الاطباء الذين يشار اليهم بالبنان لما قدموه من المعرفة الطبية ، نذكر من بينهم :

١ ـ موسى بن ميمون[٣٦] ـ

ويلقب بالرئيس وكنيته ابو عمران . يهودي من قرطبة وينسب اسمه اليها . وعائلته ذات حسب ومشاركة في الشريعة اليهودية. فلما استولى الموحدون على قرطبة في سنة ٥٤٣هـ(١١٤٨م) نزحت العائلة الى المرية التي كانت قد خضعت لحكم القشتاليين ، وكان فيها ابن باجة وابن رشد ،فتتلمذ عليها ابن ميمون . وفي المرية وهو بعمر العشرين سنة قرأ القرآن ، وقيل انه تاثر بآياته وأسلم . وسافر الى فاس ومنها الى فلسطين التي كانت عهدئذ بايدي الصليبيين . وبعد اشهر معدودة غادرها الى الفسطاط ، وكان ذلك في اواخر حكم الفاطميين ، وفي سنة ٥٦٤هـ(١١٧٤م) انضم الى حاشية صلاح الدين الايوبي ونال منه الرضى والحماية . وصار طبيبه الخاص[٣٦] وكان ابن ميمون فيلسوفاً اكثر مما هو طبيباً ، ويعتمد على آراء ابقراط وكتبه وقلده فيها فوضع كتاباً باسم(افرو شيم موسى) مناظراً لكتاب(الفصول) . وتوفى ابن ميمون بحدود سنة ٦٠٥هـ(١٢٠٨) ودفن بطبرية[٣٧] وله عشرة مؤلفات كتبها جميعاً بالعربية وترجمت بعد ذلك الى العبرية ، وكتبه هي : فصول موسى(افرو شيم موسى) ويضم زهاء الف وخمسمائة حكمة طبية استمدها من اقوال ابقراط وجالينوس ، وعلق على اثنين واربعين منها في الامراض النسائية والصحة العامة والعلاج بالرياضة والاستحمام . وكتاب الطب القديم ، ومقالة في بيان الاعراض ، ومقالة في شرح اسماء العقار ، ومقالة في الربو ، ومقالة في الجماع والباه ، ومقالة في البواسير . وكتاب في السموم والتحرز من الادوية القتالة.

٢ ـ ابراهيم بن موسى بن ميمون[٣٨] ـ

درس على ابيه الحكمة والطب ، الا انه لم يصل الى ما وصل اليه من المعرفة ، وقد خدم بطبه الملك الكامل محمد الى جانب فتح الدين بن ابي الحوافر ، كما اشتغل في البيمارستان الصلاحي بالقاهرة . وقد توفي سنة ٦٣٠هـ(١٢٢٢م) .

٣ ـ الشيخ السديد بن ابي البيان[٣٩] ـ

اسمه داود بن ابي البيان داود . وكان طبيباً حسن العمل وخبيراً في الادوية المفردة وصيدليتها ، وقد تعلم المهنة على هبة الله بن جميع اليهودي وعلى ابي الفضائل بن الناقد . وقد عاش معمراً الى الثمانين سنة ، وتوفي بحدود سنة ٦٣٩ وله كتاب الدستور البيمارستاني وهو باثني عشر باباً في الادوية المركبة المتداولة في مستشفيات الشام ومصر والعراق . وله ايضاً كتاب العلل والاعراض لجالينوس.

٤ ـ جمال الدين بن ابي الحوافر[٤٠] ـ

هو ابو عمرو عثمان بن هبة الله . مولده بدمشق . وتعلم الطب فيها على مهذب الدين بن النقاش ورضى الدين الرحبي . والتحق بالملك عثمان بن صلاح الدين الايوبي في مصر فولاه رأسة الطب بمصر ، ثم خدم من بعده الكامل محمد بن ابي بكر ، وتوفي في القاهرة بحدود سنة ٦١٨هـ واعقب ولداً هو فتح الدين فكان خير خلف لخير سلف . اما حفيده شهاب الدين بن فتح الدين فقد كان من العلماء والاطباء البارزين في زمانه ، ورئيس اطباء مصر في ايام الملك بيبرس المملوكي المتوفى سنة ٦٧٦هـ(١٢٦٠م) .

٥ ـ ابو سعيد بن ابي سليمان[٤١] ـ

هو حفيد ابي المنى بن ابي فاته منجم صلاح الدين الايوبي . قرأ الطب على ابيه وخدم على الملك ابي بكر بن ايوب وتوفي في القاهرة سنة ٦١٣هـ.

٦ ـ ابو نصر بن ابي سليمان بن ابي فانة[٤٢] ـ

تعلم الطب وخدم به ملوك بني ايوب في مدينة الكرك وتوفي فيها سنة ٦١٣هـ. ثم اعقبه في خدمتهم اخوه الاصغر ابو الفضل بن ابي سليمان الذي خدم ايضاً الملك المعظم المتوفى سنة ٦٢٥هـ في الكرك كما خدم الملك الكامل المتوفى سنة ٦٢٥هـ(١٢٢٨) بالقاهرة .

٧ ـ رشيد الدين ابو حليقة[٤٣] ـ

هو ابن ابي سليمان بن ابي المنى ابن فانة ويكنى بابي الوحش ، ولم يكن يعيش لابيه ولد ذكر فنذر ان يضع في اذنه قرطاً من الفضة ويتبرع بها ان عاش له ذلك الولد . فكان له رشيد الدين ورغبت والدته ان لا يخلعها من اذنه فكنى بها مدى حياته وتوفي رشيد الدين ابو حليقة بحدود ٦٣٠هـ(١٢٣٨م) وله من المؤلفات : مقالة في حفظ الصحة ، وكتاب في الادوية المفردة سماه المختار في الالف عقار ، وكتب في الامراض واسبابها وعلاماتها ومداواتها بالادوية المفردة والمركبة وهو ملتقطات من الكتب القديمة والحديثة في هذا الاختصاص . ومقالة في ضرورة الموت .

٨ ـ رشيد الدين ابو سعيد[٤٤] ـ

اسمه موفق الدين يعقوب . من نصارى القدس ، وقد درس الطب على رشيد الدين بن خليفة الخزرجي وعلى مهذب الدين

الدخوار ، وكان في خدمة الملك الصالح نجم الدين ويصحبه في سفره بين القاهرة ودمشق وتوفي بدمشق سنة ٦٤٦هـ(١٢٤٨م) وله كتاب عيون الطب رفعه لمخدومه الملك نجم الدين ، وكتاب تعاليق على كتاب .

ابن النفيس[٥٥] ـ

من اطباء العالم الخالدي الذكر . اسمه ابو العلاء علاء الدين ابن ابي الحزم القرشي المشهور بابن النفيس . ولد بدمشق ودرس الطب فيها على الدخوار وعمران الاسرائيلي ثم نزح الى القاهرة وهو بعمر يناهز الخامسة والعشرين . ودخل البيمارستان الصلاحي فيها ، وتقدم فيه حتى رأس اطبائه ، ثم انتقل الى البيمارستان المنصوري حيث خدم فيه زهاء خمسين سنة ، وفيها وضع مؤلفاته . وكان يمارس الطب ويعلمه في مجلس له يتردد اليه اعلام القاهرة وطلاب العلم . وكان من تلاميذه المشهورين ابن القف الكركي . ولم يتزوج طيلة حياته ولم يقرب الخمرة . وهو متفقه في الشريعة الاسلامية وطبيب كثير القراءة والكتابة ، فكانت تستحضر له الاقلام المبرية حتى لا يضيع وقته حين تزدحم في رأسه الافكار . ويروي انه قال(لو لم اعلم ان تصانيفي تبقى عشرة الاف سنة ما وضعتها) ، وله

الحق فان اكتشافه لدورة الدموية الصغرى سيحفظ له ذكر اسمه على مدى التاريخ . وقد ادعى عالم التشريح سرفينوس(ت ١٥٥٣) انه هو صاحب هذا الاكتشاف العظيم . وقد كشف شاب مصري هو محي الدين التطاوي(ت ١٩٤٥) بطلان الادعاء المذكور . اما وليم هارفي الانكليزي فقد جاءت اعماله في الدورة الدموية بعد ثلاثة قرون تقريباً من

وفاة ابن النفيس . توفي ابن النفيس سنة ٦٨٧ بمصر يناهز الثمانين . واوصى قبيل وفاته بما عنده من المال والكتب الى البيمارستان المنصوري . وتعرف من مؤلفاته اربعة عشر كتاباً خمسة منها شروح على بعض مؤلفات ابقراط وجالينوس ، واثنان على كتاب القانون لابن سينا اهمها كتاب شرح تشريح القانون وقد ضمنه اكتشافه للدورة الدموية . كما لابن النفيس كتاب الشامل وهو موسوعة بثلاثمائة سفر ، كان منها ثمانون في مكتبة بيمارستان قلاوون . وكتاب الموجز وهو كتاب موجز في الصورة لكنه كامل في الصناعة . وهو مختصر لكتاب القانون لابن سينا . ولابن النفيس ايضاً كتاب المهذب وهو في طب العين . وكتاب شرح مفردات القانون . وكتاب المختار من الاغذية . ومقالة في النبض ، وشرح مسائل حنين ، ورسالة في اوجاع الاطفال . وكتاب فاضل ابن ناطق . وهو قريب الشبه من كتاب حي بن يقظان .

مستشفيات مصر[٦١] ـ

عرف في مصر في القرن السابع للهجرة مستشفيان كبيران هما بيمارستان الصلاحي وبيمارستان المنصوري . والمستشفى الاول من اعمال السلطان صلاح الدين الايوبي وقد انشاه اثر تملكه مصر سنة ٥٦٧هـ(١١٧١م) . واصل بنايته قصر من املاك الخلفاء الفاطميين ، وبقي يقدم الخدمات الطبية حتى سنة ٨٢١هـ(١٤١٨م)وعمل فيه كبار الاطباء ، منهم رضى الدين الرحبي ، ابراهيم بن الرئيس ميمون ، الشيخ السديد بن ابي البيان ، نفيس الدين بن الزبير ، ابن ابي اصيبعة ، وابن النفيس القرشي . اما البيمارستان المنصوري[٦٢](ويدعى ايضاً دار الشفاء او مارستان قلاوون) . واصله دار لابنة العزيز بالله نزار الفاطمي ؛ فطوره الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٣هـ(١٢٨٤م) ليكون مستشفى . وصار يصرف عليه الف الف درهم سنوياً . وضم اليه مدرسة ودار ايتام ووقفهما الى جميع طبقات الشعب(من الذكور والاناث والاحرار والعبيد والصغير والكبير) وجعل لمن يخرج منه كسوة ، وجهازاً لمن يتوفى فيه ووظف له الاطباء والجراحين والمجبرين ، وزوده بالتخوت والفرش واللحف وعين للمرضى الخدم والفراشين ، ومن يدخلهم الحمام ويغسل ثيابهم . كما خصص لكل طائفة من المرضى ردهة فكان منها لحالات الاسهال ، ولحالات الرمد ، وقاعة للنساء المبرورات ومثلها للرجال المبرورين . كما زود المستشفى بخزانة للادوية وصيدليتها ، ودائرة لرئيس الاطباء فيه وقاعة لالقاء الدروس . وقد بقي هذا المستشفى يقدم الخدمات الطبية حتى القرن الثامن عشر . ومن اطبائه الذين عملوا فيه : احمد ابن يوسف بن هلال الصفدي ، ومحمد بن ابراهيم السنجاري المعروف بابن الاكفاني وآخرون كثيرون عرفوا فيه بعد القرن السابع .

الطب والاطباء في المغرب العربي والاندلس

يطلق العرب تعبير المغرب على شمال افريقيا المحصور بين حدود مصر الغربية وساحل المحيط الاطلسي . كما يطلقون على القسم الشرقي منه اسم افريقيا ، وعلى قسمه البعيد الذي ينتهي بساحل المحيط اسم المغرب الاقصى وعاصمته مراكش ومن مدنه فاس . اما اسم الاندلس فيقصد به ديار اسبانيا وعاصمته قرطبة ومن مدنه اشبيليا . وقد خضع كل من المغرب وبعض حواضر الاندلس الى ملوك المرابطين فيما بين السنتين ٤٥٣هـ و ٥٤١هـ . ثم حكمها ملوك الموحدين زهاء قرن ونصف بين السنين ٥٢٤هـ(١١٣٠م) و ٦٦٨هـ(١٢٦٩م) وكان ابرز هؤلاء الملوك الذين ارتبط بهم مشاهير اطباء القرن السابع ثلاثة هم الملك المنصور ابي يوسف

المتوفى سنة ٦١٠هـ(١٢١٣م) وابنه محمد الناصر لدين الله المتوفى سنة ٦١١هـ(١٢١٤م) والمستنصر بالله بن محمد الناصر المتوفى سنة ٦٢٠هـ(١٢٢٤م) وكان لكل واحد من هؤلاء الملوك عدد من الاطباء يصاحبونهم في التنقل بين مراكش واشبيليا باسبانيا ، وجلهم من اهل هذه المدينة . وقد ورثوا اسلافهم الميل الى دراسة الاعشاب الطبية والعمل بصيدليتها . كما برع قسم منهم بالطب الجراحي وتوسيع تطبيقه في علاج الامراض امتداداً لاعمال سلفهم ابي القاسم الزهراوي بهذا الاختصاص . وفيما يلي نذكر باختصار ماعرفناه عن بعض اولئك الاطباء :

ابو محمد بن رشد[48] ـ

وقد خدم بالطب الملك الناصر وكان فاضلاً وعالما بفنون الطب له كتاب : مقالة في حيلة البرء .

ابن مواطير[49] ـ

وهو ابو الحجاج يوسف . وكان في خدمة المنصور الوحدي وابنه الناصر وحفيده المستنصر . ومن تلاميذه ابو العباس الكنيناري .

عبد الملك بن قبلال[50] ـ

وقد ولد ونشا بغرناطة ودخل مراكش بخدمة ملكها الناصر الموحدي .

ابراهيم الداني[51] ـ

وقد دخل هو وابناه في خدمة المستنصر بمراكش وتوفي في هذه المدينة .

ابو يحيى بن قاسم الاشبيلي[52] ـ

وقد اختص بدراسة الاعشاب الطبية فولاه المستنصر الموحدي خزانة الاشربة الطبية وتوفي في ايامه .

احمد بن حسان[53] ـ

من اهل غرناطة وقطن اشبيليا بخدمة المستنصر .

ابو محمد الشذوني[54] ـ

مولده ومنشؤه باشبيليا . وتعلم فيها على ابي مروان عبد الملك ابن زهر وخدم به الناصر في اشبيليا ، وتوفي في ايام ابنه المستنصر .

ابن سلمة الباجي[55] ـ

من باجة افريقيا ويعرف ايضاً بابن الحفيد . وقد تعلم الطب على ابن الحسن المصدوم المتوفى سنة ٥٨٨هـ وخدم به المستنصر بمراكش وتوفي في ايامه . ومن تلاميذه ابو العباس الكنيناري .

ابو جعفر بن الغزال[56] ـ

من اهل المرية بالاندلس وتعلم الطب على ابي بكر بن زهر وخدم به المنصور وابنه الناصر بمراكش .

ابو بكر بن القاضي بن الحسن الزهري[57] ـ

ولد ونشأ باشبيليا وتعلم فيها على ابي مروان عبد الملك بن زهر وخدم به الناس احتساباً لوجه الله وتوفي ايام المستنصر باشبيليا .

ابو عبد الله الندرومي[58] ـ

من اهل الندرومة بالجزائر اما مولده فكان بقرطبة وتعلم الطب على ابي الوليد بن رشد وعلى يوسف بن مواطير وخدم به الناصر في اخريات ايامه ثم ابنه المستنصر ، كما خدم بعضاً من امراء بني هود .

ابن سابق[59] ـ

وهو ابو جعفر . واصله من قرطبة وتعلم الطب على ابي الوليد بن رشد وخدم به الناصر ثم المستنصر وتوفي في ايامه .

ابن طلوس[60] ـ

وكان يطب الناصر وتوفي بجزيرة شقر سنة ٦٢٠هـ(١٢٢٣م) وله شرح ارجوزة ابن سينا .

ابو العباس بن الرومية[61] ـ

اسمه احمد بن محمد بن مفرج النباتي المعروف بابن الرومية ، وهو من اهل اشبيليا وينسب اليها احياناً . وقد اتقن معرفة خصائص انواعه الطبية ومجال استعمالاتها في علاج المرضى ، ويعتبر من علماء هذا الاختصاص الكبار في الاندلس . وقد قصد حج بيت الله الحرام فدخل القاهرة ودمشق والعراق ، وطلبه الملك العادل ابو بكر بن ايوب فواصل رحلته وعاد الى اشبيليا وفيها توفي بحدود سنة ٦٣٦هـ(١٢٣٨م) وله من المؤلفات : كتاب تفسير الادوية المفردة من كتاب ديوسقريدس ،

ومقالة في تركيب الادوية . ومن تلاميذه ابن البيطار المالقي .

ابو العباس الكنيناري[62] –

من اهل اشبيليا وتعلم الطب على عبد العزيز بن مسلمة الباجي وعلى ابي الحجاج بن مواطير بمراكش . وخدم امراء بني هود باشبيليا .

محمد بن يوسف بن خلصون[63] –

وهو من مواليد غرناطة وفيها تعلم صناعة الطب . ثم نزح الى مالقة ومارس الطب فيها حتى وفاته ايام الملك النصري ابو عبد الله محمد بن يوسف المتوفى سنة ٧٠١هـ(١٠٣١م) .وكان ابن خلصون صوفي النزعة ويجيد معالجة المرضى ، وله كتاب قيم باسم الاغذية وحفظ الصحة بخمس مقالات في تدبير المطعم بحسب نوعه وترتيب تناوله ، وحفظ صحة اعضاء الجسم بحسب الفصول والظروف الطارئة والدائمة وما الى ذلك .(٦٤)

تصحيح –

يدعي المستشرقون وفي مقدمتهم ماكس مايرهوف ان الطب العربي دخل مرحلة الانحطاط منذ سنة ١١٠٠م(القرن الخامس للهجرة) . ولا يبدو ان ذلك صحيح ، فقد نبغ في القرن السادس للهجرة اطباء كان لهم دور هام في تطوير المعرفة الطبية ونشرها ، واكتشاف كثير من اسرارها الخفية ، نذكر من اولئك ابو مروان عبد الملك بن زهر صاحب كتاب التيسير في المداواة والتدبير(ت سنة ٥١١هـ) وابن قسوم الغافقي صاحب كتاب المرشد في طب العين(توفي سنة ٥٣١هـ) والشريف الادريسي صاحب كتاب الجامع لاشتات النبات(توفي سنة ٥٦٠هـ) ، والسموأل بن عباس المغربي البغدادي صاحب كتاب المفيد الاوسط في الطب(توفي سنة ٥٧٠هـ) ، ومهذب الدين بن النقاش استاذ زمانة بدمشق(توفي سنة ٥٧٤هـ) وابن المين زي صاحب كتاب الكافي في الطب(توفي سنة ٥٤٨هـ) وموفق الدين ابن المطران صاحب كتاب بستان الاطباء وروضة الالباء . اما اطباء القرن السابع فيكفي ان اذكر منهم كل من ابن البيطار المالقي ، وابن القف الكركي ، وابن النفيس القرشي . وقد قلنا كلمة عن كل واحد من هؤلاء فيما تقدم . وكل واحد منهم يكفي بمفرده ان يخلد عصره الى جانب ازهى عصور الفكر الانساني عبر الزمن . ويبدو ان حكم المستشرقين الخاطئ الذي ذكرناه قد اعتمدوه على احتمال تاثير الحروب الصليبية السلبي على الحركة الفكرية . وكانت طلائع تلك الحروب قد ظهرت سنة ١١٠٠م(٤٩٥هـ) وهي السنة نفسها التي ذكرها ماكس مايرهوف اعتباطاً بداية للانحطاط الفكري المزعوم عند العرب بينما الحقيقة ان تاثير تلك الحروب السلبي على نشاط علماء العرب على الحركة الفكرية لم يكن بقدر يتناسب مع حجمها على الساحة السورية والقدسية . وقد يكون نهاية القرن السابع بداية ركود الحركة الفكرية في الطب العربي وليس قبل ذلك .

الهوامش –

٢٤ – ابن ابي اصيبعة ص ٦٩٦ – ٧٠٤ . ٢٥ – المصدر السابق ص ٧٢٣ – ٧٢٨ . ٢٦ – المصدر السابق ص ٦٧٥ – ٧٢٨ . ٢٧ – المصدر السابق ص ٧٦١ – ٧٦٧ . ٢٨ – المصدر السابق ص ٦٤٧ – ٦٤٨ . ٢٩ – المصدر السابق ص ٧٥٧ – ٧٥٨ . ٣٠ – المصدر السابق ص ٧٦١ . ٣١ – المصدر السابق ص ٦٠١ – ٦٠٢ . ٣٢ – المصدر السابق ص ٧٢٦ – ٧٥٠ . ٣٣ – المصدر السابق ص ٧٦٧ . ٣٤ – المصدر السابق ص ٧٦٧ – ٧٦٨ . ٣٥ – احمد عيسى بك – المستشفيات في الاسلام ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٣٩ ص ٤٢٤ . ٣٦ – فلنسون . ٣٧ – ابن القفطي ص ٢١٩ . ٣٨ – ابن القفطي ص ٢١٧ – ٢١٩ ، ٥٨٢ . ٣٩ – ابن ابي اصيبعة ص ٥٨٤ . ٤٠ – المصدر السابق ص ٥٨٤ – ٥٨٥ . ٤١ – المصدر السابق ص ٥٨٩ . ٤٢ – المصدر السابق ص ٥٩٠ . ٤٣ – المصدر السابق ص ٥٩٠ – ٥٩٨ . ٤٤ – المصدر السابق ص ٥٩٩ – ٦٠٠ . ٤٥ – اقرأ عن ابن النفيس في كتاب بهذا الاسم لبول غليونجي(الدار المصرية للتاليف والترجمة) وكتاب مقدمة في تاريخ الطب العربي لماهر عبد القادر(دار العلوم ص ٩٥ – ١٢١) .

٤٦ – البيمرستانات في الاسلام واحمد عيسى بك ص ٦٦ وما يليها . ٤٧ – المصدر السابق ص ٨٣ وما يلي . ٤٨ – ابن ابي اصيبعة ص ٥٣٢ . ٤٩ – المصدر السابق ص ٥٢٢ – ٥٢٤ . ٥٠ – المصدر السابق ص ٥٣٤ . ٥١ – المصدر السابق ص ٥٢٤ . ٥٢ – المصدر السابق ص ٥٢٤ . ٥٣ – المصدر السابق ص ٥٢٥ . ٥٤ – المصدر السابق والصفحة . ٥٥ – المصدر السابق ص ٥٢٥ – ٥٣٦ . ٥٦ – المصدر السابق ص ٥٢٥ – ٥٣٦ . ٥٧ – المصدر السابق ص ٥٣٦ . ٥٨ – المصدر السابق ص ٥٣٦ . ٥٩ – المصدر السابق والصفحة . ٦٠ – المصدر السابق والصفحة والطب والاطباء في الاندلس الاسلامية – محمد العربي الخطابي ص ٤٢١ . ٦١ – المصدر السابق والصفحة . ٦٢ – المصدر السابق ص ٥٢٨ . ابن بشكوال – الصلة ١/٢٠٧ – ٢١٤ . ٦٣ – المصدر السابق والصفحة . ٦٤ – اقرأ عن ابن خلصون عن تاريخ الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية ج ٢/ص ٧ – ٢٢ . ٦٥ – سر توماس ارنولد – تراث الاسلام ، دار الطليعة للطباعة والنشر(بيروت) الطبعة الثانية ص ٤٨٣ .

• • •



الغربة والاغتراب في التراث

محمد راضي جعفر

اللغة والمصطلح :

عربياً : لا يختلف المعنى اللغوي عن المعنى الاصطلاحي لكلتا المفردتين . .

جاء في اللسان :

« الغَرْب : الذهاب والتنحي عن الناس

الغَرْبة والغُرْب : النوى والبعد ، وقد تغرَّب

التغرُّب : البعد

الغربة والغُرْب : النزوح عن الوطن والاغتراب

الاغتراب : افتعال من الغربة » .(١)

وجاء في الحديث الشريف :

« اغتربوا ولا تضووا »(٢) اي لا تتزوجوا القرابة القريبة

يتضح مما تقدم ان كلاً من الغربة والاغتراب يعني التنحي ، والنوى ، والنزوح ، ولا يتصور الباحث ان صيغة « افتعال » تمنح مصطلح « الاغتراب » سمة وشمولية لا تتوافر عليها « الغربة » كما يرى احد الباحثين »(٣) فربما كان وراء هذا الاعتقاد هو اقتصار « الغربة » على البعد عن الاوطان والمدن في الكلام المتداول من جهة ، وتداول « الاغتراب » تداولاً واسعاً في الفلسفة والعلوم الاجتماعية ، وعلم الاقتصاد في الغرب مقترناً بوضع الانسان المعاصر في المجتمع الصناعي الحديث من جهة اخرى ، ومما يؤكد ما ذهبنا اليه ان شيخ الاسلام الهروي الانصاري يضع الغربة والاغتراب بمستوى واحد فحين يفرغ من تعريف الاغتراب يضيف انه « على ثلاث درجات » ــ هي « الغربة عن الاوطان » و « غربة الحال » و « غربة الهمة » .(٤)

وها هو باحث معاصر يذكر مانصه :

« المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للاغتراب واحد : الغرب والغربة والاغتراب كلها في اللغة بمعنى واحد هو الذهاب والتنحي عن الناس ، وكذلك في المعنى الاصطلاحي » .(٥) اي اننا نستطيع ان نحل مصطلح « الاغتراب المكاني » بدل مصطلح « الغربة المكانية » و « الاغتراب الروحي » محل « الغربة الروحية » وهكذا .

اما اوربياً ، فان الكلمة اللاتينية (Alienatio) هي الاصل الذي اشتقت منه الكلمة الانكليزية (Alienation) والفرنسية (Alienation) . وفعلها هو (Alienare) ويعني : ينقل او يحول او يسلم او يبعد .(٦) وقد وردت الكلمة اللاتينية ضمن السياقات : القانوني ، والنفسي الاجتماعي ، والديني .(٧)

يعني السياق القانوني : نقل الملكية او تحويلها او تسليمها بوجهيها : القانوني الحر ، والاجباري (الاستحواذ) . فهو فعل حركي طرفاه : الوجود من اجل الذات ، والوجود من اجل الاخر . وقد توافرت المرحلة الاقطاعية على هذا السياق حين كان السيد الاقطاعي وحده من يستطيع البيع او النقل او التسليم . او التحويل وهو ما قاد الى ما يعرف بتشيؤ العلاقات الانسانية .

ويشير السياق النفسي الاجتماعي ، الى الشرود الذهني وغياب الوعي ، كما كان يعني ايضاً غياب العقل والجنون ، بسبب تركيز اهتمام الفرد في شيء معين بذاته يشغله حتى عن نفسه .

والتوتر النفسي هو انعكاس لوضع الفرد في المجتمع نتيجة ما يوقعه الاخر بالانسان من عقوبات العزل او النبذ بسبب الخروج على المعتقدات والتقاليد السائدة فالمغترب هو من خرج على المألوف الاجتماعي او الديني .

اما السياق الديني فقد ارتبط بفكرة خروج الانسان على نعمة الله اي انفصاله عن الذات الالهية وسقوطه في الخطيئة فهو اذن مغترب عن الله .

الاغتراب ـ الظاهرة

الاغتراب ، ظاهرة ، قديم قدم الانسان في هذا الوجود فمنذ ان تكونت المجتمعات الاولى نشات معها وفي ظل سننها وتقاليدها المشاكل والازمات التي كانت تتمخض ، بشكل او بآخر ، عن انواع من الاغتراب عانى منها الفرد ، وكانت تقوده حيناً الى التمرد والعصيان ومواجهة المجتمع ، وحيناً الى الاستسلام والانعزال والانكفاء على الذات .

وتاسيساً على ذلك فقد نجد فكرة الاغتراب في اشعار هوميروس [٨] (في القرن التاسع قبل الميلاد) ، كما يمكن ادراك بذورها « في نظرية افلاطون عن الروح ... وفي التصور الافلاطوني عن الاشياء باعتبارها شكلاً فاسداً للمثل المتعالية ... وفي النظرية الافلاطونية الجديدة (الافلاطونية) عن الفيض ، وفي التفسير المدرسي « السكولائي » لاسطورة الخطيئة الاولى » .[٩] بل لقد تتبعها البعض في حياة « ابرام » حين وعده الله بالنسل والارض قبل ان يصبح اسمه « ابراهيم » .[١٠]

وفي ضوء ما حفل به تاريخ البشرية من الاغتراب قال بعضهم : « ان تاريخ البشرية هو تاريخ اغتراب ... تاريخ تشيوء وتاريخ قهر لهذا التشيوء » .[١١] فهو والحالة هذه داء عام « يصيب مجتمع الوفرة ، كما يصيب مجتمع الحاجة » .[١٢] بمعنى انه لا يختص بعصر دون آخر ، ولا يقتصر على قوم دون آخرين ، ينبت كالنبتة كلما آنس الارض الخصبة .

العرب والغربة والاغتراب

لم يكن المجتمع العربي بمنأى من هذه الظاهر شانه في ذلك شان المجتمعات الاخرى ، فقد ورد « الاغتراب » و « الغربة » مصطلحين ، حيناً ، وفكرة حيناً آخر في العديد من اشعار العرب وكتاباتهم ، وسيعرض الباحث بايجاز نماذج انتقاها من مظانٍ تراثية عدة .

ففي عصر ما قبل الاسلام عرف الشعراء العرب الاغتراب والغربة لفظاً وفكرة ، واحساساً ، في حياة منفتحة ، انفتاح الصحراء على المخاطر والمجهول ،

وامتلأت بالغزوات والصراعات كما امتلأت النفس البشرية ، بالقلق والتمزق والتسوق والتجاوز:

في مثل ذلك الطقس اللاهب لم يكن عمر الشاعر ـ وربما الانسان ـ سوى اغتراب ازلي استوطن روحه ، واشعره ان الموت قاب قوسين او ادنى منه . فها هو بشر بن ابي خازم الاسدي [١٣] يخاطب ابنته اثناء لحظات احتضاره وقد اصابه اسيه الوائلي بسهم ، مستخدماً لفظة الاغتراب وقاصداً المعنيين : النفسي والمكاني :

فان اباك قد لاقى غلاما ... من الابناء يلتهب التهابا
وان الوائلي اصاب قلبي ... بسهم لم يكن يكسى لغابا
فمن يك سائلا عن بيت بشر ... فإن له بجنب الرده بابا
ثوى في مُلحد لابد منه ... كفى بالموت نأياً واغترابا
رهين بلى وكل فتى سيبلى ... فاذري الدمع وانتحي انتحابا [١٤]

وورد عن النبي الكريم (ﷺ) انه قال :

« بدأ الاسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » .[١٥] ويتضح من الحديث الشريف ان الذين استجابوا للدعوة الاسلامية في فجرها كانوا قلة مؤمنة وصفت بانها غريبة في الوسط المشترك ، وقد زالت غربتها بعد ان انتصر الاسلام وهزم الكفر . ولكن الاسلام لا يلبث ان يعود غريباً مرة اخرى عندما يجد المؤمنون انفسهم قلة وسط المسلمين بسبب تفشي الفتن والشبهات . وفي ذلك قال احمد بن عاصم وهو من كبار العارفين في زمنه : « اني ادركت من الازمنة زماناً عاد فيه الاسلام غريباً كما بدأ ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ » .[١٦]

ومع ترسخ الدولة العربية الاسلامية الجديدة ، نشات العديد من الفرق والملل المذهبية والسياسية بسبب كثرة الصراعات والاحداث التي هزت المجتمع العربي بدءاً من اغتيال ثلاثة من الخلفاء الراشدين مروراً بالصراع الدموي الذي وقع بين الدولة الاموية والبيت الهاشمي ، وقيام دولة بني العباس وانتهاء بقيام الدويلات الجديدة بقيادات غير عربية ، وما تمخض عن كل ذلك من معطيات فكرية شتى ، واجتهادات دينية متباينة غذاها الدرس الكلامي من جهة والفكر اليوناني المترجم من جهة اخرى مما قاد الى اتجاهات مستحدثة في التأويل الفقهي ، والتفسير القرآني الى جانب ما حفلت به الحياة من مظاهر الترف ، والفساد ، الامر الذي اخصب الدعوة الملحة في الرجوع الى جوهر الدين ، واعتزال الحياة وزخارفها ، والعمل للاخرة دار خلود ونعيم . وربما نجد هذا واضحاً لدى الصوفية ، فاغتراب الصوفي هو اغتراب ديني قصد الترفع عن الشهوات والشبهات ، والاقتراب من الله ، ومما لاشك فيه ان بذور التصوف ظهرت « في نزعات الزهد القوية التي سادت في العالم الاسلامي في القرن الاول الهجري »[١٧] بسبب « المبالغة في الشعور بالخطيئة ... [و] الرعب الذي استولى على قلوب المسلمين من عقاب الله وعذاب الاخرة » .[١٨]

ان الايغال في التطهر ادى بهؤلاء الى اعتزال الدنيا ومباهجها ، خشية السقوط في الخطيئة . وقد تطور هذا النهج التطهري من جيل الى آخر ومن شيخ الى شيخ ، اي ان الاغتراب كان هو الاخر يتصاعد بالصوفي عن مجتمعه وحياته عن طريق (الجذب) الذي يقود فيما بعد الى الخروج عن الذات والفناء في الله . فلا عجب اذا وصف الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩ هـ) نفسه بالغريب والوحيد اذ يقول في احدى قصائده :

انتم ملكتم فؤادي فهمتُ في كل وادٍ
ردوا عليَّ فؤادي فقد عدمت رقادي
انا غريبٌ وحيدٌ بكم يطول انفرادي[19]

ولا عجب ايضاً اذا عدّ الصوفي الناس سبباً في ضياع ذاته، ومدعاة لاحتراف السفر والتجوال لاكتشافها وتطهيرها من مباذل الدنيا. فغربة المتصوفة غربة كونية انتشلتهم من « الوجود الحسي الارضي بوصفة غريباً وغير اصيل ».[20] ولهذا نرى ان كلمة « الغربة » من الفاظ معجم المتوصفة فقد كانت عندهم « تطلق بازاء مفارقة الوطن في طلب المقصود، وتقال الغربة في الاغتراب عن الحال ... »[21] وها هو محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ) وهو احد شيوخ المتصوفة، يستعمل لفظ « الغربة » الى جانب احد افعال الاغتراب « اغتربناها » في معرض اشارته الى فعل الخلق والانفصال عن الله قائلاً: « ان اول غربة اغتربناها وجوداً حسياً عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الاشهاد بالربوبية لله علينا، ثم عمرنا بطون الامهات، فكانت الارحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة ».[22]

ولاشك ان « العامل الاقتصادي والعامل السياسي يشكلان اكبر دوافع الاغتراب في البحث عن الجذور »[23] لذلك كانا سبباً فيما عاناه، العديد من الشعراء والادباء من غربة وهم في اوطانهم، واخرى خارج اوطانهم. فالترحل من اجل لقمة العيش وما صاحبه من مشقة وعناء، والبقاء في الاوطان وما رافقه من قهر واذلال، افرز نفراً من الادباء الغرباء شكل مادة كتاب ابي الفرج الاصبهاني (ت ٣٦٠ هـ) الموسوم بـ « ادب الغرباء ». وقد شرح المؤلف في مقدمة الكتاب دوافع تاليفه قائلاً: « ... وقد جمعت في هذا الكتاب ماوقع الي، وعرفته، وسمعت به، وشاهدته، من اخبار من قال شعراً في غربة، ونطق عما به من كربة، واعلن الشكوى بوجده الى كل متشرد عن اوطانه، ونازح الدار عن اخوانه ... »[24] وبذلك عانى اولئك الادباء عن اغترابات شتى: مكانية واجتماعيةواقتصادية وروحية بسبب قلة حظوظهم في مجتمعاتهم، وعيشهم على الكفاف، في مواجهة ظروف حطت من اقدارهم، ونالت من انسانيتهم.

وفي كتاب منازل السائرين يعرف شيخ الاسلام عبد الله الانصاري الهروي (٣٩٦ - ٤٨١ هـ) الاغتراب بانه: « امر يشار به الى الانفراد عن الاكفاء »[25] و يعني « ان كل من انفرد بوصف شريف دون ابناء جنسه فانه غريب بينهم لعدم مشاركه اولقلته ».[26] وقد صنف الانصاري الانفراد هذا على ثلاث درجات: فثمة « الغربة عن الاوطان » وهذا هو الانفراد بالجسم، وهو انفراد يشترك فيه الناس جميعاً لان الحياة الدنيا دار فانية يلتقي فيها الغرباء وسيلة للانتقال الى الاخرة، وهي دار الاقامة الابدية. وثمة الانفراد بالحال « غربة الحال، والحال هو الفعل، وقد جعل الشيخ الغرباء في هذه الدرجة ثلاثة انواع هم:

« ... رجل صالح في زمان فاسد، بين قوم فاسدين. او عالم بين قوم جاهلين او صديق بين قوم منافقين ».[27]

اما الدرجة الثالثة من الانفراد فهي « غربة الهمة، وهي غربة طلب الحق، وهي غربة العارف، لان العارف في شاهده غريب، ومصحوبه في شاهده غريب، وموجوده لا يحمله علم، او يظهره وجد، او يقوم به رسم، او تطيقه اشارة، او يشمله اسم غريب. فغربة العارف غربة الغربة، لانه غريب الدنيا والاخرة »[28] وهذه الاخيرة هي غربة الصوفية الذين افنوا انفسهم في حب الله والارتقاء اليه لذلك كانت اعلى درجات الغربة. فشاهد العارف في قوله « لان العارف في شاهده غريب » يعني « هو الذي يشهد عنده وله بصحة ماوجد، وانه كما وجد، وبثبوت ما عرف وانه كما عرف. وهذا الشاهد امر يجده في قلبه، وهو قربه من الله، وانسه به، وشدة شوقه الى لقائه، وفرحه به، فهذا شاهده في سره وقلبه ».[29] ولذلك عُدت غربة العارف « غربة الغربة » لانه غادر الصفات البشرية وتلبس الصفات الالهية.

وينقل لنا ابن باجة (ت ٥٨٣ هـ) وصفاً لصنف من الغرباء سموا بالنوابت تشبيهاً لهم بـ « العشب النابت من تلقاء نفسه بين الزرع ».[30] فهؤلاء « هم من لم يجتمع على رأيهم امة او مدينة، وهؤلاء هم الذين يعنيهم الصوفية بقولهم الغرباء، لانهم وان كانوا في اوطانهم وبين اترابهم وجيرانهم غرباء في ارائهم، فقد سافروا بافكارهم الى مراتب اخرى هي لهم كالاوطان ».[31] ومن هنا فان اغتراب هؤلاء هو اغتراب عن النظام غير العادل الذي لم يفرد لهم موقعاً، او هامشاً، حين ادار ظهره لهم، وسقط هو في زخرف الحياة، بينما ارتفعوا هم في مصاف الافكار التي عوضوا بها عن الاوطان.

ولعل الغربة باعلى درجاتها واقساها نجدها لدى ابي حيان التوحيدي (ت ٧٤٥ هـ). فلقد عانى هذا الاديب الموهوب من مختلف ضروب العوز، والغبن، والاهانة، عبر عنها ابلغ تعبير في « الاشارات الالهية » فالغريب عنده هو « من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة » كيف لا؟ وهو « غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه ولم يتزعزع عن مهب انفاسه، واغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه، وابعد البعداء من كان قريباً في محل قربه ».[32]

انها الغربة الروحية التي تلبست التوحيدي وهو في وطنه فاقامت برزخاً بينه وبين مجتمعه، ولذلك نأى بقيمه ومثله، ومواهبه، وتسامى بروحه واحزانه يتأسى بشكواه، ويتعزى بمناجاته.

تم يستطرد في تفصيل ما ينال هذا الاديب من اهمال، وتنكر، واعراض فيقول: «الغريب من اذا ذكر الحق هُجر، واذا دعا الى الحق زُجر ... الغريب من اذا قال لم يسمعوا له، وان رأوه لم يدوروا حوله ... الغريب من اذا أقبل لم يوسع له، واذا اعرض لم يُسأل عنه، الغريب في الجملة كله حرقة، وبعضه فرقة، وليله اسف، ونهاره لهف، وغذاؤه حزن، وعشاؤه شجن وخوفه وطن»(٣٣) فأي طوفان من الجحيم هذا الذي فغرفاه امام ابي حيان فابتلعه، وابتلاه بشقاء ابدي، وغربة ازلية؟ أن وراء هذا الاغتراب غنى الفكر، وسعة العلم، ورهافة الاحساس، ولكن المجتمع الغارق في الابتذال، لم يكن يقدر تلك المناقب حق قدرها فكان البرزخ الرهيب الذي فصل بين الاديب وبين الواقع.

وبعد سقوط بغداد في قبضة المغول، ينتهي العصر العباسي ويبدأ عصر جديد (٦٥٦ - ٩٢٣ هـ) اتسم بالانحطاط السياسي والتفاوت الطبقي، والضعف العلمي والحضاري، في ظل حكام كانوا في الغالب من غير العرب، فتشيع الفوضى ويغيب العدل، وينعدم تكافؤ الفرص، إذ يتقدم الجهلة، ويتأخر العلماء، وتنتعش بعد ذلك ظاهرة الاغتراب في صفوف اهل العلم، والمبدعين، الذين اعتزلوا اخلاقيات العصر وانتبذوا خارج المجتمع مكاناً قصياً. وكان هؤلاء موضوع كتاب «الفلاكة والمفلوكون»(٣٤) لشهاب الدين احمد الدلجي (ت ٨١٥ هـ). فالمفلوكون هم ضحايا المجتمع الظالم حين «استعجم الملك وجرئ تخطي الحدود... وزالت احوال البداوة، من خوف الذمة وشدة الحياء والكرم»(٣٥) وقد استعرض الدلجي نماذج من «الفلاكة» في التاريخ العربي وكأنه بذلك يقدم العزاء لمفلوكي زمانه. ولاشك في ان «تغير الاحوال انما هو بتغير الملوك»(٣٦) ولذلك فلا غرو اذا آل سقوط هيبة الحاكم الى استشراء الفساد، وتفاقم الاحتكار، وتأصل الانانية، وليس من الغريب في ظل تلك القيم الرثة ان تقبل الدنيا على السوقة ومحترفي الشهوات، وتعرض عن العلماء وهم «ملوك الناس»(٣٧) وليس امام هؤلاء المفلوكين الا ان يعزوا انفسهم بترديد هذين البيتين:

ما الناسُ الا مع الدنيا وصاحبها
فكيف ما انقلبتْ يوماً به انقلبوا
يعظّمون أخا الدنيا فانْ وثبتْ
عليه يوماً بما لا يشتهي وثبوا(٣٨)

الغربة والاغتراب عند الشعراء القدامى

عانى معظم الشعراء القدامى من الغربة والاغتراب، وكتبوا من خلالهما شعراً خالداً، ينوب رقة وتفجعاً؛ فقد تغرب امرؤ القيس (توفي سنة ٨ قبل الهجرة) صغيراً وكبيراً: صغيراً عندما انكر عليه ابوه قول الشعر، فالشعر لا يليق بابناء الملوك، فشبب باحدى نساء ابيه، وخرج مغضوباً عليه في نفر من شذاذ طيء وكلب وغيرهم طلباً للصيد والمجون(٣٩) وكبيراً حين تحمل من بين اخوته - وهو الاصغر - مهمة الثأر من قتلة ابيه، وما قولته الشهيرة: «ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً»(٤٠) الا صرخة غربته الروحية المركبة وهكذا «فقد تغرب غربة مزدوجة: الاولى عندما تصدعت علاقته بأبيه، وخرج عن حياته الاسرية، ثم ازدادت غربته عمقاً عندما لحق به الماضي في حياته الجديدة»(٤١)

وكان مقدراً على الشاعر طرفة بن العبد (ت سنة ٧٠ قبل الهجرة) أنْ يخرج على مجتمعه، ويتمرد على قيم القبيلة، «فتتحاماه العشيرة، وتفرده افراد البعير المعبد»(٤٢) فيلتحق بعمرو بن هند ملك الحيرة، فيمدحه - ثم يُغضبه، فيُقتل غريباً.

ولم يكن الشاعر عنترة بن شداد العبسي بعيداً عن الاغتراب الاجتماعي، الروحي المركب، بسبب لونه، ونسبه لامه وهي الامة الحبشية. هذا بالاضافة الى أنّ حبه لعبلة كان عنصراً عاطفياً مضافاً الى اغترابه، ولكنه استطاع مواجهته بفروسيته وشجاعته، فتخلص منه بعد ان انتزع اعتراف المجتمع به، وتزوج من عبلة(٤٣)

ويعيش الشاعر ذو الرمة (١١٧ هـ) غربة اجتماعية عاطفية مزدوجة، وربما كان مرضه العصبي(٤٤) سبباً في غربته الاجتماعية وعدم استقراره بالاضافة الى حبه «لمية» الذي استمر عشرين عاماً، انتهى من جانبها بزواجها من ابن عمها. وكان في تنقله من المدينة الى الصحراء، ومن الصحراء الى غيرها كمن «يقابل الغربة باغتراب آخر»(٤٥)

وعانى الطرماح (١٦٤ هـ) غربة سياسية بسبب مذهبه الخارجي واخرى مكانية اختارها بنفسه فهي «حالة من حالات الخروج من الوطن»(٤٦) طلباً للرزق.

ويعيش الشاعر عمران بن حطان غربة اجتماعية بسبب دمامته، وحين يعتنق مذهب الخوارج يعيش اغتراباً سياسياً يدفعه الى خوض القتال العقيدي ضد السلطة، ويتسبب في تشرده متخفياً بين القبائل، الى ان يموت غريباً في عمان.

ويعاني الشاعر عوف بن محلم الخزاعي من غربة مكانية مستمرة بسبب تنقله ثلاثين عاماً في جيش طاهر بن الحسين ثم مع ولده شاهداً حروب الري وخراسان وهو الذي خرج من الجزيرة العربية وفي هذا يقول:

أفي كل عام غربةٌ ونزوحُ
أما للنوى من ونيةٍ فتريحُ(٤٧)

وعانى الشاعر ابو تمام (٢٣٢ هـ) من اغترابات شتى. فقد ارتحل من قريته (جاسم) الى بغداد، وعاش فيها

غريباً إلّا من خاصة الخاصة ثم تنقل بين مدن واقاليم مختلفة ، ولقي من اجل الرزق والمجد ذل السؤال ، وبؤس . التغرب تحقيقاً لقوله :

وطـول مقام المـرء في الحي مُخْلِقٌ
لـديباجتيـه : فـاغتـرب تتجـدّد[48]

ولكنه سرعان مادخل في نفق غربة اجتماعية بسبب فشله في الوصول الى ما كان يسعى اليه ، فضلاً عما قاساه من فقره « عدداً من الابناء — [و] عدداً من اصدقائه الاوفياء »[49] . وما ناله من اذى الحساد وسماع الشر حتى انتهى به كل ذلك الى اليأس .[50]

ويقف الشاعر ابو الطيب المتنبي (٣٥٤ هـ) على ذروة سلم المجد الادبي في الوقت الذي كان يعاني فيه من اغترابات شتى . فقد « ارتبطت قضية الاحساس بالغربة عنده باحساسه بالعروبة » .[51] فثار على ملوك زمانه وقرر « الانفصال ... عن الواقع الاليم والتمرد عليه ورفض القيم التي تسود حياته » .[52] وقد شبه غربته الاجتماعية — الفكرية — الروحية — المكانية الحادة بغربة الانبياء والمرسلين :

ما مقامي بأرض نخلة إلّا كمقام المسيح بين اليهود

انا في أمة تداركها الله
غريبٌ كصالح في ثمود[53]

وقد تعرض الى ما تعرض له من اكبار واستهزاء ، واحتفال واحتقار ، متنقلاً من بلد الى آخر حتى لقي مصرعه دفاعاً عن كبريائه ، صارخاً من قبره ان « غربته عن جميع المذاهب القائمة والسياسات الحاكمة لم تسلمه إلّا الى الانطواء على شعره ، يحقق به وجوده ، وينشر فيه اعلامه »[54] .

ويعاني الشاعر ابو فراس الحمداني (٣٥٧ هـ) اغتراباً روحياً — مكانياً بسبب مرارة الأسر وعذابات الشوق الى الوطن والاهل ، ما انطقه تلك الروميات الخالدة .

ويعيش الشريف الرضي (٤٠٦ هـ) جملة اغترابات حادة على رأسها غربته الروحية التي تلبسته بسبب مأسي السلالة الهاشمية التي ينتسب اليها .[55] وثمة غربته الاجتماعية « في مجتمع تضيع فيه القيم »[56] فانسلخ عنه ونقمه ، فـ « كل الورى للفاضلين اعادى » ولان العصبة التي عاش معها :

« ... ترى الجور عدلا ، وتسمي الضلال دار رشاد »[57] .

وهناك الغترابة السياسي الذي ارتبط بطموحه المشروع من جهة ، وبانتمائه القومي العربي الاصيل بإزاء الهيمنة البويهية على مقاليد الحكم من جهة اخرى .[58]

ولابي الحسن علي ابن زريق البغدادي (ت سنة ٤٢٠ هـ) قصة هي اقرب الى المأساة فقد قيل انه كان من شعراء بغداد الفقراء ، وانه اراد الزواج من فتاة يهيم بها فلم يستطع لفقره ، فسافر الى المغرب ، ثم الى الاندلس ، ولكنه وُجد يوماً ميتاً وتحت وسادته كانت عينيته المشهورة والتي يشكو فيها حاله وقصته مع الرحيل والتي مطلعها :

لاتعـذليـه فـان العـذل يـولعـه
قـد قلت حقاً ولكن ليس يسمعـه[59]

اما الشاعر الخالد ابو العلاء المعري (ت سنة ٤٤٩ هـ) فقد عاش اغتراب النفس ، واغتراب المكان ، واغتراب الجسد ، فقد ولد عريقاً ، ولكنه نشأ زاهداً متقشفاً ، عازفاً عن لذائذ الدنيا ، مؤثراً الفقر ، وقد حبس نفسه ولزم بيته بالمعرة ، احتجاجاً على المجتمع ، بعد ان فقد ايمانه بالانسان بسبب تناقض قوله مع فعله ، وسيادة نزعة الشر في سلوكه كما فقد ايمانه بالحياة ، على الرغم من حبه لها ، لما لقيه من احباط ، في وقت نال فيه مَنْ هم دونه في الوعي ، وفي الشعور الانساني — وفي الموهبة فوق ما يستحقون .[60]

وفي بلاد الاندلس يبدو أنّ معظم الشعراء مغتربون ، فقد تفشى شعر الغربة بشكل لافت للنظر ، وقد عبر عن هواجس الاغتراب « خير تعبير فكانت هناك الكثير من القصائد التي تصور الغربة عن الوطن وما يرافقها من حنين اليه جعلتنا نظن ان الشعر الاندلسي ما وضع الا للغربة والحنين — رغم وجود الفنون والاغراض الاخرى » .[61]

الهوامش

(١) مادة (غرب) .
(٢) الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري ١ : ٣٥٠ .
(٣) ينظر : الزمن في شعر الرواد ، سلام كاظم الاوسي ، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة ، هامش الصفحة ٥٤ .
(٤) ينظر : منازل السائرين ، ص ٨٨ .
(٥) ندوة حول مشكلة الاغتراب ، د . فتح الله خليف ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٠ ، ١٩٧٩ ، ص ١١٤ .
(٦) ينظر : الاغتراب ، د . محمود رجب ، ١ : ٣٣ .
(٧) ينظر : نفسه ، ص ٣٤ — ٤٢ .
(٨) ينظر : الاغتراب في الذات ، د . حبيب الشاروني ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٠ ، ع ١ ، ١٩٧٩ ، ص ١٩ .
(٩) تطور الفكر الفلسفي ، ثيودر اويزرمان ، ص ١٧٥ .
(١٠) جاء في سفر التكوين ١٧ : ١ — ٨ ما يأتي :
ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له : انا الله

القدير ، سر امامي وكن كاملاً . فاجعل عهدي بيني وبينك واكثرك كثيراً جداً . فسقط ابرام على وجهه . وتكلم الله معه قائلاً ، اما انا فهو ذا عهدي معك وتكون ابا لجمهور من الامم ، فلا يدعى اسمك بعد ابرام ، بل يكون اسمك ابراهيم لاني اجعلك ابا لجمهور من الامم . واثمرك كثيراً جداً واجعلك امماً . وملوك منك يخرجون . واقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في اجيالهم عهداً ابدياً . لاكون الهاً لك ولنسلك من بعدك . واعطي لك ولنسلك من بعدك ارض غربتك » .

(١١) الانسان والاغتراب ، مجاهد عبد المنعم مجاهد ، ص ٣٢ .

(١٢) المكان نفسه .

(١٣) يرجح انه عاش في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي قبل الاسلام .

ينظر : ديوانه ، ص ١٨ .

(١٤) ديوانه ، ص ٢٥ ـ ٢٧ .

(١٥) صحيح مسلم ، ١ : ١٢ .

(١٦) كشف الكربة في وصف حال اهل الغربة ، ابن رجب الحنبلي ، ص ١٥ .

(١٧) في التصوف الاسلامي وتاريخه ، نيكولسون ، ص ٢ .

(١٨) المكان نفسه .

(١٩) ديوان الحلاج ، ص ٣٠ .

(٢٠) الاغتراب ، د . محمود رجب ، ص ١٠ .

(٢١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ، د . زكي مبارك ، ١ : ٦٣ .

(٢٢) الفتوحات المكية ، ٢ : ٦٩٦ .

(٢٣) الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، د . ماهر حسن فهمي ، ص ٣٧ .

(٢٤) أدب الغرباء ، ص ٢١ .

(٢٥) منازل السائرين ، ص ٨٧ .

(٢٦) مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ٣ : ١٢٦ .

(٢٧) منازل السائرين ، ص ٨٨ .

(٢٨) المكان نفسه .

(٢٩) مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ٣ : ١٢٨ .

(٣٠) رسائل ابن باجة الالهية ، ص ٤٢ .

(٣١) نفسه ، ص ٤٣ .

(٣٢) الاشارات الالهية ، ص ٨٣ .

(٣٣) الاشارات الالهية ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(٣٤) المفلوك لفظة اعجمية بمعنى الرجل غير المحظوظ المهمل في الناس لاملاقه وفقره » ينظر ، الاغتراب في الاسلام ، د . فتح الله خليف ، مجلة عالم الفكر ع ١ ، مج ١٠ ، ١٩٧٩ ، هامش الصفحة ٨٧ .

(٣٥) الفلاكة والمفلوكون ، ص ٦٨ .

(٣٦) نفسه ، ص ٦٢ .

(٣٧) نفسه ، ص ١٧٣ .

(٣٨) الفلاكة والمفلوكون ، ص ١٧٣ .

(٣٩) الاغاني ، ابو الفرج الاصبهاني ، ٩ : ٨٧ .

(٤٠) نفسه ، ٨٨ .

(٤١) غربة الملك الضليل ، عبدالرشيد الصادق محمودي ، م فصول ، ع ٢ ، مج ٤ ، يناير / فبراير / مارس ، ١٩٨٤ ، ١٣٢ .

(٤٢) ينظر : شرح القصائد التسع المشهورات ، ٢ : ٢٦٢ .

(٤٣) ينظر : الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، د . ماهر حسن فهمي ، ص ٩ .

(٤٤) ينظر : الاغاني ، ابو الفرج الاصبهاني ، ١٨ : ٢ .

(٤٥) الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، د . ماهر حسن فهمي ، ص ٨ .

(٤٦) دراسات في النص الشعري عصر صدر الاسلام وبني امية ، د . عبده بدوي ، ص ٢٤٥ .

(٤٧) ينظر : طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، ١٨٧ .

(٤٨) شرح الصولي لديوان ابي تمام ، ١ : ٤٨ .

(٤٩) الغربة في شعر ابي تمام ، سلمان التكريتي ، م المورد ، ع ٤ ، مج ٤ ، شتاء ١٩٧٥ ، ص ٦٤ .

(٥٠) ينظر : نفسه ، ص ٦٦ .

(٥١) دور الاديب في الوعي القومي العربي ، من ملامح العروبة في شعر العصر العباسي ، د . عصام عبد علي ، ص ١٤٤ .

(٥٢) المكان نفسه .

(٥٣) ديوانه ١ / ٣٢٤ .

(٥٤) المتنبي شاعر العظمة والطموح ، د . المنجي الكعبي ، المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس ، ص ١١٥ .

(٥٥) ينظر : الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي ، عزيز السيد جاسم ، ص ٣١ .

(٥٦) من ملامح العروبة في شعر العصر العباسي ، د . عصام عبد علي ، دور الاديب في الوعي القومي العربي ، ص ١٤٩ .

(٥٧) ديوانه ، ١ : ٢٩٨ .

(٥٨) ينظر : الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي ، عزيز السيد جاسم ، ص ٧٩ وما بعدها .

(٥٩) ينظر : ادباء بغداديون في الاندلس ، د . محسن جمال الدين ، ص ٢٦ .

(٦٠) ينظر : التشاؤم في رؤية ابي العلاء ، عبد القادر زيدان ، م . فصول ، عدد ٢ ، مج ٤ ، ١٩٨٤ ، ص ١٥ .

(٦١) الغربة والحنين في الشعر الاندلسي ، احمد حاجم محمد ، رسالة ماجستير ، على الالة الكاتبة ، ص ٥٧ .



اشكال الطلاق والخلع والفراق في عصر الرسالة والراشدين

ـ ابعاد اجتماعية واقتصادية ـ *

د . نجمان ياسين

تمهيد :

من المعروف ان عرب ما قبل الاسلام كانوا يطلقون ثلاثاً ، وكان الرجل يقول لامرأته : انت طالق فهو أحق الناس بها ، فان طلقها أثنتين فكذاك ، فان طلقها ثلاثاً ، فلا سبيل له عليها ، وقد بين الشاعر الاعشى هذا الامر في ابيات شعرية قالها عندما اجبره قومه على طلاق امرأة معينة[1] . كما كان الرجل منهم يطلق امرأته وهي حامل فتكتم الولد وتذهب به الى غيره وتكتم مخافة الرجعة[2] ولعلهم لم يكونوا قد عرفوا عدداً محدداً للطلاق ، فكان الرجل منهم يطلق امرأته ماشاء من الطلقات فاذا كادت تحل من طلاقه راجعها ماشاء[3] ومن سنتهم انه لم يكن للنساء عدة يعتدونها عند الطلاق فكانت المرأة المتوفى عنها زوجها تعتد بمده سنة ، وقد ولد منهن عدة ابناء على فرش ازواجهن الاولين ، الامر الذي ادى الى مشاكل في النسب والميراث امتدت الى نهاية عصر الراشدين [4] ولم تكن هذه المشاكل هينة لوجود اسماء كثيرة في قريش والعرب واجهت متاعب النسب والميراث [5] وقد عد عرب ما قبل الاسلام ، الايلاء طلاقاً فكان الرجل يولي من امرأته ويقول : والله لا يجتمع رأسي ورأسك ولا أقربك ولا أغشاك ، فكان اهل الجاهلية يعدونه طلاقاً[6] .

وعرف عرب هذه المرحلة الظهار كشكل من اشكال الفراق الذي يؤدي الى الطلاق ، فكان الرجل اذا قال لامرأته في الجاهلية انت علي كظهر أمي حرمت عليه[7] .

وعرفت هذه المرحلة شكلا من اشكال العلاقة بين الرجل والمرأة بشأن الفراق والطلاق وهو العضل ، الذي نرى بانه حالة معلقة بين الطلاق والبقاء في حيازة الرجل ، والغاية منه هي الاضرار المادي والنفسي بالمرأة اذ عرف عنهم انهم كانوا يعضلون اياماهن وهن كارهات للعضل حتى يمتن فيرثوهن اموالهن وقد كان العضل معروفاً بمكة اذ كانت قريش قد جريت ان ينكح الرجل المرأة الشريفة ، فان لم توافقه فارقها على الا تتزوج الا باذنه واشهد عليها الشهود وكتب بذلك عهداً ، فاذا تقدم اليها خاطب يتوجب عليها ان تعطي الذي فارقها وترضيه ، وبخلاف ذلك يذلها ويعضلها ، فتبقى في وضع معلق صعب [8] ويتضح ان الانصار في المدينة قد عرفوا العضل [9] .

ووجد الخلع بتعويض عندهم ايضاً فقد جاء عن عامر بن الظرب قوله لابن أخيه وكان تزوج ابنته واراد طلاقها : ان لم يكن بينكما وفاق ففراق الخلع أحسن من الطلاق ، ولن تترك مالك وأهلك ، فرد عليه صداقه وخلعها فهو أول من خلع من العرب [10] .

وقد كان أمر الطلاق بشكل عام بيد الرجل دون المرأة ، ورأينا ثمة علاقات متداخلة بين ما هو اقتصادي وما هو اجتماعي في اشكال الطلاق والايلاء والظهار والعضل التي عرفها ومارسها عرب ما قبل الاسلام .

ويبدو ان سيادة الرجل المتأتية عن الطبيعة الجغرافية لارض العرب والاعراف والتقاليد هي التي اتاحت له ان يهيمن في هذا الأمر ، شأنه في الامور الاخرى التي تنسجم مع المعطيات المكانية والزمانية . بيد ان ذلك لم يحل دون ظهور

* مبحث من كتاب معد للطبع للمؤلف بعنوان : « الاسلام والجنس في القرن الاول الهجري »

نساء ترك لهن الطلاق ومفارقة ازواجهن فقد كانت سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار قد تزوجت هاشم بن عبد مناف وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها ، اذا كرهت رجلاً فارقته[11] وهذا النص يرينا ان بعض النساء قد ملكن امر الطلاق بأيديهن ، ويبدو ان هذا الامتياز كان للارستقراطيات من النساء ، فابن حبيب يقدم لنا اسماء ست نساء لهن منعة اقتصادية وعشائرية[12] ويؤكد هذا ايضاً ان ماوية بنت عفز كانت ملكة لا تتزوج الا من ارادت فبعثت غلماناً لها لياتوها باوسم من يجدونه بالحيرة ، وقد تزوجت حاتماً الطائي[13] ـ ، وان هنداً بنت عتبة بن ربيعة قالت لابيها : ـ اني امرأة قد ملكت امري فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليّ[14] وهي أمور تؤشر كما اسلفنا ان النساء المنحدرات عن اصول عريقة ، صاحبات الجاه والثراء ، كن الاستثناء في القاعدة ، التي كانت تؤشر وتؤكد امتلاك الرجل لحق الطلاق واشكال الفراق الاخر .

تنظيم الاسلام للطلاق وأشكال الفراق :

واجه الاسلام ، ومن خلال القرآن الكريم ، الطلاق واشكال الفراق التي عرفها عرب ما قبل الاسلام والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والدينية الناجمة عنها . بمجموعة من الاحكام التشريعية التي استهدفت ارساء قيم المجتمع الجديد الموحد ، وقد افصح الله عز وجل عن ذلك خير افصاح في قوله : « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما اتيتموهن شيئاً »[15] وفي قوله : « واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه »[16] ، وقوله : « ياايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلا »[17] وقوله : « ياايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه * ولا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً »[18] وقوله : « فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم »[19] وفي قوله : « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر * واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن »[20] .

وقد جاءت اجراءات الرسول ـ ص ـ العملية لتحقيق البعد التطبيقي للاحكام التشريعية بشأن تنظيم الطلاق ، وابتداءً لابد من التأكيد بان الاسلام قد عد الطلاق ابغض الحلال عند الله[21] ويظهر ان الرسول ـ ص ـ قد عد طلاق الرجل إمرأته ثلاثاً واحدة ، وحاكاه في ذلك الخليفة الثاني[22] ان لم يكن الرجل قد دخل بالمرأة ، ويروى ان رجلاً جاء الرسول ـ ص ـ وقال : إني طلقت امرأتي البتة . فقال : ما اردت بها ؟ قلت : واحدة قال : والله ؟ . قال : فهو ما اردت »[23] وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق ، اذ أمره ابوه بطلاقها ثم سمعه يبدي الاسف والحزن فامره بمراجعتها ، ففعل[24] وقد تصدى عمر بن الخطاب ـ رض ـ للاستعجال في الطلاق وعدم التريث فيه ، وجعل الثلاث المجتمعة ثلاثاً لا واحدة اذ رأى الناس قد تتابعوا فقال : اجيزوهن عليهن[25] ويظهر ان التوسع في الطلاق هو الذي حدا بعمر بن الخطاب ـ رض ـ ان يتخذ هذا الاجراء ، والحق اننا لا نعدم وجود من اشتهر بانه مطلاق مذواق كالمغيرة بن شعبة الذي كان قد أحصن وطلق الكثير من النساء[26] والحسن بن علي ـ رض ـ الذي قيل له في ذلك فاجاب : « إن الله تعالى علق بهما الغنى فقال : « وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم واماءكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله * وقال : وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته * فانا اتزوج للغنى واطلق للغنى[27] ولعل الخليفة علي بن ابي طالب قد خشي ان يجر طلاق الحسن ـ رض ـ للنساء الى خلق عداوة بين القبائل فدعا أهل الكوفة الى الكف عن تزويجه بقوله : يا اهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فانه رجل مطلاق ، فقال رجل من همدان : والله لنزوجنه فما رضي امسك ، وما كره طلق[28] وابطل الرسول ـ ص ـ وفقاً للنص القرآني العادة التي تتيح للرجل ان يطلق المرأة ما يشاء ثم يراجعها قبل ان تنقضي عدتها فقد غضب رجل من الانصار على زوجته وقال لها : لا اقربك ولا تحلين مني ، قالت : كيف ، قال اطلقك حتى اذا دنا أجلك راجعتك ثم اطلقك فاذا دنا أجلك راجعتك ، قال فكشف ذلك الى النبي ـ ص ـ فانزل الله تعالى ذكره الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان[29] وقد طلق الرسول ـ ص ـ حفصة بنت عمر ابن الخطاب ـ رض ـ فرجعت الى اهلها الا انه راجعها بعد المدة تنفيذاً لامر الله الذي اعلمه بانها صوامة قوامة وانها من نسائه في الجنة[30] وعد تحليل المرأة المطلقة بالزواج من غير الرجل الاول امراً لابد من ان ارادت العودة الى زوجها الاول ، فقد جاء عن عروة بن الزبير قوله : « ... قال سمعتها تقول جاءت امرأة رفاعة القرظي الى رسول الله ـ ص ـ فقالت كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال لها تريدين ان ترجعي الى رفاعة ، لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك[31] وقد امتد هذا الاجراء الى العصر الراشدي

والاموي ، لانه تشريع ، حيث تصدى عبد الله بن عمر - رض - لاجهاض حيلة في التحليل اذ « جاء رجل الى ابن عمر - رض - فسأله : عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لاخيه ، هل تحل للاول ؟ قال : لا ، الا نكاح رغبة ، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله - ص - »[32] وقد رأى أحد الباحثين المعاصرين ان هذا الاجراء قد وضع ، للمحافظة على سلامة المرأة ، وذلك إما لمنع الازواج من الطلاق بسرعة أو لمنع الرجل من ان يقطع علاقاته الزوجية بدون ان يسمح للمرأة بالزواج مرة ثانية[33] ونستطيع ان نضيف الى ذلك ، ان هذا الاجراء يتضمن عقوبة للرجل في الوقت نفسه على المستوى النفسي . ونلاحظ ان التنظيم قد حفظ للمرأة حقها المالي حتى قبل ان يدخل بها الرجل ، وقد فسر مفسر هذا الامر بقوله : « ... ياايها الذين صدقوا الله ورسوله اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن يعني من قبل ان تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها يعني من احصاء اقراء ولا اشهر تحصونها عليهن فمتعوهن يقول اعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال ... »[34] كما فسر قوله تعالى : - ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره . بقوله : هل الرجل يتزوج المرأة ولا يسمي لها صداقاً ثم يطلقها قبل ان يدخل بها فلها متاع بالمعروف ولا صداق لها ، قال وادنى ذلك ثلاثة أثواب درع وخمار وجلباب وازار »[35] كما حدد حق المرأة المطلقة قبل الدخول بها بنصف ما فرض لها من صداق الا اذا تركت ذلك عن قناعة[36] كما ان العفو عن أخذ المتعة قد ترك بيد ولي امر المرأة الذي بيده عقد النكاح [37] ويتضح ان مقدار المتعة كان رهن قدرة وامكانية الرجل المادية التي ارتبطت بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية بدلالة ان عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته ومتعها بخادم [38] وان الحسن بن علي بن ابي طالب - رض - متع زوجة له بعشرة الاف درهم وزق عسل [39] ومتع الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان مطلقته سكينة بنت الحسين بعشرين الف دينار[40] وبدلالة ان ابن عباس قد رأى بان المتعة اعلاها خادم وأدناها كسوة ، وان مالكاً رأى ان لا احد لها لا في قليل ولا في كثير وأن بعض الفقهاء قد حددها بثلاثة دنانير لمن يستلم عطاء[41] وربما استمر آخرون باعطاء الزوجة خادماً كما فعل عبد الله بن الزبير ، او جارية كما فعل عروة بن الزبير .[42]

وكما تمتعت بعض النسوة الارستقراطيات اللواتي لهن عزة ومنعة بحق الطلاق في ايديهن بالنسبة لعرب ما قبل الاسلام ، فقد اعطى حق الطلاق للمرأة الشريفة اجتماعياً في الاسلام ايضاً ، اذ ترك أمر الطلاق لبعض النساء وكن يطلقن ازواجهن الا انهن كن يرجعن الى الازواج الذين كانوا يحلفون بانهم قد ملكوا المرأة حق تطليقة واحدة فقط ، فقد ورد أن « ... رجلاً من ثقيف ملك امرأته أمرها فقالت أنت الطلاق فسكت ثم قالت أنت الطلاق فقال بفيك الحجر ، ثم قالت انت الطلاق : فقال بفيك الحجر فاختصما الى مروان بن الحكم فاستحلفه ما ملكها الا واحدة وردها اليه[43] والواقع ان حق الطلاق اعطي تكريماً للمرأة الارستقراطية والكريمة النسب [44] وكان بعضهن يحسن التصرف فيه فقد قال الحسن بن علي بن حسين لامرأته عائشة بنت طلحة : امرك بيدك : قد كان عشرين سنة بيدك فاحسنت حفظه ، فلم أضيعه اذ صار بيدي ساعة وقد صرفته اليك فاعجبه ذلك منها وأمسكها »[45] .

وانتبه التنظيم الى أهمية تقليص الطلاق وكراهية التوسع فيه ، فعد الرجل الذي يحدث نفسه بالطلاق غير مطلق للمرأة[46] ولم يجز طلاق المعتوه المغلوب عقله[47] وبالمقابل وجدنا من قبل الخليفة الثاني يأمر ابنه عبد الرحمن بطلاق امرأته ولكنه يراجعها فيما بعد . كما وجدنا ابن عمر يطلق امرأته انصياعاً لامر ابيه[48] وطلق آخر امرأته انصياعاً لامر أمه[49] . الا ان التنظيم قد حفظ المرأة المطلقة من قبل الزوج المريض فقد ورث عمر وعثمان وعلي وابي بن كعب - رض - وغيرهم من الصحابة المرأة المطلقة ثلاثاً في مرض وموت الزوج [50] كما راعى التنظيم الجانب الانساني عند المرأة المطلقة ، اذ قضى ابو بكر الصديق - رض - بأن تحتفظ مطلقة عمر بن الخطاب - رض - الانصارية بابنة عاصم [51] . وعولج وضع المرأة الناشز ، وفقاً لقوله تعالى : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا »[52] وفي قوله : « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضاً فلا جناح عليها بينهما صلحاً والصلح خير »[53] والمرأة الناشز هي التي تخرج من موضعها[54] ويظهر أن بعض النسوة قد نشزن في زمن الرسول - ص - فرخص لازواجهن بضربهن - فاطاف برسول الله - ص - نساء كثير يشكون ازواجهن ، فقال النبي - ص - : لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون ازواجهم ، ليس اولئك بخياركم »[55] وقد اعاد الرسول - ص - امرأة الشاعر الاعشى التي نشزت وعانت برجل آخر بعد ان أخذت المرأة العهد والميثاق وذمة النبي بالا يعاقبها زوجها الاول » [56] كما ان الخليفة عثمان ابن عفان - رض - قد اعاد الى عقيل بن ابي طالب زوجته فاطمة بنت عقبة بن ربيعة التي نشزت عليه[57] .

وضع بعد انساني في طلاق الحائض ، حيث تركت الحرية للزوج في ابقاء او مفارقة المرأة بالطلاق فقد ورد عن « ... ابن عمر انه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله - ص - فسأل عمر بن الخطاب رسول الله عن ذلك ؟ فقال رسول الله - ص - مره فليراجعها ثم ليتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم ان شاء امسك بعد ، وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي أمر الله عز وجل أن يطلق لها النساء »[58] وبقيت العدة

مهمة في الطلاق في عصر الراشدين والعصر الاموي اذ تزوج حمران بن ابان امرأة في عدتها فنكل به عثمان وفرق بينهما وسيره الى البصرة[59] .

واشترط ان تمضي المرأة عدتها في بيتها اذا طلقت البتة لان في هذا تحبيباً للمراجعة والعودة الى المعقل ، وواقعية التشريع فقد جاء « ... ان يحيى بن سعيد بن العاصي طلق ابنة عبد الرحمن بن الحكم البتة فانتقلها عبد الرحمن بن الحكم فارسلت عائشة ام المؤمنين الى مروان بن الحكم وهو يومئذ أمير المدينة فقالت : « اتق الله واردد المرأة الى بيتها »[60] ففعل بمثل ما اشارت اليه . ومن قبل ضرب عمر بن الخطاب ـ رض ـ طليحة الاسدية التي زوجت في عدتها وفرق بينهما وقال : ـ ايما امرأة نكحت في عدتها فان كان زوجها الذي تزوجها لم يدخل بها فرق بينهما ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الاول ثم كان الاخر خاطباً من الخطاب وان كان دخل بها فرق بينهما ثم اعتدت بقية عدتها من الاول ثم اعتدت من الاخر ثم لا يجتمعان ابداً »[61] وهذا التاكيد على العدة في الطلاق يعود الى ان الخلفاء الراشدين قد واجهوا بعض المشاكل العملية التي من شانها اختلاط الانساب وضياع المواريث ، ومصادرنا تحدثنا عن اكثر من حالة اشترط فيها رجلان وقعا على امرأة في طهر واحد بحيث كانت المشكلة تحسم من قبل الراشدين عن طريق القرعة أو القافة لالحاق الولد بابيه[62] لان الطفل في النظام الأمي ينتمي الى عائلة الام سابقاً ، ولم يكن لمعرفة الوالد الحقيقي سوى اهمية ضئيلة حتى اذا ما اخذ الرجال بالاهتمام باطفالهم اصبح من الطبيعي ان يحاولوا التاكد من أبوتهم الجسدية فيما يتعلق بابناء زوجاتهم ، وقد شجع الاصلاح القرآني هذه النزعة التي تنحاز لتعزيز النظام الابوي [63] ومن هنا شدد الاسلام على عدم كتمان المرأة المطلقة للحمل ان كانت حاملاً من زوجها الأول الذي فارقت [64] وقد علق عمر بن الخطاب ـ رض ـ بعد ان قال لرجل ان يقرأ ـ لا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ـ « ان فلانة ممن يكتمن ما خلق الله في ارحامهن وكانت طلقت وهي حبلى فكتمت حتى وضعت »[65] ويبدو ان سبب كتمان النساء حملهن هو خوفهن من مراجعة ازواجهن لهن [66] .

ومن أسباب الفراق الاخرى بين الرجل والمرأة غير الطلاق . الردة واللعان والايلاء وهي اسباب نادرة الوقوع [67] فالردة توجب التفريق بين الرجل والمرأة[68] واللعان ايضاً يوجب التفريق بين الرجل والمرأة وذلك عندما يدعي ان الولد الذي انجبته امرأته ليس من صلبه وانما هو ولد رجل آخر : اي لا يعترف به ويتهم زوجته بالزنا ، وقد تلاعن اكثر من رجل على عهد الرسول ـ ص ـ مع امرأته ، ففرق بينهما[69] وكان ولد الملاعنة يلحق بامه ، وينحصر الارث بينه وبينها وبين اخوته لامه ولموالي امه ان كانت مولاة [70] وقد تضع الدولة ما بقي من الميراث في بيت المال [71] .

واقر التنظيم في الاسلام ، الخلع كحالة من حالات الفراق ، ويقال ـ ان اول من خلع كان في الاسلام اخت عبد الله ابن ابي انها اتت رسول الله (ص) فقالت يارسول الله لا يجمع رأسي ورأسه شيء ابداني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو أشدهم سواداً واقصرهم قامة واقبحهم وجهاً ، قال زوجها يارسول الله اعطيتها افضل مالي حديقة فلترد علي حديقتي . قال ما تقولين قالت نعم وان شاء زدته قال ففرق بينهما »[72] اي ان الفراق اوجب ان ترد المرأة المال الذي أخذته من الرجل ، وعمل الخلفاء الراشدون بسنة الرسول ـ ص ـ بشان الخلع اذ أقره عثمان بن عفان ـ رض ـ[73] وكان الخليفة علي بن ابي طالب ـ رض ـ يقول : « لا يأخذ من المختلعة فوق ما اعطاها »[74] وهو امر يوحي بأن بعض الرجال قد مارسوا الضغط على المرأة التي تريد الفراق وطالبوها باكثر مما أعطوها من مال ، وامتد الخلع الى العصر الاموي في المدينة[75] ونظراً لان الاسلام قد حرم من الرضاع ما يحرم من النسب [76] فان بعض الناس قد لجاوا الى حيلة من اجل التفريق بين الازواج وقد فهم عمر بن الخطاب ـ رض ـ هذا الامر ولذا : « لم يجز شهادة امرأة في الرضاع ، وقال لو فتحنا هذا الباب للناس لم تشا امرأة تفرق بين اثنين الاّ فعلت »[77] كما واجهت علي إبن ابي طالب ـ رض ـ حالة محرجة عالجها بحكمة اذ جاءه رجل واخبره : « ان امرأة أتته فذكرت انها ارضعته وامرأته ، فقال علي : ـ ما كنت لافرق بينك وبينها وان تنتزه خير لك ، فامسك الرجل »[78]

وتصدى التنظيم للايلاء والظهار بحزم ، ففي الوقت الذي كان يعد طلاقاً عند عرب ما قبل الاسلام فان التنظيم ابطله وفي هذا يقول احد المفسرين : « ... فاذا ظاهر الرجل من امرأته ، فان الله لم يجعلها أمه ولكن جعل فيها الكفارة . »[80] وكفارة الظهار هي عتق رقبة استناداً الى قوله : ـ « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا »[81] وحددت للايلاء فترة اربعة اشهر فان فاء فيها كفر عن يمينه وهي امرأته وان مضت اربعة اشهر اربعة اشهر ولم يفىء فهي تطليقه بائنة وهي احق بنفسها وهو احد الخطاب [82] وقد جاء عن النبي ـ ص ـ عن تطبيق الظهار عندما ظاهر اوس بن الصامت ، وعد زوجته خولة بنت خويلد الخزرجية كامه واراد الرسول ـ ص ـ ان يفرق بينهما الاّ انها جادلته فاعادها إلى زوجها تنفيذاً لقوله تعالى : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله »[83] ، كما راجع عمر بن الخطاب ـ رض ـ زوجته ، اذ يروى انه : « طلق امرأته فارادت ان تغتسل من الحيضة الثالثة فقال : امرأتي ورب

الكعبة[84] كما ان العضل الذي يضع المرأة في حالة صعبة تقع بين الطلاق والزواج قد عولج من قبل التنظيم ، اذ منع عضل النساء الذي تسرب إلى الاسلام كعادة قديمة ، حرصاً على مصلحة المرأة المالية[85] .

الهوامش

(١) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .
(٢) الطبري ، جامع البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ .
(٣) القرطبي ، تفسير القرطبي ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ .
(٤) ابن حبيب ، المحبر ، ٢٣٨ - ٢٣٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .
(٦) الطبري ، جامع البيان ، ج ٢ ص ٢٥٩ .
(٧) الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .
(٨) الطبري ، جامع البيان ، جـ ٤ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .
(٩) المصدر نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٠٨ .
(١٠) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، جـ ٤ ، ص ٧٦ .
(١١) ابن هشام ، السيرة ، ق ١ ، ص ١٣٧ .
(١٢) ابن حبيب المحبر ، ص ٣٩٨ .
(١٣) العسكري ، جمهرة الامثال ، جـ ١ ، ص ١٤٥ - ١٤٧ .
(١٤) القالي ، الامالي ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ .
(١٥) البقرة / ٢٢٩ .
(١٦) البقرة / ٢٣١ .
(١٧) الاحزاب ، ٤٩ .
(١٨) الطلاق / ١ .
(١٩) الطلاق / ٢ .
(٢٠) الطلاق / ٤ .
(٢١) ابن داود ، السنن ، جـ ١ ، ص ٥٠٣ .
(٢٢) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٥٠٩ .
(٢٣) الترمذي ، السنن ، جـ ٢ ، ص ٤٨٠ .
وانظر الشوكاني ، نيل الاوطار ، جـ ٧ ، ص ١٦ ، الاصبهاني ، محاضرات الادباء م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، ابن القيم ، اعلام الموقعين ، جـ ٣ ، ص ٤٦ ، حيث يوردون ان طلاق الثلاث في مجلس واحد قد عد تطليقة واحدة من قبل الرسول - ص - .
(٢٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ١٢٣ .
(٢٥) ابو داود ، السنن ، جـ ١ ، ص ٥٠٩ ، نيل الاوطار ، المصدر السابق نفس المكان ، الاصبهاني ، المصدر السابق ، نفس المكان .
ويورد مسلم عن عمر بن الخطاب قوله : « ان الناس قد استعجلوا في امر قد كانت لهم فيه أناة » صحيح مسلم ، جـ ٢ ، ص ١٠٩٩ .
(٢٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، جـ ٣ ، ص ٣١
(٢٧) الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .
(٢٨) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٩٠ - ١٩١ .
(٢٩) الطبري ، جامع البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦ ، القرطبي ، التفسير ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ .
(٣٠) الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٦ .
(٣١) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٢٩١ .
مسلم ، صحيح مسلم ، جـ ٢ ، ص ١٠٥٦ - ١٠٥٧ .
وانظر : ابن شبة ، تاريخ المدينة المنورة ، جـ ٣ ، ص ١٠١٨ حيث قال عثمان بن عفان - رض - لرجل اراد ان يحمل امرأة جاره : « الا نكاح رغبة غير مدالسة » .
(٣٢) ابن حجر المكي ، الافصاح عن احاديث النكاح ، ص ٧٨ .
(٣٣) وات ، مونتجمري ، محمد في المدينة ، ص ٤٣٣ .
(٣٤) الطبري ، جامع البيان ، جـ ٢٢ ، ص ١٤ .
(٣٥) المصدر نفسه جـ ٢ ، ص ٣٢٨ .
(٣٦) المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٣٤ .
(٣٧) المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٣٥ .
(٣٨) الطبري ، جامع البيان ، جـ ٢ ، ص ٣٢٨ .
(٣٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٣٨ .
(٤٠) الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ١٦ ، ص ١٥١ .
(٤١) انظر : مالك ، المدونة ، جـ ٥ ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .
(٤٢) المصدر نفسه ، نفس المكان .
(٤٣) مالك ، الموطا ، ص ٤٦٠ ، وانظر : ابن شبة ، تاريخ المدينة ، جـ ٣ ، ص ٩٦٨ حيث اقر عثمان بن عفان - رض - طلاق امرأة ملكت امرها بيدها . وافتى زيد بن ثابت في امرأة اخرى ، بان تعود الى زوجها ، بينما مضى الامر عبد الله بن عمر بشان امرأة ثالثة المصدر نفسه ، ص ٤٢٩ .
(٤٤) خليل ، خليل احمد ، مضمون الاسطورة في الفكر العربي ، ص ٦٢ .
(٤٥) ابن عبد ربه ، طبائع النساء ، ص ١٨٢ .
(٤٦) الترمذي ، السنن ، ص ٤٨٩ .
(٤٧) المصدر نفسه ، ص ٤٩٦ .
(٤٨) الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢١٦ .
(٤٩) المصدر نفسه ، نفس المكان .
(٥٠) ابن القيم ، اعلام الموقعين ، جـ ٣ ، ص ١٤٥ .
ابن رشد القرطبي ، بداية المجتهد ، جـ ٢ ، ص ٦٨ .
وقد اورد مالك ان « عثمان بن عفان ورث نساء بن مكمل منه وكان طلقهن وهو مريض » الموطا ٤٧٥ .
(٥١) مالك ، المصدر نفسه ، ص ٦٥٦ ، وانظر : ابن شبة ، تاريخ المدينة ، جـ ٢ ، ص ٧٦٧ - ٧٦٨ ، جـ ٣ ، ص ٩٦٧ .
(٥٢) النساء ٥ / ٣٤ .
(٥٣) النساء / ١٢٨ .
(٥٤) القالي ، الامالي ، جـ ٢ ، ص ١١٣ .
(٥٥) ابو داود ، السنن ، جـ ١ ، ص ٤٩٥ .
(٥٦) حميد الله ، محمد ، مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .
(٥٧) القرطبي ، مختار تفسير القرطبي ، ابن شبة ، تاريخ المدينة ، جـ ٣ ، ص ١٠٥٥ .
(٥٨) مسلم ، صحيح مسلم ، جـ ٢ ، ص ١٠٩٣ .
(٥٩) سيف بن عمر الضبي ، الفتنة ووقعة الجمل ، ص ٤٢ .
(٦٠) مالك ، الموطا ، ص ٤٨٠ - ٤٨١ .

(٦١) المصدر نفسه ، ص ٤٤٢ – ٤٤٣ .
(٦٢) مالك ، الموطا ، ص ٦٣٥ .
وانظر : ابن قيم الجوزية ، الفراسة ، ص ٢٠١ ، ص ٢١٧ – ٢١٨ .
(٦٣) وات ، مونتجمري ، محمد في المدينة ، ص ٤١٨ .
(٦٤) الطبري ، جامع البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٧١ .
(٦٥) المصدر نفسه ، نفس المكان .
(٦٦) المصدر نفسه ، نفس المكان .
(٦٧) الترمانيني ، عبد السلام ، الزواج عند العرب ، ص ٣١١ .
(٦٨) ابو سيف ، الخراج ، ص ١٨١ .
(٦٩) مالك ، الموطا ، ص ٤٧١ ، ابن شبة ، تاريخ المدينة المنورة ، جـ ٢ ، ص ٣٨٠ – ٣٨١ .
مسلم ، صحيح مسلم ، جـ ٢ ، ص ١١٣٠ .
ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٣٣٦ .
(٧٠) مالك ، الموطا ، ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، وانظر : ابن شبة ، تاريخ المدينة المنورة جـ ٢ ، ص ٣٨٧ – ٣٨٨ .
مسلم ، صحيح مسلم ، ٢٠٠ ، ص ١١٣٠ – ١١٣٣ .
(٧١) مالك ، المصدر نفسه ، نفس المكان .
(٧٢) الطبري ، جامع البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .
وانظر : الدارقطني ، السنن ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ ، ابو داود ، السنن ، جـ ٢ ، ص ٤٨٤ .
مالك الموطا ، ص ٤٦٩ .
القرطبي ، تفسير ، القرطبي ، جـ ٣ ، ص ١٣٩ .
الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٦ .
(٧٣) مالك ، المصدر نفسه ، ص ٤٦٩ .
(٧٤) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .
(٧٥) مالك ، المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .
(٧٦) ابن قيم الجوزية ، الفراسة ، ص ٦٣ .
(٧٧) المصدر نفسه ، ص ٧٦ .
(٧٨) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
(٧٩) الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧ .
(٨٠) الطبري ، جامع البيان ، جـ ٢١ ، ص ٧٥ .
(٨١) المجادلة / ٣ .
(٨٢) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ .
(٨٣) القرطبي ، مختار تفسير القرطبي ، ص ٨٠٥ ، وانظر : ابن شبة ، تاريخ المدينة ، جـ ٢ ، ص ٣٩٣ – ٣٩٤ .
(٨٤) الطبري ، جامع البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٦٥ .
(٨٥) ابن داود ، السنن ، جـ ١ ، ص ٤٨١ – ٤٨٢ .
الجصاص ، احكام القرآن ، جـ ١ ، ص ٣٩٧ .
الطبري ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

المصادر الاولية :

ـ القرآن الكريم
١ ـ ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن امية (ت ٢٤٥ هـ) ـ المحبر ، تحقيق ، يلزة ليختن شتيتر ، المكتب التجاري ، بيروت .
٢ ـ الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ـ جامع البيان في تفسير القرآن ، دار المعرفة ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧٢ ـ عن الطبعة الاولى الكبرى ببولاق ١٣٢٨ هـ .
٣ ـ القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت ٦٧١ هـ) .
ـ الجامع لاحكام القرآن ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٣ م ٢٠ ج .
٤ ـ الاصبهاني ، ابو القاسم حسين بن محمد الراغب الاصبهاني . (ت ٥٠٢ هـ) .
ـ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت .
٥ ـ ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) .
ـ عيون الاخبار ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٠ .
ـ المعارف ، تحقيق ، ثروت عكاشة ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٠ .
٦ ـ ابن هشام ، محمد بن عبد الملك (ت ٢١٨ هـ) .
ـ السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وزميليه ، مطبعة البابي الحلبي ٤ ج ، في قسمين ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٥ .
٧ ـ العسكري ، ابو هلال الحسن ـ عبد الله (ت ٣٦٥ هـ)
ـ جمهرة الامثال ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم وزميله ط ١ ، القاهرة ١٩٦٤ .
٨ ـ القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦ هـ) .
ـ الامالي ، دار الكتب المصرية .
٩ ـ الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ) .
ـ سنن الترمذي ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ط ١ ، القاهرة ١٩٣٧ م .
١٠ ـ ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحق الازدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) .
ـ سنن ابي داود ، مكتبة مطبعة البابي الحلبي واولاده ، بمصر ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٢ .
١١ ـ الشوكاني ، محمد بن علي اليمني (ت ١٢٥٥ هـ) .
ـ نيل الاوطار ، ادارة الطباعة المنيرية بمصر ١٣٤٤ هـ . ٩ ج .
١٢ ـ ابن عبد ربه ، احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ)
ـ العقد الفريد ، تحقيق : احمد امين وزميله ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ٧ ج ، القاهرة ١٩٦٥ .
ـ طبائع النساء ، تحقيق ، محمد ابراهيم سليم ، مكتبة القرآن القاهرة ، ١٩٨٥ .
١٣ ـ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) .
ـ صحيح مسلم ، تحقيق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، ٥ ج ، بيروت .
١٤ ـ الذهبي ، شمس الدين بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) .
ـ سير اعلام النبلاء ، تحقيق ؛ صلاح الدين المنجد ، القاهرة ،

١٩٥٥ ، وطبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت .
١٥ ـ السيوطي ، الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) .
ـ تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٤ .
١٦ ـ ابن شبة ، ابو زيد عمر النميري البصري (ت ٢٦٢ هـ) .
ـ كتاب تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، ٤ ج ـ دار الاصفهاني للطباعة ، جدة ١٣٩٣ هـ .
١٧ ـ ابن حجر المكي (ت ٩٧٤ هـ) .
ـ كتاب الافصاح عن احاديث النكاح ، تحقيق : محمد شكور امرير المياديني ، المكتبة العالمية ، بغداد ١٩٨٨ .
١٨ ـ الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) .
ـ الاغاني حـ ١ ـ حـ ١٦ طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٠ فما بعد . حـ ١٧ ـ حـ ٢٤ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٩ فما بعد .
١٩ ـ مالك بن انس (ت ١٧٩ هـ) .
ـ الموطا ، تحقيق : فاروق سعد ، دار الافاق الجديدة ، ط ١ ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ المدونة ، ١٦ ج في ستة مجلدات ، طبعة ساسي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
٢٠ ـ الضبي ، سيف بن عمر الضبي الاسدي (ت ٢٠٠ هـ) .
ـ الفتنة ووقعة الجمل ، جمع وتصنيف : احمد راتب عرموش ، دار النفائس ، ط ٤ ، بيروت ، ١٩٨٢ .
٢١ ـ ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١ هـ) .
ـ الفراسة ، تحقيق : صلاح الدين احمد السامرائي ، مكتبة القدس ، بغداد ١٩٨٦ .
٢٢ ـ ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢ هـ) .
ـ الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
٢٣ ـ الدار قطني ، الامام علي بن عمر (ت ٣٨٥ هـ) .
ـ سنن الدار قطني ، عالم الكتب ، بيروت .
٢٤ ـ الجصاص ، ابو بكر احمد بن علي الرازي الحنفي (ت ٣٧٠ هـ) .
ـ احكام القرآن ، المطبعة البهية المصرية ١٣٤٧ هـ
٢٥ ـ ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن ايوب (ت ٧٥١ هـ) .
اعلام الموقعين ٣٠ ج مطبعة النيل بمصر .
٢٦ ـ ابن رشد القرطبي ، ابو وليد محمد بن احمد الاندلسي الشهير بابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥ هـ) .
ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، مطبعة احمد كامل بمصر ١٣٣٣ هـ .
٢٧ ـ ابن هشام محمد بن عبد الملك (ت ٢١٨ هـ) .
السيرة النبوية ، مصطفى السقا وزميليه ، مطبعة البابي الحلبي ، ٤ ج في قسمين ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٥ .
المراجع الثانوية :
١ ـ وات ، مونتجمري .
ـ محمد في المدينة ، ترجمة : شعبان بركات ، المكتبة العصرية ، بيروت .
٢ ـ عبد السلام الترماتيني ، الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام ، عالم المعرفة ، عدد ٨٠ ، الكويت ١٩٨٤ .
٣ ـ حميد الله ، محمد ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . دار الارشاد د . ط ٣ ، بيروت ١٩٦٩
٤ ـ خليل ، احمد خليل ، مضمون الاسطورة في الفكر العربي ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٣ .

***





دور العراق في القادسية الاولى

د . هاشم يحيى الملاح

عضو المجمع العلمي العراقي

تمهيـــــد :-

ان من يدرس حدود العراق الجغرافية من ناحيتي الجنوب والغرب يلاحظ عدم وجود حواجز طبيعية تفصل بينه وبين شبه الجزيرة العربية . لذا فقد نظر بعض الجغرافيين الى العراق بصفته جزءاً من شبه الجزيرة العربية . وقد عد بعضهم نهر الفرات الحد الشمالي لجزيرة العرب .(١)

وقد ترتب على هذه الحقيقة الجغرافية حقيقة بشرية وهي ان غالبية سكان العراق يرجعون في اصولهم البعيدة الى شبه الجزيرة العربية حيث هاجر اجدادهم على شكل موجات متوالية الى العراق بسبب عوامل الجفاف التي ضربت اواسط شبه الجزيرة العربية بعد انقضاء العصر الجليدي.وقد استمرت هذه الهجرات عبر عصور التاريخ المختلفة وحتى الوقت الحاضر .(٢)

لذا كان من الطبيعي ان يتوزع ابناء القبائل العربية المختلفة في سكناهم على مختلف اقاليم شبه الجزيرة العربية وبضمنها العراق والشام . ولم يكن بأمكان القوى التي تسلطت على العراق وبلاد الشام في عصر ماقبل الاسلام من فرس وبيزنطيين أن تحول بين ابناء القبائل العربية وبين التنقل في مختلف اجزاء وطنهم العربي او ان ترسم حدوداً فاصلة بينها .(٣)

وقد اضطر هذا الواقع الفرس الساسانيين الى الاعتماد على المناذرة في العراق من اجل ضبط حدودهم ومنع القبائل العربية عن مهاجمة حواضرهم ومعسكراتهم . كما اضطر الروم البيزنطيين الى الاعتماد على الغساسنة في الشام من اجل تحقيق نفس الاغراض بالنسبة لحدودهم وحواضرهم .(٤)

وكان نجاح للفرس والبيزنطيين من اتباع هذه السياسة محدوداً ، اذ واصل العرب وجودهم القومي في العراق وبلاد الشام واستمر التواصل بينهم وبين عرب الجزيرة العربية قوياً مما اثار كثيراً من الخلافات بينهم وبين حلفائهم من العرب المناذرة معهم مما افسح المجال لظهور بوادر الوعي القومي عند العرب ، وساعد العرب على اتخاذ موقف سياسي موحد تجاه (الاعاجم) المتسلطين على بعض الاقاليم العربية وبخاصة في العراق .

لقد كان من ابرز مظاهر التيقظ القومي عند العرب معركة ذي قار التي خاضها بنو شيبان على ارض العراق في منطقة (ذي قار) القريبة من مدينة الكوفة الحالية ضد الفرس والتي انتهت بانتصار بني شيبان . وكان ذلك في حدود سنة ٦١٠ م حسب ارجح الروايات وقد عد الرسول محمد (ﷺ) هذا الانتصار بمثابة انتصار وأنتصاف للعرب من الفرس . لذا فقد نُقل عنه قوله : « هذا اول يوم أنتصف العرب من العجم وبي نصروا »(٥)

وقد عبر الاسلام بعقيدته ومثله ومبادئه ودولته عن اعمق تطلعات العرب في الوحدة والتحرر والانبعاث الحضاري لذا كان من الطبيعي ان يقبلوا على اعتناق مبادئه وحمل رايته في مختلف الميادين :

وكان من ابرز القبائل العربية التي استجابت للدعوة الاسلامية وأمنت بها في عهد الرسول (ﷺ) قبيلة بكر بن وائل والعشائر المنتسبة لها واشهرها بنو شيبان الذين كان يقيم غالبيتهم على ارض العراق ، وكان ضمن الرجال الذين ضمنهم وفد بني شيبان المثنى بن حارثة الشيباني الذي سيكون له شان كبير في حروب تحرير العراق وكان أسلامه مع افراد الوفد الذي جاء الى الرسول (ﷺ) في المدينة في حوالي السنة ٩ هـ / ٦٢٢ م(٦).

دور بني شيبان في حروب تحرير العراق :

كان بنو شيبان قد اكتشفوا مدى الضعف الذي تعاني منه

الامبراطورية الساسانية منذ أن انتصروا على قواتها في معركة ذي قار. لذا فقد كانوا يغيرون على سواد العراق الذي كان خاضعاً لسيطرتها دون خشية من بطشها وانتقامها. وكان من جملة زعماء بني شيبان الذي درج على الاغارة على السواد في رجال من قومه المثنى بن حارثة الشيباني فبلغ ذلك أبا بكر الصديق، وكان قد تولى الخلافة بعد وفاة الرسول (ﷺ) فسأل عنه، فقيل له: «هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد، هذا المثنى بن حارثة الشيباني. ثم ان المثنى قدم على أبي بكر، فقال له يا خليفة رسول الله استعملني على من اسلم من قومي أقاتل هذه الاعاجم من اهل فارس، فكتب له ابو بكر في ذلك عهداً»(٧).

ان موافقة ابي بكر الصديق على قيام المثنى بن حارثة الشيباني على بدء حروب تحرير العراق في سنة ١٢ هـ/٦٣٣ م، ربما جاءت بعد ان اوضح المثنى مدى ضعف الفرس ومدى استعداد عرب العراق على التعاون معه في قتال الفرس. وان مما يؤيد ذلك بان ابا بكر الصديق كان قد تلقى رسالة من مذكور بن عدي العجلي «يعلمه حاله وحال قومه ويسأله توليته قتال الفرس»(٨).

وحينما نشبت معارك القتال بين عرب العراق والفرس بقيادة المثنى بن حارثة وغيره وكان عدد مقاتلتهم يقدر بحوالي ثمانية آلاف مقاتل، قرر ابو بكر الصديق ان يمدهم بجيش مؤلف من عشرة آلاف مقاتل (٩) وأن يجعل القيادة العليا للقوات المقاتلة على ارض العراق الى خالد بن الوليد نظراً لما يتمتع به من خبرة ومهارة في ميادين الحروب. وهكذا فقد كتب الخليفة ابو بكر الصديق الى كل من المثنى ابن حارثة الشيباني وكان يقاتل في منطقة الحيرة، ومذكور بن عدي العجلي وسويد ابن قطبة الذهلي، وهو من بكر بن وائل ومعه جماعة من قومه في البصرة، يأمرهم بأن يسمعوا ويطيعوا لخالد بن الوليد أن يعملوا تحت قيادته في محاربة الفرس»(١٠).

وقد قدر لخالد ان يقود قوات التحرير في العراق لمدة سنة حقق في اثنائها عدة انتصارات على الفرس في اراضي سواد العراق. وكانت السياسة العامة التي التزمها هي الا يبدأ احد بقتال حتى يدعوه الى الاسلام، فان قبل ذلك كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم من حقوق وواجبات، فان رفض وفضل البقاء على عقيدته طلب منه الخضوع للدولة العربية الاسلامية والعيش في ظل عدالتها على ان يؤدي ضريبة الجزية. فان رفض ذلك أيضاً واصر على المقاومة لجأ الى القتال. وربما كان حوار خالد بن الوليد مع اهل الحيرة من خير الشواهد الموضحة لابعاد هذه السياسة، اذ قال خالد مخاطباً أهل الحيرة: «ويحكم ما أنتم أعرب؟ فما تنقمون من العرب أو عجم؟ فما تنقمون من الانصاف والعدل فقال له عدي: بل عرب عاربة وأخرى مستعربة فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عدي: ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان الا بالعربية. فقال صدقت. وقال اختاروا واحدة من ثلاث: أن تدخلوا ديننا فلكم مالنا وعليكم ما علينا ان نهضتم وهاجرتم وان اقمتم في دياركم، او الجزية، او المنابذة والمناجزة، فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة. فقال: بل نعطيك الجزية، فقال خالد: تباً لكم ويحكم ان الكفر فلاة مُضلة، فأحمق العرب من سلكها فلقيه دليلان: أحدهما عربي فتركه وأستدل بالاعجمي»(١١)

ويلاحظ أنه على الرغم من حماس خالد وحرصه على اقناع اهل الحيرة بقبول رسالة الاسلام، الا انه أضطر الى احترام موقفهم حين رفضوا ذلك وقبل منهم دفع الجزية «وعلى ان يكونوا عيوناً للمسلمين على اهل فارس، وان لا يهدم لهم بيعة ولا قصراً»(١٢)

لقد تولى المثنى بن حارثة الشيباني قيادة قوات التحرير في العراق بعد ان غادر خالد بن الوليد العراق متوجهاً الى بلاد الشام على راس قوة عسكرية من قوات العراق للمساعدة في حروب تحرير بلاد الشام من تسلط البيزنطيين.

ويبدو ان الفرس قد حاولوا استغلال هذا الظرف فاخذوا يحشدون اقصى مالديهم من قوة لحسم المعارك في العراق لصالحهم. وقد ادرك المثنى بن حارثة هذا الواقع فبادر الى السفر الى المدينة لتوضيح الموقف الى الخليفة ابي بكر الصديق (رض) من اجل الحصول على امدادات جديدة لقواته. الا ان الخليفة كان يعاني في ذلك الوقت من آثار مرض شديد لم يلبث أن توفي على اثره وتولى الخلافة من بعده عمر بن الخطاب (رض).

وكان من اول الاعمال التي قام بها الخليفة الجديد هو دعوته للناس الى الانضمام الى جيش العراق لمقاتلة الفرس، غير ان الناس تثاقلوا عن تلبية الدعوة، وذلك لان وجه فارس كان «من اكره الوجوه اليهم واثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الامم»(١٣)

وقد قام المثنى بن حارثة الشيباني بتشجيع الناس على الالتحاق بهذا الجيش وتبديد المخاوف في نفوسهم بقوله: «أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد تبحبحنا ريف فارس غلبناهم على خير شقي السواد، وشاطرناهم ونلنا منهم، وأجترأ من قبلنا عليهم، ولها ان شاء الله مابعدها»(١٤). كما قام الخليفة عمر بن الخطاب بحث الناس على الجهاد والمشاركة في هذه الحملة(١٥).

وأخيراً تقدم ابو عبيد بن مسعود الثقفي الى التطوع للذهاب الى العراق وتبعه أخرون حتى بلغ عدد جنده ألف مقاتل. وقد جعل الخليفة لابي عبيد الثقفي قيادة جبهة العراق فكان «ولا يمر بقوم من العرب الا رغبهم في الجهاد والغنيمة فصحبه خلق»

وقد استطاع جيش ابي عبيد الثقفي أن يحقق بعض

الانتصارات على الفرس اثر وصوله العراق في معركة النمارق ، ومعركة السقاطية ، مما اقلق الفرس وجعلهم يحشدون قوة كبيرة لملاقاة جيش المسلمين عند موضع يدعى المروحة حيث وقعت عنده احدى المعارك المهمة التي عرفت بمعركة الجسر .

لقد جرت احداث معركة الجسر في غير صالح المسلمين وقتل فيها ابو عبيد ابن مسعود الثقفي (١٧) لذا فقد تولى المثنى بن حارثة قيادة جبهة العراق من جديد ، وأخذ يعمل لحشد اقصى ما يستطيع من رجال لخوض معركة جديدة . كما قام الخليفة عمر بن الخطاب بأرسال نجدات متوالية الى العراق(١٨) .

وهكذا أخذت جبهة العراق تستعيد قوتها وحيويتها بكثرة من وفد اليها من المقاتلين مما مكن المثنى بن حارثة من حشد طاقات المقاتلين أستعداداً لمواجهة الفرس عند موضع على الفرات مما يلي الكوفة يدعى « البويب » . وكان نهر الفرات يفصل بين قوات الطرفين . لذا فقد كاتب مهران قائد الفرس المثنى بن حارثة الشيباني : « اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم . فقال المثنى : اعبروا . فعبر مهران ، فنزل على شاطىء الفرات معهم في الملطاط »(١٩) ، فاجتمع العسكران على شاطىء البويب الشرقي »(٢٠)

وقد دارت على ارض هذا الموضع معركة عنيفة استبسل فيها المسلمون وقاتلوا قتال الابطال من اجل الثأر لهزيمة المسلمين في معركة الجسر ، وتاكيداً لوجودهم الذي اصبح في خطر . ويلاحظ ان الشعور القومي قد برز في هذه المعركة بصورة واضحة ، اذ ساهم نصارى تغلب الى جانب المسلمين في المعركة حين رأوا نزول العرب بالعجم (٢١) فقالوا : « نقاتل مع قومنا »(٢٢) كما عمد المثنى بن حارثة الى الاستعانة بانس ابن هلال ، فقال : « يا أنس ، انك أمرؤ عربي ، وان لم تكن على ديننا ، فاذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي »(٢٣)

لقد انتهت هذه المعركة بانتصار المسلمين انتصاراً حاسماً وقتل فيها مهران قائد الفرس ، وكان الذي قتله غلام نصراني من تغلب (٢٤) كما ان الفرس فقدوا فيها من القتلى اعداداً كبيرة حتى ان جثثهم شكلت « تلولاً من هامهم وأوصالهم » كما يروي الطبري(٢٥) . وبذلك عادت موازين القتال لتؤشر ان المستقبل قد غدا لصالح المسلمين ، وأن عليهم ان يواصلوا الضغط على الفرس من اجل حسم المعارك على جبهة العراق بصورة نهائية لصالحهم .

ومن ثم ، فقد أخذ « المسلمون يشنون الغارات ويتابعونها فيما بين الحيرة وكسكر ، وفيما بين كسكر وسورا .... وما بين الفلوجتين والنهر وعين التمر .... وكانوا يعيشون مما ينالون من الغارات .. »(٢٦) حتى وقعت معركة القادسية ، وقد استمرت هذه الحالة مدة ثمانية عشر شهراً حسبما يذكر البلاذري (٢٧)

معركة القادسية :

القادسية موضع قريب من مدينة الكوفة في العراق « وبينهما وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً » كما يذكر ياقوت الحموي(٢٨) . وقد جرت على ارضها اشهر واكبر معارك تحرير العراق ، وقد عرفت باسمها . وكان ذلك ما بين ١٤ ـ ١٦ للهجرة(٢٩) وقد ذكر ان الفرس حشدوا لهذه المعركة قوة عسكرية كبيرة من اجل حسم مسيرة الصراع لصالحهم(٣٠) وقد قدرت بعض المصادر هذه القوة بمائة وعشرين ألف مقاتل (٣١) وكان هؤلاء المقاتلين مجهزين باحسن الاسلحة ، وقد اصطحبوا معهم للقتال اعداداً من الفيلة(٣٢) .

اما من جانب المسلمين فقد سعى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ان يحشد لهذه المعركة اكبر عدد ممكن من الرجال من مختلف القبائل العربية مما افسح المجال لحصول بعض الاختلافات بين زعماء القبائل في من يتولى القيادة العليا لذا فقد فكر الخليفة عمر بان يذهب بنفسه الى العراق ليتولى قيادة جيوش التحرير غير ان غالبية الصحابة من حوله كرهوا ذلك خشية ان يصاب الخليفة او يقتل في المعركة مما قد يترتب عليه آثار خطيرة على مستقبل الدولة . لذا فقد اقترحوا عليه ان يعهد بقيادة جبهة العراق الى صحابي ذي مكانة عالية بين المسلمين ، وهو فضلاً عن ذلك يتمتع بكفاءة عسكرية مرموقة ، وكان الذي وقع عليه الاختيار هو سعد بن ابي وقاص(٣٣) .

لقد تفاوتت المصادر في تقديرها لحجم القوة التي حشدها لخوض معركة القادسية فذهب بعضها الى انها كانت تتراوح بين ستة آلاف الى عشرة آلاف مقاتل (٣٤) بينما ذهب البعض الاخر الى انها كانت ستين ألف مقاتل(٣٥) أما الطبري فقد ذكر ان « جميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفاً ، وجميع من قسم عليه في القادسية نحو من ثلاثين ألفاً »(٣٦) .

ويبدو ان التقدير الذي قدمه الطبري هو الاقرب الى الصواب لانه يتناسب مع ضخامة جيش العدو وخطورة المعركة وقد اشار الطبري الى بعض القبائل التي تألف منها جيش المسلمين في معركة القادسية ، وكانت بحسب التفصيل الاتي :

١ ـ ثمانية آلاف مقاتل كانوا مع المثنى بن حارثة الشيباني ، ستة آلاف منهم كانوا ينتمون لقبيلة بكر بن وائل ، وألفان من سائر ربيعة . وحين توفي المثنى بسبب الجراح التي كانت قد اصابته في معركة الجسر وذلك قبل نشوب معركة القادسية أستخلف على الناس بشير بن الخصاصية ، « ومع بشير يومئذ وجوه اهل العراق »(٣٧) ويبدو ان هذه القوة قد كونت نواة المقاتلين من اهل العراق التي ساهمت في حروب تحرير العراق منذ البداية واكتسبت خبرة عالية في محاربة الفرس .

٢ ـ أربعة آلاف مقاتل من بني تميم والرباب .
٣ ـ ثلاثة آلاف مقاتل من بني أسد .
٤ ـ ألفان من قبيلة بجيلة .
٥ ـ ألفان من قبيلتي قضاعة وطيء .
٦ ـ ألف وسبعمائة من اهل اليمن بقيادة الاشعث بن قيس .[38]

وقد توزع بقية المقاتلين على القبائل الاخرى .

يبدو مما تقدم ، ان معركة القادسية كانت الميدان الذي تلاحمت على ارضه طاقات جميع ابناء الامة العربية من اجل تحقيق رسالة الاسلام السامية في اقامة العدالة وتحرير ارض العراق من التسلط الاجنبي البغيض . وقد مثلت القبائل العراقية الصلبة في هذه المعركة .

ويلاحظ ان الخليفة عمر بن الخطاب لم يقصر جهده على رفد المعركة بالمقاتلين الاشداء فقط وانما اولى الجانب المعنوي للمعركة اهتماماً بالغاً فقال : « والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب ، فلم يدع رئيساً ، ولا ذا رأي ، ولا ذا شرف ، ولا ذا سلطة ، ولا خطيباً ، ولا شاعراً ، الا رماهم به ، فرماهم بوجوه الناس وغررهم »[39] وقد ذكر ان المثنى بن حارثة الشيباني كان قد بعث وصية الى سعد بن ابي وقاص قبل وفاته يرجوه فيها الا يقاتل عدوه وعدوهم من اهل فارس « في عقر دارهم ، وان يقاتلهم على حدود أرضهم على ادنى حجر من ارض العرب وأدنى مدرة من ارض العجم ، فان يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما ورائهم ، وان تكن الاخرى فاءوا الى فئة ، ثم يكونوا أعلم بسبيلهم ، واجرأ على ارضهم ، الى ان يرد الله الكرة عليهم »[40]

وقد اشير الى ان سعد بن ابي وقاص حين قرأ هذه الوصية ترحم على المثنى وأمّر اخاه المعنى بن حارثة الشيباني على عمله وأوصى باهله خيراً .[41]

وهكذا فقد اتخذ سعد بن ابي وقاص قراره في خوض المعركة في منطقة القادسية وهي موضع قريب من الحيرة على حافة الصحراء على الضفة الغربية من نهر الفرات . وتجمع المصادر على ان هذه المعركة كانت من اعنف المعارك خاضها العرب المسلمون في مواجهة الفرس . وقد استمرت أربعة ايام ، تواصل القتال في بعضها ليلاً ونهاراً . وقد انتهت بانتصار المسلمين نصراً حاسماً على الفرس ، مما اجبر القوات المنهزمة على الانسحاب الى المدائن (طيسفون التي كانت عاصمة للفرس الساسانيين للتحصن بها .[42]

ولم يفوت المسلمون هذه الفرصة فتابعوا القوات المنهزمة الى المدائن ، ومازالوا يضيقون عليها الحصار حتى ارغموها على الاستسلام ، وفر منها يزدجرد ملك فارس الى حلوان ومعه اتباعه وامواله .[43]

لقد كان حرياً بيزدجرد ان يعمل على وقف القتال بعد ان هزم جيشه في اكثر من معركة ، وفقد عاصمة ملكه ، الا ان العناد غلبه فاستمر بتجهيز للحملات العسكرية المتوالية لمقاومة العرب المسلمين ، مما ادى الى هزيمة جيشه مرة اخرى عند جلولاء[44] ، وبذلك « لم يبق من سواد دجلة ناحية الاغلب عليها المسلمون وصارت في ايديهم »[45] .

وهكذا تم تحرير العراق من تسلط الفرس وظلمهم ، وكان لابناء العراق دور طليعي متميز في معارك التحرير التي فتحت عهداً جديداً في تاريخ العرب والانسانية وقد تميز هذا العهد بتوحد العرب في دولة واحدة ، ذات رسالة حضارية سامية ، وكانت هذه الرسالة هي الاسلام .

الهوامش :

١ ـ الاصطخري ، ابراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، مصر ١٩٦١ ، ص ٢٠ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، بغداد ١٩٨٩ ص ٣٩ ، ٨٤ .
٢ ـ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ١٩٧٦ ج ١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، ٢٤٢ ـ ٢٤٤ .
٣ ـ محمود عبد الله العبيدي ، بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي والاسلامي حتى مطلع العصر الراشدي ، بغداد ١٩٨٤ ، ص ١٧ ـ ٣٥ .
٤ ـ بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي ، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص ٨١ .
٥ ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٦٨ ، ج ١ ص ١٩٣ وللمزيد من التفاصيل يراجع العبيدي ، بنو شيبان ، ودورهم في التاريخ العربي ص ١٢٨ ـ ١٥٢ .
٦ ـ العبيدي ، بنو شيبان ، ص ١٦٠ ـ ١٦١ .
٧ ـ البلاذري فتوح البلدان ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٢٤٢ .
٨ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ .
٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٣ ص ٣٤٧ .
١٠ ـ المصدر نفسه ، ٣٢٠ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٥ ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .
١١ ـ الطبري ، تاريخ ج ٣ ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ .
١٢ ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٤٤ .
١٣ ـ الطبري ، تاريخ ج ٣ ، ص ٤٤٤ .
١٤ ـ المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٤٥ .
١٥ ـ المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٤٥ .
١٦ ـ البلاذري ، فتوح ، ص ٢٥١ .
١٧ ـ المصدر نفسه ، ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ، الطبري ، تاريخ ج ٣ ص ٤٥٥ ـ ٤٥٨ .

١٨ ـ الطبري ، تاريخ ج ٣ ص ٤٦٠ .
١٩ ـ المصدر نفسه ، ٣٢٠ ، ص ٤٦١ .
٢٠ ـ المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٤٦٣ .
٢١ ـ د . هاشم يحيى الملاح ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، الموصل ١٩٩١ ص ٣٦٥ .
٢٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٣٢٠ ص ٤٦٤ .
٢٣ ـ المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٤٦٦ .
٢٤ ـ المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٤٦٦ .
٢٥ ـ المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٤٦٧ .
٢٦ ـ البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٥٥ .
٢٧ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٥٥ .
٢٨ ـ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت (دار صادر) ج ٤ ص ٢٩١ .
٢٩ ـ الطبري ، تاريخ ج ٣ ، ص ٤٩٠ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٢٥٦ .
٣٠ ـ البلاذري ، فتوح ص ٢٥٦ .
٣١ ـ ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، بيروت ١٩٦٨ ج ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .
٣٢ ـ المصدر نفسه ج ١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٦ .
٣٣ ـ المصدر نفسه ، ج ١ ص ١٧١ ـ ١٧٢ .
٣٤ ـ ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، حققه اكرم العمري ، نجف ١٩٦٧ ، ج ١ ص ١٠١ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٥٦ .
٣٥ ـ ابن اعثم ، كتاب الفتوح ، ج ١ ص ٢٠١ .
٣٦ ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٣ ص ٤٨٧ .
٣٧ ـ المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧ .
٣٨ ـ المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧ .
٣٩ ـ المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٨٧ .
٤٠ ـ المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٩٠ .
٤١ ـ المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٩٠ .
٤٢ ـ المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٢٥٩ البلاذري ، فتوح ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠ .
٤٣ ـ البلاذري ، فتوح ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ، ابن خياط تاريخ ، ج ١ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .
٤٤ ـ البلاذري ، فتوح ص ٢٦٤ ، ابن خياط ، تاريخ ج ١ ص ١٠٧ .
٤٥ ـ البلاذري ، فتوح ص ٢٦٤ .

غيلان بن سلمة الثقفي

وما تبقى من شعره

د . بدر احمد ضيف
كلية الاداب ـ جامعة طنطا ـ مصر

المقدمة

ـ ١ ـ

هو غيلان بن سلمة بن مُعتِّب بن مالك بن كعب بن عمر بن سَعْد بن عَوْف بن ثقيف[١] ، لا خلاف في ذلك بين المصادر ، غير أنّ النووى يقول : « هو غيلان بن سلمة بن مُعَيِّب »[٢] ، فيخالف في جدّه . ويبدو من أخباره القليلة أنه كان شاعرا ، ولكنه ـ كما يقولون ـ شاعر مقل ، وليس بمعروف في الفحول [٣] . سَيِّدٌ من ساداتِ ثقيف ، وأحد وجوههم في الجاهلية والإسلام ، شريف في قومه ، عزيز بينهم ، من الاحلاف أحد فرعى قبيلة ثقيف[٤]عدّه القدماء أحد حكام قيس في الجاهلية[٥] ، ومن الذين كانت بيدهم مقاليد الامور والحروب ، يحتكم الناس إليه ، فقد لجأ إليه ـ في منافرة ـ علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وعامر ابن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب[٦] ، وكلاهما من بكر بن هوازن ، والمعروف أن« بكرا ولد : سعدا ، ومُنَبِّها ، ومعاوية ، وزُيدا » [٧] . فمعاوية جدهم أخو منبه ثقيف . وحين غزت خثعم ثقيفا بالطائف خرج إليهم غيلان بن سلمة[٨] ، ولمّا بلغ ثقيفا مسيرُ بني عامر بن ربيعة ، بطن من قيس بن عيلان ، من العدنانية ، وهم : بنو عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان[٩] ، فهم أبناء عم بني ثقيف ، استنجدوا بني نصر ، فخرجت ثقيف إلى بني عامر وعليهم يومئذ غيلان بن سلمة[١٠] .

ولغيلان كما يزعمون ـ وفادة على كسرى مع نفر من قريش ومن ثقيف[١١] . ورووا له في هذه الوفادة كلمات تتنسم منها حكمة الرجل وتملقه ، فقد قيل : إن كسرى سأله : أي ولدك أحبُّ اليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم[١٢] ، وأنه أعجب به ، وأرسل معه من يبنى له أطُما في الطائف ، فكان أول قصر بنى بها[١٣] . وغيلان ـ فيما قال ـ أحد من نزل فيهم[١٤]« لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ »[١٥] .

كذلك يبدو من أخباره أنه أحصن عشراً من نساء العرب في الجاهلية ، فحين حضرته الوفاة قال لبنيه : يابنيّ ، قد أحسنت خدمة أموالكم ، وأمجدت أمهاتكم ، فلن تزالوا بخير ما غَذَوْتُم من كريم ، وغُذّا منكم ، فعليكم ببيوتات العرب فإنها مدارج الكرم ، وعليكم بكل رمكاء ركينة ، أو بيضاء رزينة ، في جِذْرِ بيتٍ يُتّبَعُ ، أوجدُ يُرتجى ، واياكم والقصيرة الرطلة ، فإن أبغض الرجال إلى أن يقاتل عن إبلي ، أو يناضل عن حسبي القصير الرطل[١٦] . وحين جاء الإسلام أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا ويفارق بقيتهن[١٧] .

ومع زيجاته هذه لم تذكر لنا كتب التراجم إلا عددا قليلا من أبنائه ، وغير زوج واحدة هي خالدة بنت أبي العاص التي أنجبت له عمارا وعامرا ، فهاجر عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رحل إلى الشام مع خالد بن الوليد ، فتوفى عامر بطاعون عمواس ، وكان فارس ثقيف يومئذ[١٨] ، وكان قد أسلم بعد فتح الطائف . ويذكرون« نافعاً » الذي استشهد بدومة الجندل سنة ١٣ هـ[١٩] . وله مولى اسمه نافع أسلم قبل غيلان وفرّ الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلم غيلان وابنه عروة فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاءه[٢٠] . ويقال إن« تميما » ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم[٢١] ، وكان« شرحبيل » مع الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات سنة ستين[٢٢] ، ويذكرون له ابنة واحدة هي بادية بنت غيلان الثقفية[٢٣] .

ويرى ابن سعد أن غيلان بن سلمة تأخر إسلامه إلى ما بعد فتح الطائف ، ولم يهاجر ، ولم يحضر وعروة ابن مسعود حصار الطائف ، فقد كانا بجُرش يتعلمان صنعة العرادات والمنجنيق والدبابات ، فقدما وقد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف ، فنصبا المنجنيق والعرادات والدبابات وأعدا للقتال ، ولكن عروة كان أسبق منه إلى الإسلام ، وقد استشهد إثر اعتداء أحد رجال بني مالك عليه ، مما أوغر صدر الاحلاف على ابناء عمومتهم ، وأنهى عروة هذا التصادم الذي كاد يودي بالقبيلة قائلا : قد تصدقت بدمي على صاحبه لاصلح بذاك بينكم[٢٤] .

ولم يلبث أن خرج وفد من بضعة عشر رجلا ، منهم عبد ياليل وابناه كنانة وربيعة ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة ، والحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وعثمان بن أبي العاصي ، وأوس بن عوف ، ونمير بن خرشة بن ربيعة معلنين إسلام ثقيف ، يقول المغيرة بن شعبة : فلا أعلم قوما من العرب بني أب ، ولا قبيلة كانوا أصح إسلاما ولا أبعد أن يوجد بينهم غش لله

ولكتابه منهم[25] .

وتكاد تجمع المصادر على أن غيلان توفي سنة ٢٣ هـ[26] ، وانفرد الجاحظ بخبر تابعه عليه الابي مؤداه أنه لما توفي عبد الملك ، وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه ، فاقبل غيلان بن سلمة الثقفي فسلم عليه ، ثم قال :« يا أمير المؤمنين ، أصبحت قد رزيت خير الاباء ، وسميت بخير الاسماء ، وأعطيت أفضل الاشياء ، فعظم الله لك على الرزية الصبر ، وأعطاك في ذلك نوافل الأجر ، وأعانك على حسن الولاية والشكر ، ثم قضى لعبد الملك بخير القضية ، وأنزله المنازل المرضية ، وأعانك من بعده على الرعية . فقال له الوليد : من أنت ؟ فانتسب له ، وقال : في كم أنت ؟ قال : في مائة ، فالحقه بأهل الشرف»[27] . والخبر فيه خلط واضطراب ، فلم يعش غيلان إلى سنة ٨٦ هـ ، وإسناد مثل هذا الخبر إلى غيلان يحتاج إلى وقفة ، وخاصة وأن الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، لا يخفى عليه ما في الخبر من البيان وحسن الحديث وموافقته لمقتضى الحال ، ولكننا نفهم منه شيئا آخر علّه السبب الذي جعل الجاحظ يخلط فيه ، وهو أن شهرة غيلان بن سلمة في البلاغة وحسن الحديث قد غطت على تاريخ وفاته ، وقد يكون الخبر منسوبا إلى ثقفي آخر من نسل غيلان الذين عاصروا هذه الفترة ، ويبقى الأمر منسوبا إلى غيلان بن سلمة لما شهر عنه في حياته من القدرة على الشعر والنثر ، ومع ذلك فلم يورد له الجاحظ شاهدا واحدا من الشعر ، ولم يشر المحقق رحمه الله إلى ضعف الخبر وإسناده إلى من لم يقله .

ـ ٢ ـ

لا أغالي اذا قلت إن لغيلان شعرا ليس بالقليل ، وإنْ نصّ أبو الفرج أنه شاعر مُقل ، ليس بمعروف في الفحول[28] ، ولكن ابن سلام سبقه فقال : ولغيلان بن سلمة شعر[29] ، هكذا دون تحديد ذكي لمقدار ما وصل إلى القرن الثاني الهجري من شعره ، ولكن الاخبار الواردة تؤكد أن شعره ليس قليلا ، منها أن أبا سعيد السكري(ت : ٢٧٥ هـ) أول من جمع شعره ، يقول أبو الفرج(نسخت من كتاب أبي سعيد السكري) مع أنه ليس من المشهور أن أبا سعيد السكري(الحسن بن الحسين) قد جمع شعر ثقيف ، أو شعر غيلان بن سلمة مع كثرة ما جمعه من أشعار القبائل وشعراء العرب[30] .

بمعنى أن شعر غيلان ظل بمنأى عن حفظ الرواة حتى نهاية القرن الثالث ، وهذا أمر يدعو إلى ضياع شعره ، أو تفرقه بين الشعراء ، كما ضاع معظم شعر ثقيف لإهمال الرواة له ، ومما يدل على صدق ما أدعيه أنّ الابيات رقم ١٤ دخلت في شعر المسيب بن علس ، وروتها جمهرة أشعار العرب المنسوبة إلى أبي زيد القرشي ضمن المنتقيات ، ومن يدري فلعل القصيدة كلها لغيلان بن سلمة ثم خلطها الرواة بشعر المسيب بن علس .

ومما يدل على كثرة شعره ما تدلك عليه أخبار القطعة ١٧ ، تقول : إن كيسان بن أبي سليمان ظل ينشد أبا عبد الله ابن عمرو الثقفي شعر غيلان لا يتعداه إلى شاعر آخر منذ صدروا عن الأبُلّة مروراً بالطُف وهو يريد الطابق ، والمعروف أنّ الابلة بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج ، والطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، وبينها وبين الطابق في الجانب الغربي من بغداد ليس بالمسافة القريبة[31] ، بحيث تروي فيه أبيات قلائل .

ومما يدل على غزارة شعره كذلك أنه حين استشهد ولدُ نافع ، وجزع عليه جزعا شديدا ، رثاه بابيات كثيرة لم يصل إلينا منها غير أربعة أبيات أو ثلاثة في مصادر أخرى ، وهذا الفخر الذي افتخرت به ثقيف(ق ١٥) من أنها ملجأ الخائف بما يطول ـ كما يقول ياقوت الحموي ـ ذكره ، ويسئم قارئه ، أليس لغيلان نصيب كبير فيه ؟ وهو رئيس قومه وشريفهم وسيدهم وصاحب أمرهم في السلم والحرب . وتعجب مرة أخرى لهذه المواقع التي حضرها ، والحروب التي عاصرها واشترك فيها بينه وبين جيرانه ، وبين ثقيف وأبناء عمومتهم ، وبينهم وبين خثعم اليمن ـ وهو زعيم قومه وصاحب فخرهم فلا نكاد نظفر من ذلك بابيات .

كل هذه الظنون التي هي أقرب إلى الواقع تحتم علينا القول بان غيلان بن سلمة غزير الشعر ، ولم يصل إلينا من شعره إلا أقله ، ولو جاءنا لكان غزيرا ، كما أننا ـ وهذا أمر يدعو للعجب ـ لانكاد نظفر بشعره أو شعر ثقيف في كتب اللغة والنحو إلا لمن كان أكثر شهرة كأمية بن أبي الصلت ويزيد بن الحكم ، ولا تكاد تقرأ لغيلان إلا إشارة إلى لفظة(التُلام) بفتح اللام ، نص اللسان على قول ابن بري : وقد جاء التلام بفتح التاء في شعر غيلان بن سلمة الثقفي .

أما المعاني التي جاء بها غيلان فيما تبقى من شعره الجاهلي ، ولا أثر لشعر إسلامي ، فهي لا تختلف في قيمها عما جاء به شعراء الجاهلية من معان ، فقد أشار إلى أنه مازال يستخدم العنف حتى يتفرق الناس بعد اجتماع(ق ٨) ، وأن نخوته لاتنكسر ، وطبيعته لاتلين إلى عدو(ق ٦) ، وأما الفخر فتجده في(ق ٥) يفتخر بان قبيلته تحل الذروة من قبائل قيس ، وأن لهم شرف المعالي ، وهم كهف لكل من يلجأ إليهم ، يتساوى في ذلك كهلهم وخطيبهم ، وتعرف قبائل قيس وبطونها منهم هذا الشرف وهذه النخوة . ونجد له بيتين يفخر فيهما بانتمائه إلى قبيلة« إياد » ومجاورته نسبا ووطنا لقيس ، وهو موضوع حدث فيه خلط واضطراب كبير بين النسابين(ق ١٩) ، كذلك يمضي في فخره بنفسه حين يتناول موضوع الايام بينه وبين أعدائه من خثعم ، وعامر بن ربيعة(ق ٢٢ ، ٢٠) . ومن بين معاني السؤدد التي يشير إليها أنه لا يراه إلا مع العدد(ق ٣) .

وفي شعره القليل مقطوعتان يرثي في إحداهما ابنه عامرا الذي توفي في طاعون عمواس(ق ١٨) يتناول فيها هذه المعاني القديمة ، فهو فارس الفرسان ، وذو حزم وقوة ، وله طعنة جابر بن سنان ، وشدة فارس ، وقد جعل لنفسه علامة الفرسان . والاخرى(ق ٢١) يرثي فيها ابنه نافعا الذي استشهد في دومة الجندل ، وتشير المصادر إلى أنه أكثر فيه القول ، يكاد يفصح فيها عن قرب نافع منه ، وأثر فقده على نفسه ، فقد أكثر من الدموع حتى فنيت ، وذكر فيها أن عينيه لا تعرف للنوم مذاقا ، يرعى نجوم الليل ساهرا ، وهو لا يرى غير نافع فارسا ، ولو استطاع أن يحفظه من عثرة الايام وضربات الزمان لفعل . ويتعرض لموضوع الشيب(ق ٥) الذي لم ينتقص منه شيئا ، بل إنه بدا به أكثر تعقلا وحكمة وخبرة ، ويعالج اتصال الشيب بالحسان . فلا تصابي بعد المشيب ، وعليه إذ ظهر أن يسلو من يحب(ق ١) . أما موضوع النساء منفردا فقد وجدت له مقطوعتين ، وهذا لا يتلاءم مع كثرة زيجاته ، فهو في(ق ٢) يتخير حرائر النساء ممن تنوق فعلهن ، ولم يباشرن الخدمة ، وإنما حافظ عليها أهلها وزينوها ، ومن كانت على مثل هذه الصورة يرحل إليها لا ترد له وسيلة . وفي(ق ٩) تبين أن غيلان لما أسن وكثرت أسفاره ملته زوجته وتجنت عليه ، وأنكر أخلاقها فهددها بالطلاق مع أنه تحمل عشرتها بما له من أخلاق حسنة .

وتبرز حكمته كذلك في معاملته لابناء عمومته ، وقد تعدى أحدهم على إبل له ، ويبدو أن أمر القوة والقدرة تحول عن نفسه إلى إبراز السلامة قبل العداوة بتذكيره أن ابن عم المرء مثل سلاحه . وليس ثمة ذكر للمعاني الإسلامية في شعره ، ولعل هذا الجانب لم تروه الرواة عنه . فقد عاش في الإسلام فترة من الزمان كانت جديرة بان تؤثر عليه ، وخاصة وأن هذه المعاني كثرت في شعر قبيلته وفي أبنائه كذلك .

- ٣ -

ومن بين الموضوعات التي يثيرها غيلان بن سلمة في شعره موضوع رددته المصادر المختلفة ، واختلف فيه شعراء ثقيف أنفسهم ، وهو انتماء هذه القبيلة إلى إياد بن نزار بن معد بن عدنان(ق ١٩ ، ٢٤) أو انتماؤهم إلى قيس بن عيلان بن مضر . ويقف النسابون أمام هذا الموضوع موقفا سلبيا دون فصل في أمر هذا الانتماء ، مما استدعى الطعن من قبل النسابين في نسب هذه القبيلة . كذلك تشير المصادر إلى أسطورة مجيء « قسيّ بن مُنَبِّه » أرض الطائف بما يغمز في نسب الرجل ، ويؤكد شكوك النسابين في انتماء ثقيف إلى إحدى القبيلتين .

ويعرض البلاذري عدة آراء : فقد نفوا أن تكون ثقيف من ولد إسماعيل[٣٢] ، وروى حماد الرواية : ثقيف من ولد أبي رِغال ، وأبو رغال من بقية ثمود : من العرب القديمة التي بادت وانقرضت[٣٣] . ويقولون : إنّ ثقيفا عبد أبق فثقف فعتق ، فليس له في المنصب الكريم من حق ، يقول الشاعر ينفي ثقيفا من إياد :

عارى الاشاجع من ثقيف أصله عبد ويزعم أنه من يقدم[٣٤]

ويروون عن ابن عباس : أن ثقيفا و« النَّخَع » جسر بن عمرو بن الطمثان ابن عوف مناة بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد بن نزار « ابنا خالة ، وأنهما خرجا في نجعة ومعهما غنيمة لهما ، فيها شاة ، معها جدي لها ، فعرض لهما مصدق لبعض ملوك اليمن ، فأرادهما على أخذ الشاة ذات الجدي ، فقالا له : خذ منها ما شئت ، فقال : هذه الشاة الحلوب ، قالا : إنما نعيش ويعيش جديها منها ، فخذ غيرها ، فأبى ، قال : فنظرأحدهما إلى صاحبه أن ارمه ، فرماه بسهم ، فقال أحدهما لصاحبه : إنه لا يحملني وإياك أرض ، فأمّا النَّخع فمضى إلى بيشة[٣٥] ، فاقام بها ، ونزل قسيّ موضعا قريبا من الطائف ، فرأى جارية ترعى غنما لعامر بن الظرب العدواني[٣٦] ... وتمضي الاسطورة لتبين أن قسيا مجهول النسب ، حمله جهله بنسبه أن استجار بعامر بن الظرب الذي أجاره وزوجه ابنته زينب ، ثم تزوج من بعدها باختها آمنة[٣٧] .. فلم تزل ثقيف مع عدوان حتى زاد عددهم فاخرجوا عدوان من الطائف .

ويرى البلاذري أن إيادا كثرت بتهامة ، وبنو معد حلول بها لم يتفرقوا عنها ، فبغوا على بني نزار ، وكانت منازلهم بأجياد مكة ، فرماهم الله بداء ، ففشا الموت فيهم ، فخرج من بقي منهم هرابا ، فاتت فرقة اليمن فانتسبوا إلى ذي الكلاع من حمير . وأقام قسي بن منبه بن النبيت بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمى بن إياد بن نزار وولده بالطائف ، وقسى هو ثقيف ، ثم انتسبوا إلى قيس ، فقالوا : ثقيف ابن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . فلذلك يقال : إن ثقيفا بقية إياد[٣٨] .

والرد على مثل هذه المفتريات ، وإعادة نسب هذه القبيلة صحيحا أمر ليس بالهين ، ولنتخذ من أخبار المصادر وما يمكن أن نستفيده من مرويات الابيات مادة صالحة لهذا الموضوع .

زعموا أن رجلين اختصما إلى المغيرة بن شعبة أحدهما من إياد والآخر من هوازن ، فقضى للإيادي ، وقال :

إن ثقيفا لم تكن هوازنا ولم تناسب عامرا أو مازنا

فقال المغيرة : أما نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ما شاء[٣٩] .

والخبر يفيد أن ثقيفا لا تنتسب إلى هوازن ، وهو الفرع الذي انقسمت منه قبائل سعد ومنبه ومعاوية وزيد ، كما نفي نسبهم إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ونفي كذلك نسبهم إلى مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة . ورد المغيرة - إن صح - يعيد إلى مسامع الإيادي أنهم لا ينتسبون إلى إياد ، وانماينتسبون إلى بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

فإذا تتبعنا ما وصل الينا من شعر ثقيف نجد ربيعة بن أمية بن أبي

الصلت ، يقول ، وكأنه يرد به على أبيه انتسابه إلى إياد :

وإنّـا معشر من جِذْمِ قيس   فنسبتُنـا ونسبتُهم سَواءُ[10]

وجِذْم الشجرة أصلها ، فهذا ربيعة يؤكد اتصال شجرتهم ونسبهم بنسب قيس ، وأغلب الظن أنه لا يقصد غير قيس عيلان ، ويقول أمية إبن أبي الصلت :

قـومي إيـاد لـو انهم أممٌ   او لـو أقاموا فتجزز النَّعَمْ
قوم لهم ساحةُ العراق إذا   ساروا جميعا والقِط والقَلَمْ[11]

ولعلنا نستطيع أن نستنتج أنّ إعجاب أمية بالكتابة في إياد كما جاء في البيت الثاني هو الذي دفعه إلى هذا الفخر . والبيت الاول يدل على تمنيه أن يكونوا بالقرب منه ، وخاصة وأن إيادا لهم ـ ساحة العراق ـ أي ريف العراق ، فلا نستبعد أن يكون نازع الفخر هو الذي دفع به إلى الانتساب إلى إياد . ولا ننكر كذلك أن يكون من بين شعراء ثقيف من احب أن ينتمي إلى إياد لغرض من الاغراض . نقرأ لربيعة بن أمية بن ابي الصلت قوله :

وإنْ يكُ حيا من إياد فإننا   وقيسا سواء ما بقينا وما بقوا
ونحن خيار الناس طرا بطانة   لقيس وهم خير لنا إن هم بقوا[12]

وأمية نفسه يتنصل من نسبته إلى إياد ، يقول :

فـإن أباكم ضُل بنُ ضُلٍ   وإنا من إيادكم براءُ[13]

مما يدلك على أن محاولة الانتساب إلى إياد كانت بدافع آخر غير دافع النسب . ونقترب من قول البكري« ثم انتسبوا بعد ، فقالوا : قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان . وثبتت طائفة منهم على نسبهم إلى إياد »[14] . وهذا مالك بن عوف النصري أحد زعماء هوازن يعادي ثقيفا ، وترميه عداوته إلى اتهامها بالانتساب إلى« أحاظة » وهي قبيلة من ذي الكلاع من حمير[15] ، او إلى إياد ، يقول :

ألا أبلغ ثقيفا حيث كانت   بأنّي ما حييتُ لكم مُعادي
فإنّي لستُ منك ولستِ مِني   فحُلي في أحاظة أو إياد[16]

وأغلب الظن أنه لا يقصد تنصلها من أصلها ، وإنما يقصد إبعادها عنه ، وهو رئيس هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان[17] ، وهذا أمر واضح في الشعر الجاهلي حين يريدون اتهام فرد فيبعدونه عن أصله ونسبه ، وليس ذلك من قبيل الطعن في النسب إنما من قبيل الهجاء والتهديد .

وعلى هذه الصورة نستطيع أن نفهم بيتي غيلان بن سلمة ، فقد انتمى فيهما إلى إياد والدا وأصلا غير مختلط ، وإلى قيس عيلان صهرا وجيرانا ، وإذا بحثنا في كتب الانساب كما سبق أن حددت وجدت أن جميع مصادر النسب تنسبه إلى قيس عيلان ، فلعل أمرا حدا به إلى هذه النسبة وإلى الطعن في قيس عيلان مما لا يخرجه عن أصل نسبه إلى قيس .

- ٤ -

يستوقفنا في شعر غيلان أن قليلا من الالفاظ الغريبة تسرب إلى ما تبقى من شعره ، وهذه ظاهرة يتوقف عندها الباحث ، وخاصة إذا عرفنا أن غيلان صاحب أسفار مما رقق من لفظه ، كما رقق من صوره   تقرأ له(اشفنتر) ق ٨ ، و(انثُلام) ق ١٦ ، و(البانان) ق ١٨ ، و(تحسحس) ق ٢٠ . أضف إلى ذلك أن هذه الحياة الجاهلية بما فيها من بساطة ووضوح كانت مورد الشاعر ، فالوضوح والسهولة وعدم الإغراب هي الظاهرة الواضحة في شعر غيلان خاصة .

وإذا نظرت إلى صوره وجدتها لا تخرج عما قلته لك ، فتشبيه ليلاه(ق ١) وقد أحاطت بها عيون الرقباء بطلوع الشمس يوم غيم ، أو حين غروبها ، صورة بسيطة طبيعية لا تخرج عن بيئته التي يعيشها . واستحب القدماء في الفرس الصوت الشديد ، فيشبه صوته بالجرس(ق ٤) ، أو يشبه الجدي نجما بالفرس وعليه سرجه إلا أنه لا يصدر عنه صهيل(ق ١٢) ، أو هذا الهودج الذي يتهادى في السراب فيرفعه ويخفضه وكأن السراب يشبه الثوب الابيض(ق ١٤) ، أو هذا الذئب الذي يشبه أصل الشجرة(ق ١٢) .

وهو يتناول في فخره أيضا هذه المعاني التي طرقها القدماء ، فيتناول ما ورثه من أجداده من أنه لا يلين لعدو ، ويأبى الخسف ، ولا يلبس ثياب غدر ، ولا يتقنع من خزي ، وأنه وقومه يحلون الذروة من قبائل جِذْم قيس ، وأنه لا يزال يبتني شرف المعالي ، وينعش عثرة من يقصده ، وهذه المعاني ليست وقفا على غيلان ، وإنما هي شركة بينه وبين شعراء وقته .

ويختار غيلان من الالفاظ ما يساعده على الإيحاء ، ويبعث في الابيات جرسا موسيقيا يتجاوب مع ما فيها من أفكار أو خلجات نفسية . فاستخدام الفعل(لذَّ) و(طاب) في قوله(لذ في سلمى وطاب النسيب) اختيار موفق لما يحدثه أثر اللذة واتصالها بالقبح أو الجمال . وفي صورة هذه المرأة الحرة التي أرادها زوجا ، وقد نتوق فعلها ، واستخدام الفعل(نتوق) مع(زيّنها) (فتزيّنت) يؤكد لك أمرين : الاول أنه أراد من هذا التضعيف وسيلة إلى تاكيد الزينة ، والثاني : إقبالها على هذا الأمر عن رغبة لا عن كراهة ، قصد الى ذلك قصدا في سبيل اعتنائه بالألفاظ التي يستخدمها .

واعتناؤه بالألفاظ دفعه إلى اختيار الاوزان الملائمة على بحر الكامل والوافر والمنسرح ، وأهم ما نرى في اختيار الالفاظ اختيار القافية التي تنسبك مع الغرض الذي قيلت فيه ، وخاصة في

الرثاء حيث تحصل على قدر من الصور : فعيناه تجود بكرم بدمعها ، ولو استطاع لجمل عامرا بن خلوعه ، أو جمل نافعا بين عكد لسانه ، وهو يرعى فيه نجوم الليل وهنا ، وكيف يبصرها وقد فاضت عيناه بدمع الاب الملتاع لفقد أولاده .

هوامش المقدمة

١ ـ مراجع الاغاني ١٣ / ٢٠٠ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٥ ، الاستيعاب ٩ / ١٠٧ رقم ٢٠٦٦ ، الإصابة ٨ / ٦٣ رقم ٦٩١٨ ، جمهرة ابن حزم : ٢٦٨ .
٢ ـ تهذيب الاسماء ٢ / ٤٩ .
٣ ـ الاغاني ١٣ / ٢٠٠ ، طبقات ابن سلام : ٢١٧ .
٤ ـ طبقات ابن سعد ١ / ٣١٢ ، الكامل ١ / ٦٨٤ .
٥ ـ سمط اللالي ١ / ٤٨٧ ، الإصابة ٨ / ٦٧ .
٦ ـ صبح الاعشى ١ / ٣٨٥ .
٧ ـ جمهرة أنساب العرب : ٢٧٣ وما بعدها ، جمهرة ابن الكلبي : ٣١٥ .
٨ ـ الاغاني ١٣ / ٢٠٤ .
٩ ـ معجم قبائل العرب ٢ / ٧٠٧ .
١٠ ـ الاغاني ١٣ / ٢٠٣ .
١١ ـ الاغاني ١٣ / ٢٠١ .
١٢ ـ الإصابة ٨ / ٦٣ .
١٣ ـ الاغاني ١٣ / ٢٠٧ .
١٤ ـ الاغاني ١٣ / ٢٠٥ ، المحبر : ٣٥٧ .
١٥ ـ الزخرف : ٣١ .
١٦ ـ الاغاني ١٣ / ٢٠٥ ، الرمكاء : ما كان في لونها حمرة مختلطة بسواد ، الرَّطلة : بكسر الراء وفتحها : المرأة الحمقاء الضعيفة .
١٧ ـ طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٥ ، وفي الكامل لابن الاثير ٣ / ٧٨ خبر يقول : إنه أسلم وتحته عشر نسوة : ويبدو أن هذا التعدد سمة من سمات ثقيف ، فقد عدد ابن حبيب أسماء من جاء الإسلام وعند الرجل منهم عشر نسوة ، وهم من ثقيف كلهم : مسعود بن معتب ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وعروة بن مسعود ، وسفيان بن عبد الله ، وغيلان بن سلمة ، وأبو عقيل مسعود بن عامر بن ثقيف : المحبر : ٣٥٧ ، جمهرة الكلبي : ٣٨٨ .
١٨ ـ طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٥ .
١٩ ـ الاستيعاب ١٠ / ٢٨٧ ، خلاف ما يقوله اليعقوبي من أن نافعا قتله علي بن أبي طالب حين غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٤ .
٢٠ ـ طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٥ ، الإصابة ١٠ / ١٣٧ .
٢١ ـ الإصابة ١ / ٣١٠ رقم ٨٥٥ .
٢٢ ـ الطبقات ٥ / ٥٠٦ .
٢٣ ـ الاستيعاب ١٢ / ١٠٥ رقم ١٥٧ .
٢٤ ـ الطبقات ١ / ٣١٢ ، تاريخ الطبري ٣ / ٨١ .
٢٥ ـ الطبقات ١ / ٣١٢ .
٢٦ ـ الكامل في التاريخ ٣ / ٧٨ ، الاستيعاب ٩ / ١٠٧ ، تهذيب الاسماء ٢ / ٤٩ .
٢٧ ـ البيان والتبيين ٢ / ١٩١ نثر الدر ٣ / ٥٩ .
٢٨ ـ الاغاني ١٣ / ٢٠٠ .
٢٩ ـ طبقات الشعراء : ٢١٧ .
٣٠ ـ إنباه الرواة ١ / ٢٩١ ، وانظر فهرسته ، ابن النديم : ١٥٧ .
٣١ ـ معجم البلدان ١ / ٧٧ ، ٤ / ٤ ، ٣٦ .
٣٢ ـ انساب الاشراف : ٤ ، ٢٧ ، ٧٥ .
٣٣ ـ انساب الاشراف : ٢٦ ، شرح نهج البلاغة ٣ / ١٢٨ .
٣٤ ـ انساب الاشراف : ٢٨ ، ٧٥ .
٣٥ ـ جيشة : اسم قرية في واد كثير الاهل من بلاد اليمن ، معجم البلدان ١ / ٥٢٩ .
٣٦ ـ انساب الاشراف : ٢٧ ، معجم ما استعجم ١ / ٦٤ وما بعدها .
٣٧ ـ معجم ما استعجم ١ / ٦٥ .
٣٨ ـ انساب الاشراف : ٢٥ .
٣٩ ـ شرح نهج البلاغة ٣ / ١٢٨ .
٤٠ ـ الاصابة ٣ / ٢٥٩ رقم ١٨٦٧ .
٤١ ـ ديوان امية بن ابي الصلت : ٤٦٥ .
٤٢ ـ الاغاني ٣ / ١٧٩ .
٤٣ ـ ديوان امية : ٣٣٦ .
٤٤ ـ معجم ما استعجم ١ / ٧٩ .
٤٥ ـ معجم ما استعجم ١ / ١١٦ .
٤٦ ـ معجم ما استعجم ١ / ٧٩ .
٤٧ ـ انظر سببا من اسباب الخلاف في الكامل لابن الاثير ١ / ٦٨٥

النص

ما تبقى من شعره

انظر في ترجمته وأخباره :
الاغاني ١٣ / ١٩٩ وما بعدها ، الإفصاح : ٣١١ ، الاستيعاب ١٠ / ٨٧ رقم ٢٥٩٤ ، الإصابة ٨ / ٦٨ رقم ٦٩١٣ ، ١٠ / ٣٣ رقم ٨٦٥٧ ، حماسة البحتري : ٢٤ ، لحن العامة : ١٩٤ ، اللسان : سواد ، طهر ، ضفف ، لقح ، معجم البلدان ٤ / ١٢ ، معجم ماستعجم ١ / ٧٩ ، تاريخ الطبري ٦ / ١٠٧ ، ٣ / ٨١ ، عيون الاخبار ٤ / ٥٢ ، فرحة الاديب : ١٨٨ ، بهجة المجالس ١ / ٦١١ ، الموازنة : ٩٩ ، نوادر المخطوطات ٢ / ٢٢٤ ، الفائق ٢ / ٣٤٢ ، صبح الاعشى ١ / ٣٨٥ ، الحيوان ٦ / ١٥٦ ، شرح نهج البلاغة ٣ / ١٢٨ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٥ ، طبقات فحول الشعراء : ٢١٧ ، البيان والتبيين ٢ / ١٩١ ، تهذيب الاسماء واللغات ٢ / ٤٩ ، المحبر : ٣٥٧ ، الكامل لابن الاثير ٣ / ٧٨ ، البخلاء : ٢٩٣ .

- ١ -

(المديد)

١ - اسلُ عن لَيلَى غلاك المَشيبُ وتصابي الشيخِ شيٌ عجيبُ
وإذا كان النسيبُ بسلمى لـذَّ في سلمى وطاب النسيبُ
إنما شبهتُها إذْ تراءتْ وعليها منْ عُيُونٍ رَقيبُ
بطلوع الشمسِ في يومِ دَجْنٍ بُكرةً أو حانَ مِنْها غروبُ
إنني - فاعلمْ - وإنْ عزَّ أهلي بالسويداء الغداةَ غريبُ

التخريج :
الاغاني ١٣ / ١٩٩ ، قال ابو الفرج(وجدت ذلك في جامع شعره بخط أبي سعيد السكري) ت ; ٢٧٥ هـ والسويداء : موضع بالحجاز بعد المدينة على طريق الشام .

- ٢ -

(الطويل)

وحرةِ قومٍ قد تَنوق فِعلُها وزيَّنَها أقوامُها فتزيَّنتْ
رحلتُ إليها لا تُرد وسيلتي وحمَّلتُها من قومها فتحملتْ

التخريج :
الاغاني ١٣ / ٢٠٥ (ولما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة ، وكان قد احصن عشرا من نساء العرب في الجاهلية ، قال : يابنيّ ، قد احسنت خدمة أموالكم ، وأمجدت أمهاتكم ، فلن تزالوا بخير ماغذوتم من كريم وغذا منكم ، فعليكم ببيوتات العرب ، فإنها معارج الكرم ، وعليكم بكل رمكاء مكينة ركينة ، أو بيضاء رزينة ، في خدر بيت يتبع أوجد يرتجى ، وإياكم والقصيرة الرطلة ، فإن أبغض الرجال إلى أن يقاتل عن إبلي ، أو يناضل عن حسبي القصير الرطل . ثم أنشأ يقول ..) والوصية في البيان والتبيين منسوبة إلى عثمان بن أبي العاصي ٢ / ٦٧ . والرمكاء : ما كان في لونها حمرة مختلطة بسواد ، والرطلة : بكسر الراء وفتحها : المرأة الحمقاء الضعيفة .

- ٣ -

(الرجز)

لابُدَّ للسؤدد من غديد

التخريج :
شطر بيت منسوب إلى غيلان الثقفي في بهجة المجالس ١ / ٦١١ .

- ٤ -

(المنسرح)

نهدٍ كُتيسٍ أقبُّ مُعتدلٍ كأنما في صَهيله جرسُ

التخريج :
الموازنة للآمدي : ٩٩

- ٥ -

(الكامل)

لم ينتقصْ منيَ قُلامةٌ الآن حين بدا ألبّ وأكيسُ
والشيبُ إن يحللْ فإنَّ وراءه عُمراً يكونُ خلالَه مُتنفسُ

التخريج :
البيتان في الإصابة ٨ / ٦٧ رقم ٦٩١٨(وذكر ابن حجر أنه نقلهما عن معجم الشعراء للمرزباني) ولم أجد ترجمة لغيلان عند المرزباني ، فلعلهما سقطا من الكتاب . والبيتان ٢ ، ١ في عيون الاخبار ٤ / ٥٢(٢ : الشيب إن يظهر)(١ : ولنحن حين بدا) .

- ٦ - (الطويل)

ألم تــر أني لا تلين غــريكتي ... إلى منْ يُعــابيني ولا أتجشــعُ
ولا أمتــري بالخسف حتَّى يُدرني ... ولكني آبى الخسف مادمتُ أسمعُ
فـإني بحمد اللـه لا ثوبَ غـادرٍ ... لبستُ ولا من خــزيــةٍ أتقنــعُ

التخريج :
البيتان ١ ، ٢ في حماسة البحتري : ٢٤ ، والثالث في لحن العامة : ١٩٤ غير منسوب ، نسبه محقق الكتاب إلى غيلان بن سلمة من اللسان ، مادة : ظهر ٦ / ١٧٨(إني بحمد الله) ،والاول في الإصابة ٨ / ٦٨(لاثوب فاجر ... من غدرة) .

- ٧ - (الطويل)

ألا منْ يرى رأي امرئ ذي قرابةٍ ... أبى صدره بالضغنِ إلّا تطلعا
فسلمُك أرجو لا العداوة إنما ... أبوك أبي وإنما صفقنا مَعا
وإنَّ ابن عم المرء مثلُ سلاحه ... يكيه إذا لاقى الكمي المُقنعا
فإن يكثر المولى فانك حاسد ... وان يفتقرْ لا يُلف عندك مطمعا
فهذا وعيدٌ وادخار فإن تَعُدْ ... وجدك أعلم ما تسلفت أجمعا

التخريج :
الاغاني ١٣ / ٢٠٢(نسخت من كتاب أبي سعيد السكري ، قال : كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة ، وكانت له إبل يرعاها راعيه في الإبل مع إبل غيلان ، فتخطى بعضها إلى أرض لابي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب ، فضرب أبو عقيل الراعي واستخف به ، فشكا الباهلي ذلك إلى غيلان ، فقال لابي عقيل .. الصفق : الضرب ، وهو ضرب بالايدي عند المبايعة . تسلف في المادة والشيء : اقترض ، والمعنى : إن عدت فسأقف على ما وقع منك .

- ٨ - (الرجز)

مازلتُ بالعُنف وفوق العُنفِ ... حتى اشفتزَ الناس بعد الضَّفِّ

التخريج :
اللسان ، مادة ضفف ١١ / ١١٠(وقال غيلان) ولعله غيلان بن سلمة ، والبيت في الفائق في غريب الحديث ٢ / ٣٤٢ دون عزو . الضف : الحلب بالكف كلها ، والضفف : ازدحام الناس على الماء ، والمقصود تفرق الناس بعد اجتماع .

- ٩ - (الكامل)

ياربَّ مثلك في النساء غريرةٍ ... بيضاء قد صَبَّحْتُها بطلاق
لم تدرِ ما تحت الضلوع وغرها ... منىْ تحملُ عشرتي وخَلاقي

التخريج :
البيتان في الاغاني ١٣ / ٢٠٣(ونسخت من كتابه ، قال : لما أسن غيلان وكثرت أسفاره ملته زوجته ، وتجنت عليه ، وأنكر أخلاقها ،

فقال فيها ...) وهما في فرحة الاديب : ١٨٨ (قال ابن السيراقي ، قال أبو محجن ... قال الغندجاني : غلط ابن السيرافي في نسب هذا البيت (الاول) إلى ابي محجن ، وانما غره ان قائل هذا البيت ثقفي ، لكنه ليس بأبي محجن ، إنما هو غيلان بن سلمة الثقفي ، وهما بيتان . والثاني ..

- ١٠ - (الكامل)

ظلتْ تحيدُ من الدّجاج وصوته ... وصريف باب بالابلة يغلقُ

التخريج :
المسالك والممالك لابن خرداذبة : ٧

- ١١ - (البسيط)

ولو يراني أبو غيلان إذْ حَسرتْ ... عني الهمومُ بأمرمالهُ طبقُ
لقال رُهبا ورُعبا يجمعان معاً ... غُنمُ الحياة وهولُ النفس والشفق
إما تُسف على مجدٍ ومكرُمة ... أو أسوة فيمن تهلك الورقُ

التخريج :
تاريخ الطبري ٦ / ١٠٧ ، الاغاني ١٣ / ٢٠٦ (١ : ولو رآني) (الامور) (إلى أمر) (٢ : رغب ورهب .. حب الحياة) (٣ : إما بقيت) وهي في كتاب لطف التدبير : ٢١٠ ، وفي الإصابة ٨ / ٦٤ رقم ٦٩١٨ (٢ : رغب ورهب لنت بينهما .. حب الحياة) (٣ : إما مشف ... يهلك)

- ١٢ - (الكامل)

ومعرس حين العشاء به ... الحبس فالانواء فالعقلُ
قد بثّه وهنا وأرقني ... ذئبُ الفلاة كأنه جذلُ
فتركتُه يعوي بقفرته ... ولكلِّ صاحبِ قفرة شكلُ
بتنوفةٍ جرداءَ يجزعُها ... لحبٌ يلوحُ كأنّه سحلُ

التخريج :
الحيوان ١ / ٣٧٨ (العواء وما قيل من الشعر فيه) يجزعها : يقطعها .

- ١٣ - (الكامل)

الجديُ كالفرس الحصان شددتهُ ... بالسرج إلا أنّه لا يصهل

التخريج :
محاضرات الادباء ٤ / ٥٤٤ ، نسبه إلى ابن سلمة . ولعله يقصد : غيلان (والبيت فيما جاء في وصف الملوين والسماء والنجوم)

- ١٤ - (الكامل)

١ - في الآل يخفضها ويرفعُها ... ربع كأن متونه السحلُ

٢ - عقلا ورقما ثم أردفه   كلل على ألوانها الخملُ
٣ - كدم الرغاف على مآزرها   وكأنهن ضوامراً إجلُ

التخريج :

الحيوان ٦ / ٣٣٥ (ولوع عتاق الطير بالحمرة) ، الاغاني ١٢ / ٤٣ ، اللسان ٩ / ٤٩٩ ، ١٣ / ٣٤٩ ، الإصابة ٨ / ٦٤ ، والابيات في جمهرة أشعار العرب : ١٩٧ ضمن قصيدة للمسيب بن علس من المنتقيات ما عدا الثالث .

العقل : ثوب أحمر يجلل به الهودج ، والرقم : ضرب من البرود ، والكلل ، جمع كلة ، بالكسر : وهي من الستور ما خيط فصار كالبيت ، والخمل : الطنفسة وهي القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول ، ضوامر : جمع ضامرة وضامر ، وقد عنى الإبل ، والإجل : بالكسر : القطيع من بقر الوحش .

- ١٥ -   (الوافر)

حللنا الحَدَّ من تلعات قيس   بحيثُ يحل ذو الخسب الجسيمِ
وقد علمت قبائلُ جذم قيس   وليس ذوو الجهالةِ كالعَليمِ
بأنّا نَصبحُ الاعداء قدما   سجالَ الموت بالكاس الوخيمِ
وأنا نَبتَني شرف المعالي   وننعشُ عثرةَ المولى الغديمِ
وأنا لم نزل لجأً وكهفا   كذاك الكهلُ منّا والفطيمُ

التخريج :

معجم البلدان ٤ / ١٢ (وقد افتخرت ثقيف بانها ملجا الخائف بما يطول ذكره ويسأم قارئه .. وسنذكر في وج من القول والشعر ما نوفق له ويحسن ذكره) وفي البيت الخامس إقواء .

- ١٦ -   (الوافر)

وسربالٍ مُضاعفةٍ دلاص   قد احرزَ شكَّها صنعُ التَّلام

التخريج :

اللسان ١٤ / ٣٣٣ (قال ابن بري : وقد جاء التلام بفتح التاء في شعر غيلان بن سلمة الثقفي) ، وانظر : رسالة التلميذ : ٢٢٤ (نوادر المخطوطات) وانشد ابن بري في حاشية الصحاح . والتلام : الصياغة .

- ١٧ -   (المنسرح)

١ - وليلة أرقتُ صحابكَ بالطُّف   وأخـــرى بجنبِ ذي حُسُمِ
٢ - فالجسرُ فالقصرانِ فالنهرُ المُريدُ   بـــين النخيـــل والاجمِ
٣ - معانق الواسطِ المقـدمِ أو   أدنـــو من الارض غير مُقتحمِ
٤ - أستعملُ العَنسَ بالقيادِ إلى   الافـــاق أرجو نــوافلَ الطُعمِ

التخريج :

الاغاني ١٣ / ٢٠٥ (حدثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي ، قال : خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره ، فانشدني شعر غيلان بن سلمة ، ما أنشدني لغيره ، حتى صدرنا عن الابلة ، ثم مر بالطف وهو يريد الطابق ، فانشدني له ..

الطابق : نهر ببغداد ، الطف : مكان بالعراق قتل به الحسين ، ذو حسم : موضع ، الجسر : الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة ، والقصران : ناحيتان كبيرتان بالري ، الواسط : المقدم وأول الشيء ، ويقصد به قادمة الرحل ، العنس : الناقة الصلبة .

-١٨- (الكامل)

قال يرثي عامرا ابنه حين توفي بعمواس :

عيني تجودُ بدمعها الهتّانِ ... سحا وتبكى فارسَ الفُرسانِ
ياعامُ منْ للخيل لمّا أحجمتْ ... عن شدة مرهوبة وطعانِ
لو أستطيعُ جعلتُ منيَّ عامرا ... بين الضلوع ، وكلُّ حيٍّ فان
ياعينِ بكى ذا الخزامة عامرا ... للخيل يومَ تواقُفٍ وطعان
وله بتثليثاتٍ شدةُ مُعلم ... منه وطعنةُ جابرِ بن سنان
فكأنه صافي الحديدة مِخْذَمٌ ... مما يُحيرُ الفرسَ للباذان

التخريج :
الاغاني ١٣ / ٢٠٢
المعلم : الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان في الحرب ، المخذم : القاطع ، يحير : يرد ويرجع ، الباذان : اسم الذين دخلوا حديثا في الإسلام .

-١٩- (البسيط)

إني امرؤٌ من إياد غيرُ مؤتشب ... وارى الزِّناد وقلْلُ قيس عيلان
هُم والدي ، وإليهم أنتمي صُعداً ... والحيُّ قيس ، هم صهري وجيراني

التخريج :
معجم ماأستعجم ١ / ٧٩

-٢٠- (البسيط)

ودعْ بذم إذا ماحان رحلتُنا ... أهلَ الحظائرِ من عوفٍ ودهمانا
القائلين وقد حلت بساحتهم ... جسرٍ تحسحس عن اولاد هصّانا
والقائلين وقد رابت وطابُهم ... أسيفُ عوفٍ ترى أم سيفُ غيلانا
اغنوا الموالِيَ عنّا لا أبا لكمُ ... إنا ستُغنى صريخ القوم من كانا
لا يمنعُ الحظرَ المظلوم قُحمته ... حتى يرى ... بالعين من كانا

التخريج :
الاغاني ١٣ / ٢٠٣(ونسخت من كتابه : أن بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعا كثيرة من أنفسهم وأحلافهم ، ثم ساروا إلى ثقيف بالطائف ، وكانت بنو نصر بن معاوية أحلافا لثقيف ، فلما بلغ ثقيفا مسير بني عامر استنجدوا بني نصر ، فخرجت ثقيف إلى بني عامر ، وعليهم يومئذ غيلان بن سلمة بن معتب ، فلقوهم وقاتلتهم ثقيف قتالا شديدا ، فانهزمت بنو عامر بن ربيعة ومن كان معهم ، وظهرت عليهم ثقيف ، فاكثروا فيهم القتل ، فقال غيلان في ذلك ، ويذكر تخلف بني نصر عنهم ..
هصان : قبيلة ، راب : خثر وفسد ، الوطاب : سقاء اللبن ، الصريح : الخالص النسب ، القحمة : الاقتحام في الشيء والمهلكة .

-٢١-

استشهد نافع بن سلمة الثقفي مع خالد بن الوليد بدومة الجندل ، فجزع عليه غيلان وكثر بكاؤه ، وقال يرثيه ـ قال : وكثر بكاؤه عليه ، فعوتب في ذلك ، فقال : والله لا تسمح عيني بمائها فاضن به على نافع ، فلما تطاول العهد انقطع ذلك من قوله ، فقيل له فيه ، فقال : بلى نافع ، وبلى الجزع ، وفنى وفنيت الدموع ، واللحاق به قريب .

(الكامل)

ما بالُ عيني لا تُغمضُ ساعةً إلا اعتــرتني عبرةُ تغشــاني
أرعى نجومَ الليل عند طلُوعها وهنـــاً وهنَّ من الغــروب دوانِ
يا نافعا من للفوارس أحجمت عن فــارس يَعْلو ذُرى الاقـران
فلو استطعتُ جعلتُ مني نافعا بــين اللهاة وبــين عكبِ لســاني

التخريج

الاغاني ١٣ / ٢٠٨ ، والابيات ١ ، ٣ ، ٤ في الاستيعاب ١٠ / ٢٨٧ رقم ٢٥٩٤(٣ : عن شدة مذكورة وطعان)(٤ : لو استطيع .. وبين عقد) وفيه(قال : نافع بن غيلان بن سلمة الثقفي استشهد ... فمن قوله فيه في أبيات كثيرة يرثيه بها ، منها قوله) وهي في الإصابة ١٠ / ٣٣ رقم ٨٦٥٧ الوهن : نحو منتصف الليل أو بعده بساعة ، اللهاة : قطعة من اللحم مشرفة على الحلق ، والعكد : وسط الشئ .

-٢٢-

(الوافر)

ألا يا أخت خثعمَ خبرينا بأي بلاء قوم تفخرينا
جلبنا الخيلَ من أكناف وجٍّ وليثٍ نحوكم بالدارعينا
رأيناهن معلمة رواحا يقيتان الصباح وممتدينا
فأمست مُسيَ خامسةٍ جميعاً تُضابع في القياد وقد وجينا
وقد نظرت طوالعكم إلينا بأعينهم وحققنا الظنونا
إلى رجراجةٍ في الدار تُعشى اذا استنت عيون الناظرينا
تركن نساءكم في الدار نوحا يبكون البعولة والبنينا
جمعتم جمعكم فطلبتمونا فهل أنبئت حال الطالبينا

التخريج :

الاغاني ١٢ / ٢٠٤(ونسخت من كتابه ، قال : جمعت خثعم جموعا من اليمن ، وغزت ثقيفا بالطائف ، فخرج إليهم غيلان بن سلمة في ثقيف ، فقاتلهم قتالا شديدا ، فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر عدة منهم ، وقال في ذلك ... والسابع في اللسان ، مادة : أبي ١٨ / ٧(يدعن ، يندمن .. والابينا) والابيات ٧ ، ٥ ، ٦ في شرح شواهد الإيضاح : ٥١١(٧ : والابينا)(٥ : وحققن الظنونا)(٦ : إذا استلمت) وج : اسم واد بالطائف ، يقيتان ، يقال : أقات الشئ : قدر عليه ، والصباح : الغارة تفجأ صباحا ، ليث : واد بأسفل السراة ، مسي خامسة : في مساء الليلة الخامسة ، تضابع : تمد أضباعها في الجري ، المعلمة : المميزة ، القياد : المقود ، ما تقاد به الدابة ، وجين : حفين ووجعن ، الرجراجة : الكتيبة العظيمة ، تعشى : من العشاء وهو سوء البصر ، واستنت : أسرعت ، النوح : جمع نائحة .

-٢٣-

(المتقارب)

فلما تبين أصواتنا بكينَ وفديننا بالابينا

التخريج :

الإيضاح : ٣١١ ، الشارح(يصف نساء سبين فوفد عليهن من قومهن من يفاديهن ، فبكين إليهم وفدينهم بآبائهن سرورا بهم - السيرافي في شرحه ، وقال سيبويه عقب روايته : « أنشدناه من نثق به وزعم أنه جاهلي » الكتاب ٢ / ١٠١ . واستشهد به ابن منظور ولم ينسبه ايضا ، وعنده(تعرفن) بدل(تبين) لسان العرب ١٨ / ٦ ، لكنه أورد شواهد أخرى منسوبة منها شاهد لناهض الكلابي وآخر لغيلان إبن سلمة الثقفي .

-٢٤-

(الرجز)

وذكر قسوة إبيه على أبي رغال :

نحن قسئ وقسا أبونا

التخريج :

الحيوان ٦ / ١٥٦ ، ويشير أنساب الاشراف ص٣٦٧ إلى هذا الصدر ومعه غيره الى ثقيف تقول حين حاصرها النبي صلى الله عليه وسلم :

نحن قسي وقيسا أبونا والله لا نُسلم ما حيينا
وقد بنينا حائطا حصينا

المصادر :

١ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ـ الطبعة الاولى ـ المكتبة الازهرية ١٩١٧م .

٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ـ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ـ ط : المكتبة الازهرية ١٩١٧م .

٣ ـ الاغاني ـ أبو الفرج الاصفهاني ـ ط : دار الكتب المصرية .

٤ ـ الإيضاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ـ أبو نصر الحسن بن أسد الفارقي ـ تحقيق : سعيد الافغاني ـ ط : مطبعة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٠م .

٥ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ـ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ـ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط : دار الكتب المصرية ١٩٥٠م .

٦ ـ انساب الاشراف ـ أحمد بن يحيى البلاذري ـ تحقيق : د . محمد حميد الله ـ ذخائر العرب ٢٧ ـ ط : دار المعارف بمصر .

٧ ـ البخلاء ـ عمرو بن بحر الجاحظ ـ تحقيق : د . طه الحاجري ـ ذخائر العرب ٢٣ ـ ط : دار المعارف بمصر .

٨ ـ بهجة المجالس وأنس المجالس ـ يوسف بن عبد البر النمري ـ تحقيق : محمد مرسي الخولي ـ ط : الدار المصرية للتاليف والترجمة .

٩ ـ البيان والتبين ـ عمرو بن بحر الجاحظ ـ تحقيق : عبد السلام هارون ـ المكتبة التجارية ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٨م .

١٠ ـ تاريخ الطبري ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ذخائر العرب ٣٠ ـ ط : دار المعارف بمصر .

١١ ـ تاريخ اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ـ ط : دار صادر ـ بيروت .

١٢ ـ تهذيب الاسماء واللغات ـ أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ـ ط : دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٣ ـ جمهرة أشعار العرب ـ المنسوب إلى أبي زيد محمد بن الخطاب القرشي ـ ط : دار صادر ـ بيروت ١٩٦٣م .

١٤ ـ جمهرة أنساب العرب ـ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي ـ تحقيق : عبد السلام هارون ـ ط : دار المعارف ١٩٦٢م .

١٥ ـ جمهرة النسب ـ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ـ تحقيق : د . ناجي حسن ـ ط : مكتبة النهضة العربية ـ الطبعة الاولى ١٩٨٦م .

١٦ ـ حماسة البحتري ـ أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري ـ ط : دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٦٧م .

١٧ ـ الحيوان ـ عمرو بن بحر الجاحظ ـ تحقيق : عبد السلام هارون ـ ط : البابي الحلبي ـ الطبعة الثانية .

١٨ ـ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ـ أبو عبيد البكري ـ تحقيق : عبد العزيز الميمني ـ ط : دار الحديث للطباعة والنشر ١٩٨٤م .

١٩ ـ شرح شواهد الإيضاح لابي علي الفارسي ـ عبد الله بن بري ـ تحقيق : د . عيد مصطفى درويش ـ ط : الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ١٩٨٥م .

٢٠ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ ط : دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٣م .

٢١ ـ صبح الاعشى ـ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ـ ط : دار الكتب المصرية .

٢٢ ـ طبقات فحول الشعراء ـ ابن سلام الجمحي ـ تحقيق : محمود محمد شاكر ـ ذخائر العرب ٧ ـ ط : دار المعارف المصرية .

٢٣ ـ الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد ـ ط : دار صادر ـ بيروت .

٢٤ ـ عيون الاخبار ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ ط : دار الكتب المصرية .

٢٥ ـ الفائق في غريب الحديث ـ جار الله محمود بن عمر الزمخشري ـ تحقيق : علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط : البابي الحلبي ـ الطبعة الثانية .

٢٦ ـ فرحة الاديب في الرد على ابن السيرافي في أبيات سيبويه ـ أبو محمد الاعرابي الغندجاني ـ تحقيق : د . محمد علي سلطاني ـ ط : دار النبراس ـ دمشق .

٢٧ ـ الفهرست ـ أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم ـ ط : المكتبة التجارية .

٢٨ ـ الكامل في التاريخ ـ عز الدين بن الاثير ـ ط : دار صادر ـ بيروت .

٢٩ ـ لحن العامة ـ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ـ تحقيق : د . عبد العزيز مطر ـ ط : مكتبة الأمل ـ الكويت ـ ١٩٦٨م .

٣٠ ـ لسان العرب ـ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ـ ط : مطبعة بولاق .

٣١ ـ لطف التدبير ـ محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي ـ ط : دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٣٢ ـ محاضرات الادباء ومحاورات البلغاء ـ أبو القاسم حسين الراغب الاصفهاني ـ ط : دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦١م .

٣٣ ـ المحبر ـ أبو جعفر محمد بن حبيب ـ ط : دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

٣٤ ـ المسالك والممالك ـ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة ـ ط : المثنى ببغداد .

٣٥ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ط : دار صادر ـ بيروت ١٩٧٧م .

٣٦ ـ معجم قبائل العرب ـ عمر رضا كحالة ـ ط : دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٨م .

٣٧ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ـ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ـ تحقيق : مصطفى السقا ـ ط : لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٧م .

٣٨ ـ الموازنة ـ أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي ـ ط : المكتبة التجارية ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٩م .

٣٩ ـ نوادر المخطوطات ـ تحقيق : عبد السلام هارون ـ ط : مصطفى البابي الحلبي ـ الطبعة الثانية ١٩٧٢م .

••

رسالة في معرفة احكام المد والقصر

تاليف : زين الدين عبد الغني بن يوسف الهيثمي المتوفى سنة ٨٨٦ هجرية

تحقيق : د. ضرغام محمود عبود
كلية التربية - ابن رشد جامعة بغداد

المؤلف :

هو عبد الغني بن يوسف بن احمد بن مرتضى الهيثمي القاهري الشافعي المقرىء ، زين الدين .(١)

مولده ونشاته :

ولد بالقاهرة في سنة ثلاث وثمانمائة . وقيل : في سنة اثنتين وثمانمائة .

نشا بالقاهرة وتعلم فيها ، فحفظ القرآن الكريم ، وتلا به على الشيخ المقرىء المشهور شمس الدين ابن الزُّراتيتي (٢) للقراءات السبع ، ولم يكمل عليه قراءة نافع . ثم سَرَدَ عليه « الشاطبية » و « الرائية » من حفظه ، وهو لما يزل صغيراً . ثم تابع مسيرته العلمية على هذا الشيخ الفاضل فسمع القراءات الاربع عشرة ، وسمع عليه ايضاً كتباً مهمة في القراءات منها « التيسير » للداني ، و « العنوان » لابي طاهر الاندلسي ، و « الإرشاد » لابي العزّ القلانسيّ ، و « البستان » لابي بكر بن أيْدُغدي ، و « المصطلح » لابن القاصح ، وغيرها من المصنَّفات .

ويُعَدُّ الشيخ شمس الدين أبن الزُّراتيتي ، اول شيخ لزين الدين الهيثمي في القراءات ، قرأ عليه ، وتخرّج به ، ولازمه مدة طويلة .

ثم رغب في ان يتقن القراءات العشر ، فسارع الى حلقة الامام الكبير والمقرىء المشهور شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزرى .(٣) وانتظم بين طلابه ، وسمع عليه بعض « المسلسلات » وغيرها .

ثم .. تلا بالسّبع على أئمة القراءات المشهورين من أمثال برهان الدين الكركيّ .(٤) وأبن أسم البوصيريّ الحريريّ ، وزين الدّين أبن عياش .(٥)

والى جانب تضلّعه من القراءات اشتغل بالفقه الشافعي واللغة العربية ، واختلف الى عدد من شيوخ هذين العلمين ، فاخذ عن زين الدين ابن الطّحّان .(٦) وعلاء الدين ابن بَرْدَس .(٧) وأبن ناظر الصّاحبة .(٨)

ولما تمكن زين الدّين الهيثمي من القراءات ضبطاً واتقاناً عزم السّفر الى الدّيار المقدّسة لاداء فريضة الحجّ ، فاقرأ بالحرمين الشّريفين القرآن بالروايات . ثم عاد إلى القاهرة ، وتصدَّر للاقراء فيها ، وأخذ عنه جماعة من الطلبة ، حتى قال فيه الامام شمس الدين السخاوي : « وكنت ممن قرأ عليه في الابتداء بعض الروايات ، واشتهر بهذا الفن » .

وكان مع اتقانه للقراءات يحفظ نصوص « الشاطبية » و « التنبيه »(٩) في الفقه ، و « ملحة الاعراب »(١٠) في العربية . وهذا يدلّ على فرط ذكائه ، وقوة حافظته .

تلاميذه :

اصبح الشيخ زين الدين الهيثمي معروفاً عند طلبة العلم وبخاصة القُرّاء ، وذلك لتصدُّره للإقراء بالقاهرة مدة طويلة ،

لطول عمره ولتفرّده ببعض شيوخه ، فتكاثر الطلبة عليه ، يتلون عليه للسبع والعشر ، وبالقراءات الاخرى ، التي أخذها عن شيوخه ، وأطال الجلوس في حلقة اقرائه طلاب أصبحوا فيما بعد أئمة وأعلاماً مشهورين ، فكانوا بحق صفوة أعلام القرن التاسع الهجري وشيوخ القرن العاشر الهجري ما بين مقرىء ، ومحدِّث ، وفقيه ، ومؤرخ ....

وقد استطعت الوقوف على عدد من اسماء تلاميذه رتبتهم على نسق حروف المعجم وهم :

١ ـ برهان الدين إبراهيم بن علي بن بركة بن صخر الزهري القاهري ، المقرىء ، الخطيب ، الشاهد ، توفي سنة ٨٩٢ هـ .[١١]

٢ ـ شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني ثم المصري ، مؤلف « لطائف الاشارات لفنون القراءات » وغيره / توفي سنة ٩٢٣ هـ .[١٢]

٣ ـ بدر الدين حسن بن علي بن محمد بن عبد الله القاهري الشافعي إمام المؤيدية ، المقرىء ، النسابة ، توفي سنة ٨٧٩ هـ.[١٣]

٤ ـ عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن علي القاهري ابن الخطيب ، المقرىء اللغوي ، الفرائضي ، كان حياً سنة ٨٩٨ هـ .[١٤]

٥ ـ عبد الرحمن بن عبد الغني بن محمد بن عبد الرحمن القاهري الحريري المعروف بابن العقّاد ، المقرىء ، الاصولي ، المحدِّث ، كان حياً سنة ٨٩٨ هـ .[١٥]

٦ ـ زين الدين عبد السلام بن موسى بن عبد الله البهوتي الدمياطي المقرىء ، الفقيه ، النحوي المتوفى سنة ٨٩٦ هـ .[١٦]

٧ ـ عبد الغني بن علي الفارقي المدابغي الشافعي المقرىء الشاهد المتوفى سنة ٨٩١ هـ .[١٧]

٨ ـ زين الدين عبد الغني بن محمد بن حامد بن محمود بن سليمان الانصاري القاهري المقرىء المعروف بابن القصاص ، الفقيه اللغوي .[١٨]

٩ ـ ناصر الدين محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الانصاري الخزرجي الإخيمي المقرىء النحوي الفقيه ، ناظر الأوقاف بالقاهرة ، كان حياً سنة ٨٩١ هـ .[١٩]

١٠ ـ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر السخاوي القاهري الشافعي ، مؤلف « الضوء اللامع لاهل القرن التاسع » و « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ » وغيرهما ، توفي سنة ٩٠٢ هـ .[٢٠]

١١ ـ شمس الدين محمد بن محمد بن احمد القليوبي القاهري الشافعي المقرىء المحدث ، الفقيه ، توفي سنة ٨٤٩ هـ .[٢١]

١٢ ـ محمد بن محمد بن محمد بن علي الاسيوطي الشافعي المعروف بابن الركن ، الفقيه ، الاصولي ، النحوي ، المتوفى سنة ٨٩٣ هـ .[٢٢]

مؤلّفاته :

أجمع المؤرخون على أن زين الدين الهيثمي خلّف كتاباً واحداً هو « بهجة المقرئين في احكام النون الساكنة والتنوين »[٢٣] وهو الكتاب الذي ذكره المؤلف نفسه في مقدمة « رسالته » هذه التي نحققها وقد جعلها ردفاً « لبهجة المقرئين » لكثرة دوران المد والقصر في الكلام . فمعنى هذا أن المؤلف ترك كتابين هما :

١ ـ بهجة المقرئين في أحكام النون الساكنة والتنوين .

٢ ـ رسالة في معرفة أحكام المد والقصر .

وفاته :

توفي زين الدين الهيثمي يوم السبت ثامن شعبان سنة ستٍّ وثمانين وثمانمائة ، بالقاهرة ، وشيعه جمع من الناس والطلبة ، رحمه الله تعالى .

التعريف بالمخطوط « رسالة في معرفة أحكام المدّ والقصر »

تبحث هذه الرسالة في معرفة أحكام المدّ والقصر التي يحتاج اليها ، القُرّاء وأهل الاداء والتجويد ، وهي كما وصفها المؤلف في المقدمة : « أحببت أن أكتب شيئاً في معرفة أحكام المدّ والقصر لكثرة دورانها في الكلام وعليها يتوقف اتقان تلاوة القرآن ... » .

نسختا الرسالة :

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسختين مخطوطتين :

الاولى : نسخة مكتبة خدابخش / بتنا ـ الهند ، وهي تقع ضمن مجموع في علوم القرآن والقراءات برقم (١٥٣٦ / ٣) وتتكون من عشر ورقات متوسطة الحجم ١٥ × ١٠ سم ، في كلّ صفحة منها عشرة أسطر ، وعدد كلمات السطر الواحد بين ٦ ـ ٨ كلمات وقد كتبت بالمداد الاسود بخط نسخي جيد ومقروء ، وعنوانات الرسالة كتبت بخط أسود داكن وبحرف أوسع .

لم يدوّن على هذه الرسالة تاريخ النسخ ، لانها جزء من

مجموع ولعل الناسخ كتب التاريخ على آخر رسالة منه .

وقد حصلت على رقيقة (مايكروفلم) من هذه النسخة ، أرسلها مشكوراً الاخ الفاضل أحمد محمد عبد الله مدرس اللغة العربية في (تعز ـ باليمن) فجزاه الله خير الجزاء . وقد سميتها الاصل وأشرت إلى ذلك في هوامش التحقيق .

الثانية : نسخة مكتبة رامبور بالهند أيضاً ، وهي تقع في سبع ورقات ، ضمن مجموع في التجويد والقراءات برقم (٩٨٣ / ٦) متوسطة الحجم مقاسها ١٦ × ١٢ سم ، ومسطرتها عشرة أسطر ، وتتراوح كلمات السطر الواحد بين ٧ ـ ٩ كلمات . وقد كتبت بالمداد الأسود بخط نسخي جيد ، وبعض كلماتها طامسة ولعل ذلك بسبب رداءة التصوير . اما عنوانات الرسالة فقد كتبت بخط عريض وبالحبر الاحمر ، ولم تظهر بالتصوير .

وعلى هذه النسخة تملك لأحد القراء بالهند مؤرخ في سنة ١٠١٥ هجرية . ولم يدون تاريخ النسخ عليها .

وقد حصلت على رقيقة (مايكروفلم) من هذه النسخة أرسلها مشكوراً أمين المكتبة أو أحد موظفيها الاستاذ محمدي صديقي ، فجزاه الله خير الجزاء .

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ر) في هوامش التحقيق .

عملي في التحقيق :

١ ـ نظمت النصّ المحقّق بما هو متعارف عليه من طرائق الكتابة الحديثة بوضع الاقواس والفواصل ، والنقاط ، وثبّتُّ الاختلاف بين النسختين في الهوامش .

٢ ـ وثقت موضوعات الرسالة من عدد من المصادر المختصة بالموضوع ، وبخاصة كتب القراءات والتجويد والعربية .

٣ ـ عرّفت بالاعلام الذين وردت اسماؤهم في النّصّ ، وذكرت لكل واحد منهم مصدرين أو أكثر .

٤ ـ خرّجت القراءات القرآنية ، ومذاهب بعض القراء في المدّ والقصر ، من أمهات الكتب المعنية بهذا الشان .

وختاماً أرجو أن يكون عملي خالصاً لوجه الله تعالى وهو الموفق لكل خير والحمد لله رب العالمين .

النصّ المحقّق
رسالة في معرفة
أحكام المدّ والقصر

بسم الله الرّحمن الرّحيم [١]

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصّلاة والسّلام على سَيِّدنا محمّد خاتم النَّبيِّين وعلى آلهِ وصحبه أجمعين .

أمّا بَعْدُ : فلمّا أنهيتِ الكلام على النُّون السّاكنة والتّنوين في رسالتنا الموسومة بـ « بهجة المُقرئين في معرفة النُّون السّاكنة والتّنوين » أحببت أن أكتب شيئاً في معرفة أحكام المدّ والقَصْر لكثرة نزولها في الكلام وعليها يتوقف إتقان تلاوة القرآن ، فاقول والله المستعان . [٢ أ] .[٢]

المدُّ والقَصْرُ : مَصْدَرَان . وأصلُ مَدَّ مَدَدَ بوزن فَعَلَ بفتح الثّلاثة ، فسُكّن الدّال الاوّل وأُدغم في الثاني .

والمدُّ لُغة : هو المطُّ .[٣] وقيل : الزّيادة ، تقول : مَدَدْتُ مَدّاً ، أي زِدْتُ زِيادةً . قال الله تعالى : ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ ﴾ أي يَزِدْكُم .

وفي الاصطلاح : هو شَكْلٌ دَالٌ على صُورة غيره من الحروف ، وضعته القُرّاء ليَدُلّ على حروف المدّ واللّين وليس بحركةٍ ولا حرفٍ .[٥]

وشَكْلُ المدّ : مَدٌّ ميم ودَالٍ ، كما ترى ، لانّه مُشتقٌّ من حرفين من حروف النُّطق وصُورته (مدّ)[٦] [٢ ب] وإنّما أُضجِع المدُّ ولئلا يكونَ شبيهاً بالالف ولئلا يَلْتَبِس الجَمْعُ بالتّثنية .

والمدُّ : عبارةٌ عن طول زمان صوت الحرف ، والزّيادة على ما فيه عند مُلاقاته الهَمْز أو السّكون .[٧]

والقَصْرُ : هو تَرْكُ تلك الزّيادة .

والقَصْرُ في اللُّغة : هو الحَبْس .[٨] قال الله تعالى ﴿ حُورٌ مَقْصُوراتٌ في الخِيام ﴾[٩] أي مَحْبُوسَات .

فالقَصْرُ هو الاصل ، وقُدّم لَفْظُ المدّ عليه لِفقْدِ الباب له .[١٠]

ثم اعلم وَفقَكَ الله أن المدّ أصلٌ في القراءة، وأكثرُ ما يكون الاختلافُ فيه. وحُروفُهُ ثلاثةٌ يَجْمَعُها [٣ أ] قَوْلُك: وأيِ، وإنَّما سُمِّيت بذلك لامتدادِ الصَّوتِ بها، ولِضَعْفِها، ولاتِّساعِ مَخارِجِها، واجتمعت في قوله تعالى ﴿ نُوحِيهَا ﴾[١٣].

فالمدُّ الطَّبيعيُّ: هو الأصل والمُجْتلب لموجبه وهو المَقْصُودُ في هذا الباب، فما اشْتَبَهَ عليك اسكت عنه، فأجْرُهُ على الله.

وتحفَّظ من[١٤] الإفراطِ في المدِّ الطَّبيعيِّ، فإذا قرأت ﴿ بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ﴾[١٥] فأقِم الألف بمدِّها الطَّبيعيِّ التي لا تقوم ذاتُها إلَّا به، وكذا تَفْعل في أخَواتِها إذا كنَّ [٣ ب] غيرَ مُجاوِرات لجالب الزِّيادة. واتَّقِ اللهَ في دِينِكَ، والقراءةُ من قواعِدِ دِينِكَ وأركانِ صَلاتِكَ. ولا تَفْعل شيئاً من الافراطِ في حُروف المدِّ من غيرِ مُوجِبٍ، وإنَّما يَفْعلُ ذلكَ مَنْ لَمْ يَبْنِ على الأصلِ، ولا اعتمدَ على نَقْلٍ، فإنَّهم لا يَعْرِفُونَ ذلك.

والقراءةُ إنَّما هي سُنَّةٌ متواترةٌ، وفريضةٌ مَنْقُولةٌ، فلا يَصِحُّ خِلافُها، ولا يَسَع أحداً أن يَجْهَلَها. قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم: « اقْرَأُوا القرآن كما عُلِّمْتُمْ »[٢٠].

وأصلُ حروفِ [٤ أ] المدِّ واللِّين فيهم مجازاً، فلا يَمدُّون إلَّا على قدر ما فيهم من المدِّ. فالألف لاتكونُ إلَّا حرف مَدٍّ دائماً، بخلافِ الواوِ والياء فإنَّهما تارةً يكونا حَرْفَيْ مَدٍّ، وتارةً يكونا حَرْفَيْ لِين[٢١] فإذا انْضَمَّ ما قَبْلَ الواو، وانكَسَرَ ما قَبْلَ الياء كانا حَرْفَيْ مَدٍّ نحو: ﴿ الَّذِي ﴾[٢٢] و ﴿ آمَنُوا ﴾[٢٣] ﴿ وَلَقَدْ غَنَا ﴾[٢٤]

مَسْأَلَة:

فإذا قِيلَ لأيِّ شيءٍ اختصَّت هذه الأحرف الثَّلاثة بالمدِّ ولم يكن المدُّ في غيرِها؟

فالجوابُ: إنَّ المدَّ هو مَوْجُودٌ فيها لأنها أنفاسٌ قائمةٌ في هَواءِ[٢٥] الفَم، وحركاتُها قَبْلَها في غيرها. وغيرُ هذه الحروف [٤ ب] لا تُمَدُّ لأنَّ حركاتِها عليها من رَفْعٍ ونَصْبٍ وخَفْضٍ، والله أعلم. فافهم ذلك[٢٦].

وإذا التَقَت واوان أو ياءان والأولى منهما حرف مَدٍّ فَتُمَدُّ على الواو الأُولى أو الياء الأُولى مَدّاً طبيعياً، وتأتي بالواو الثَّانية أو الياء الثَّانية في لِينٍ من الفَم من غيرِ كُلْفةٍ ولا تَعَسُّفٍ ولا تَشْديد[٢٧] وذلك نحو: ﴿ آمنوا وَعَمِلُوا ﴾[٢٨] وما أشبه ذلك.

وإذا انْفَتَحَ ما قَبْلَ الواوِ والياء كانا حَرْفَي لِينٍ، فإن التَقَيا بِمِثْلِهما [٥ أ] فالادغامُ ليسَ غيرُ، لأنهما بانفتاحِ ما قَبْلَهما[٢٩] صار حكمُهما حُكْمَ الحرفِ الصَّحيح فالْتَقَيا مِثْلان والأوَّل منهما واوٌ ساكنةٌ مفتوحٌ ما قَبْلَها فَوَجَبَ الإدغامُ[٣٠] وذلك نحو ﴿ اتَّقَوا وأَحْسَنُوا ﴾[٣١] ﴿ آوَوْا ونَصَرُوا ﴾[٣٢] وما أشبه ذلك.

ثُمَّ اعلم أنَّ المدَّ على قسمين:

أصليٌّ

وفَرْعِيٌّ[٣٣]

فالأصليُّ: هو المدُّ الطَّبيعيُّ، وهو لا يتوقف على سَبَبٍ، وهو يُمَدُّ على قَدْرِ ما فيه من [٥ ب] المدِّ. فإن قِيلَ[٣٤] ما المدُّ الطَّبيعيُّ؟ فيقال: هو الذي لا يُتَصَوَّرُ وجودُ الحروف إلَّا به.

مثال: لو قلت: ب ي و ح ط كان ذلك حركات على الحروف، فإذا أُشْبِعت الحركةُ وهي: الفَتْحَة، الكَسْرَةُ، والضَّمَّةُ تولَّدت حروف المدِّ الثَّلاثة[٣٥] والله أعلم.

والمدُّ الفرعيُّ: يتوقَّفُ على السَّببِ، وهو إمَّا هَمْزةٌ، وإمَّا سُكُونٌ، لأنَّ ذلك مُوجب الزِّيادة[٣٦]

وحروفُ المدِّ تنقسم مع الهمزة على قسمين[٣٧]

القسم الأوَّل: هو أن يتقدَّم الهَمْزُ، وتتأخَّر حروفُ [٦ أ] المدِّ واللِّين، مُحقَّقاً كان أو مُغيَّراً بالبَدَلِ أو التَّسْهيل أو غير ذلك، نحو: ﴿ آمنوا ﴾[٣٨]و ﴿ إيمَانٍ ﴾[٣٩]و ﴿ أُوتُوا ﴾[٤٠] وما أشبه ذلك، فهو مَقْصُورٌ لأبي[٤١] عَمْرو بن العلاء[٤٢] وكُلٌّ لَمْ يَزيدوا فيه على الخلْقِ شيئاً. ولوَرْش[٤٣] في ذلك ثلاثة أوْجُه: المدُّ، والتَّوسُّط، والقَصْرُ كالجماعة.

القسم الثَّاني: المدُّ للهَمْز اللَّاحق لحرف المدِّ، وهو على قسمين:

مُتَّصل

ومُنفصل

فالمُتَّصِلُ[٤٥] : هو أن يكون حرفُ المدِّ والهمز في كلمةٍ واحدةٍ ، وينقسم [٦ ب] الهمزُ فيه على قسمين : همزةٌ مُتوسِّطة ، ومُتطرِّفة نحو : ﴿ جَاءَ ﴾[٤٦] ﴿ شَاءَ اللَّهُ ﴾[٤٧] و ﴿ وَجِيءَ ﴾[٤٨] و ﴿ السُّوءَ ﴾ و ﴿ قُرُوءٍ ﴾ وما أشبه ذلك .

والمُنفصِل : هو أن يكون حرفُ المدِّ في[٤٩] آخر كلمةٍ ، والهمزُ أوَّل كلمةٍ أخرى نحو : ﴿ بِمَا أُنزِلَ ﴾[٥٠] و ﴿ فِي أُمِّهَا ﴾[٥١] و ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ وما أشبه ذلك .[٥٢]

فعن أبي عَمْرو بن العَلاء في ذلك المدُّ والقَصْرُ من[٥٣] طريق الدُّوريّ ،[٥٤] والقَصْرُ من طريق السُّوسيّ .[٥٦]

المدُّ مع السَّاكن .[٥٧]

أمَّا حروفُ المدِّ مع السَّاكن فتنقسم على قسمين :

لازِمٌ

وعَارِضٌ [٧ أ] .

القسم الأوَّل : السَّاكن اللَّازم :

اعلم أنَّ السَّاكن اللَّازم الوَاقع بَعْدَ حروف المدِّ واللِّين ينقسم[٥٩] على قسمين :

كَلِمِيٌّ

وحَرْفِيٌّ

والكَلِمِيُّ على قسمين :

مُدْغَمٌ

ومُظْهَرٌ

فالمُدْغَم[٦٠] نحو : ﴿ الصَّاخَّةُ ﴾[٦١] و ﴿ دَابَّةٍ ﴾[٦٢] و ﴿ الطَّامَّةُ ﴾[٦٣] و ﴿ الضَّالِّينَ ﴾[٦٤] و ﴿ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ﴾[٦٥] و ﴿ حَافِّينَ ﴾[٦٦] وما أشبه ذلك ، فيُمَدُّ مَدّاً مُشبِعاً بلا خلافٍ لكُلٍّ من القُرَّاء .

والأصل في ذلك : الصَّاخخة والدَّابِبة والطَّامِمة وحَادَد[٦٧] وحافِفين[٦٨] . ويُشبِهُهُ [٧ ب] مقامُ الهمزة في ﴿ الْمَلَائِكَةِ ﴾[٦٩] وشبهه ، لأنَّ المدَّ فيه يَعْدِل حرفين ، فلذلك كان المدُّ فيه بلا خلافٍ .

ويدْخُل في هذا ﴿ آلذَّكَرَيْنِ ﴾[٧٠] في وَجْه الإبدال ، وهو أحدُ الوَجْهَين لكُلِّ القُرَّاء .[٧١] والمُظْهَرُ نحو : ﴿ آلْآنَ ﴾[٧٢] المُستَفْهَمُ بها عِنْدَ مَنْ أبْدَلَ ،[٧٣] و ﴿ مَحْيَايْ ﴾[٧٤] عِنْدَ مَنْ سَكَّنَ ، وهو أحدُ وَجْهَي وَرْش ،[٧٥] وما أشبه ذلك .

أمَّا المدُّ السَّاكنُ اللَّازمُ الحَرْفِيُّ ، فيكون في الحروف المُقَطَّعَةِ في أوائل السُّور ، وهو كلُّ حرف [٨ أ] هِجَاؤُهُ على ثلاثةِ أحرف وأَوْسَطُها حرفُ[٧٧] مدٍّ[٧٨] ولينٍ وذلك في سبعة أحرف وهي : صَاد ،[٧٩] قَاف ،[٨٠] كَاف ،[٨١] لَام ،[٨٢] مِيم ،[٨٣] سِين ،[٨٤] نُون ،[٨٥] فللألف أربعة أحرف ، وللياء حرْفَان ، وللواو حرْفٌ واحدٌ فقط ، فيُمَدُّ في ذلك مَدّاً مُشبِعاً ، وذلك لالتِقَاء السَّاكِنَيْن ، لأنَّ هذه الحروف مَبنيَّةٌ على الوَقْف وهو السُّكون ، فيكون قَبْلها حركة من جِنْسِها ، وَوَجْهُ اللُّزوم هو ثُبوت السُّكون لها وَصْلاً وَوَقْفاً ، وفي (عَيْن)[٨٧] مريم[٨٨] والشُّورى[٨٩] وَجْهَان : الإشْبَاعُ ، والتَّوسُّط [٨ ب] والمدُّ أرجَحُ من التَّوسُّط . وفي نحو طا[٩٠] و ها[٩١] ويا[٩٢] وحا[٩٣] ، وما أشبه ذلك[٩٤] القَصْر ، لأنَّه وُجِدَ فيه حرفُ المدِّ وهو الألف وقَبْلَه حركة من جِنْسِه وهي الفتحة ، لكنَّه لمْ يُوجَد السَّاكن بَعْدَه الذي هو السَّبب القوي في المدِّ ، فلَمْ يَجُزْ فيه إلَّا القَصْر وهو مجاز فهو طبيعيٌّ ، وليس في الألف مَدٌّ لأنَّ وَسَطَه مُتَحَرِّك ، ولم يكن حرف مدٍّ .[٩٥] والله أعلم .

تنبيه :[٩٦]

واخْتُلِف في مَدِّ ﴿ الم اللَّهُ ﴾[٩٧] فاتحة آل عمران ، [٩ أ] و ﴿ الم أَحَسِبَ النَّاسُ ﴾[٩٨] فاتحة العنكبوت على قراءة وَرْش بالنَّقْل ، لأنَّه يَنْقُلُ الهمزَ إلى السَّاكن قَبْلَها وهي « الميم » .

فذهبَ بعضُهم إلى الإشْبَاع ، اعتماداً على[٩٩] تَقْدِير سُكُونها ، لأنَّ حركةَ « الميم » عَارِضَةٌ ، والعَارِض غيرُ مُعْتَدٍّ به .[١٠٠]

وذهب آخرون إلى ترك الإشباع في مدّها اعتماداً على حركتها،[101] وأنّ المُوجِبَ لذلك إنّما هو الْتِقاء السّاكنين، وهو مَعْدُومٌ في اللّفظ. وعلى هذا أكثرُ الأئمّة.[102]

قال أبو عَمْرو الدّانيّ: الوَجْهَان صَحِيحان جيّدان، مَعْمُولٌ بهما.[104] والله أعلم. [٩ ب]

القسم الثّاني: السّاكن العارض

اعلم أنّ السّاكن العَارِض الواقع[105] بَعْدَ حُرُوف المدّ واللّين، يكون سُكُونُه للوَقْف أو للإدغام وينقسم[106] على قسمين:

مُدْغَمْ

ومُظْهَرْ

فالمُدغم للوقف نحو: ﴿ قَالَ لَهُمْ ﴾[107] و﴿ يَقُولُ لَهُ ﴾[108] و﴿ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾[109] و﴿ فِيهِ هُدىً ﴾[110] و﴿ ٱلرَّجِيمِ مَالِكِ ﴾[111].

والمُظْهَرُ للإدغام نحو: ﴿ ٱلرَّحْمنِ ﴾[112] و﴿ مِهَادٌ ﴾[113] و﴿ نَسْتَعِينُ ﴾[114] و﴿ يُوقِنُونَ ﴾[115] و﴿ بَيْتٍ ﴾[116] و﴿ خَوْفٌ ﴾[117] [١٠ أ] وشِبْهُ ذلك، فَفِيه المدُّ والتّوسُّط، والقَصْرُ.[118]

فصل[119]

في الإنْكَارِ على مَنْ خَرَجَ عن الحدّ في إفراط المَدّ

اعلم أنّ المدّ له حَدٌّ ينتهي إليه، وما زَادَ فهو بَرَصٌ، وكما أنّ للجُعُودَةِ في الشَّعْرِ حَدٌّ تنتهي[120] إليه، ومازاد فهو قَطَطٌ، وكذا مازاد فَوْقَ المِقْدَارِ من المدّ على حَدِّه، فَلَيْسَ بقراءة، وخَرج قَارِئُها بذلك عن جمهور العرب.[121]

والمدُّ إنّما جِيءَ به للفَرْقِ بين المقصور والممدود على قَدْرِ [١٠ ب] مَذَاهِبِ القُرّاء في التَّحقيق[122] والحَدْر.[123] وله حَدٌّ تَحْكُمُهُ[124] المشافَهَةِ.

تمّت الرّسالة والحَمْدُ لله رَبِّ العالمين،[125] والصّلاة والسّلام على نَبِيِّه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش المقدمة

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٤ / ٢٥٨ - ٢٥٩، وإيضاح المكنون: ١ / ٢٠٢، وهدية العارفين: ١ / ٥٨٩ - ٥٩٠، ومعجم المؤلفين: ٥ / ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٢) هو شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الزراتيتي الحنبلي المقرىء إمام المدرسة الظاهرية البرقوقية بالقاهرة، انتهت اليه رئاسة الاقراء بمصر، توفي سنة ٨٢٥ هـ (النجوم الزاهرة: ١٥ / ١١٤، وشذرات الذهب: ٧ / ١٧١)

(٣) المتوفى سنة ٨٣٣ هـ، صاحب المصنفات الجليلة في القراءات والتجويد والتراجم منها: النشر في القراءات العشر، والتمهيد في علم التجويد، وغاية النهاية في طبقات القراء. (غاية النهاية: ٢ / ٢٤٧ - ٢٥١، والضوء اللامع: ٩ / ٢٥٦ - ٢٦٠).

(٤) برهان الدين ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل الكركي القاهري الحنفي، المتصدر بعدة اماكن للتدريس في القراءات بالقاهرة، تلا عليه خلق من القراء، وانتفع به الطلبة، توفي سنة ٩٢٢ هـ (الضوء اللامع: ١ / ٥٩ - ٦٤، وشذرات الذهب: ٨ / ١٠٢ - ١٠٥).

(٥) زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن محمد الدمشقي المكي المقرىء تصدر للاقراء بالحرمين الشريفين، توفي فجاة سنة ٨٥٣ هـ بمكة (الضوء اللامع: ٤ / ٥٩ - ٦١، والدليل الشافي: ١ / ٣٩٨).

(٦) زين الدين عبد الرحمن بن يوسف بن احمد بن سليمان الحنبلي الصالحي المتوفي سنة ٨٤٥ هـ (الضوء اللامع: ٤ / ١٦٠، وشذرات الذهب: ٧ / ٢٥٦ - ٢٥٧)

(٧) علاء الدين علي بن اسماعيل بن محمد بن بردس بن نصر بن بردس ابن رسلان البعلي الحنبلي المتوفي سنة ٨٤٦ هـ (الضوء اللامع: ٥ / ١٩٣ - ١٩٤، والدليل الشافي: ١ / ٤٥١).

(٨) شهاب الدين احمد بن عبد الرحمن بن احمد بن اسماعيل الذهبي الدمشقي المعروف بابن ناظر الصاحبة المتوفى سنة ٨٤٩ هـ (الضوء اللامع: ١ / ٣٢٤ - ٣٢٥، وشذرات الذهب: ٧ / ٢٦٣ - ٢٦٤).

(٩) هو - التنبيه في فروع الشافعية - للشيخ ابي اسحاق ابراهيم ابن علي بن يوسف الشيرازي الشافعي (ت ٤٧٦ هـ) (كشف الظنون: ١ / ٤٨٩ - ٤٩٠، ومعجم المطبوعات: ١١٧١).

(١٠) ملحة الاعراب - منظومة في النحو، لابي محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦ هـ) كشف الظنون: ٢ / ١٨١٧) وهو مطبوع مشهور.

(١١) الضوء اللامع: ١ / ٨٣.

(١٢) الضوء اللامع: ٢ / ١٠٣ - ١٠٤، وشذرات الذهب: ٨ / ١٢١ - ١٢٢.

(١٣) الضوء اللامع: ٣ / ١١٧

(١٤) الضوء اللامع : ٤ / ٨٣ - ٨٤
(١٥) الضوء اللامع : ٤ / ٨٥ - ٨٦
(١٦) الضوء اللامع : ٤ / ٢٠٨
(١٧) الضوء اللامع : ٤ / ٢٥٤
(١٨) الضوء اللامع : ٤ / ٢٥٦
(١٩) الضوء اللامع : ٧ / ٥١ - ٥٣
(٢٠) الضوء اللامع : ٨ / ١ - ٣٢
(٢١) الضوء اللامع : ٩ / ٥١ - ٥٢
(٢٢) الضوء اللامع : ١١ / ١١٨
(٢٣) الضوء اللامع : ٤ / ٢٥٨ - ٢٥٩ ، وايضاح المكنون : ١ / ٢٠٢ ، وهدية العارفين : ١ / ٥٨٩ - ٥٩٠ ، ومعجم المؤلفين : ٥ / ٢٧٧ - ٢٧٨ .

هوامش النص

(١) في ر : « والتسليم » .
(٢) من : « أما بعد ... والله المستعان » ليس في ر
(٣) كتاب العين : ٧ / ٤٠٩ ، ٨ / ١٦ ، ومجمل اللغة : ٣ / ٨١٤ ، ٤١٦ ، ولسان العرب : ٢ / ٣٩٦ ، ٧ / ٤٠٣ ، وتاج العروس : ٩ / ١٥٥ ، ٢٠ / ١٠٨ .
(٤) سورة ال عمران / الاية ١٢٥ .
(٥) المنح الفكرية : ٤٩ وفيه : « ان المد ليس حرفاً ولاحركة ، بل زيادة على كمية حرف المد » .
(٦) كذا صورته في الاصل ، وفي ر : « ص » .
(٧) التيسير : ٣٠ - ٣١ ، والموضح : ١٢٨ ، والاقناع : ١ / ٤٦٠ - ٤٧٧ ، ومرشد القارئ الورقة ١٣٣ أ ، والمفيد : ٥٧ ، ٦٥ - ٦٦ ، والتمهيد : ١٧٣ ، والنشر : ١ / ٣١٣ - ٣٦٢ ، وتحفة نجباء العصر : ٦١ ، والمنح الفكرية : ٤٥ ، وجهد المقل : ١٨٨ .
(٨) مجمل اللغة : ٣ / ٧٥٦ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٥ / ٩٦ ، واساس البلاغة : ٥٠٩ ، ولسان العرب : ٥ / ٩٨ ، وتاج العروس : ١٣ / ٤٢٢
(٩) سورة الرحمن / الاية ٧٢
(١٠) الدقائق المحكمة : ٤٦ ، والمنح الفكرية : ٤٦
(١١) وهي ثلاثة حروف : الالف ، والواو الساكنة التي قبلها ضمة ، والياء الساكنة التي قبلها كسرة . وسيذكرها المؤلف بعد قليل .
(١٢) الرعاية : ١٠١ ، والتمهيد : ١٠٢
(١٣) سورة هود / الاية ٤٩
(١٤) وهو المعروف بالمد الاصلي في عدد من المصادر .
(١٥) في ر : « منه » .
(١٦) سورة الفاتحة / الاية ١
(١٧) نهى علماء القراء والتجويد عن الافراط في حروف المد ، وقال السخاوي في نونيته المشهورة :

لا تحسب التجويد مداً مفرطاً ... أو مد ما لا مد فيه لوان

والواني : الضعيف : ينظر : المفيد : ٥٧
(١٨) البرهان : ١ / ٣٣٠ ، والنشر : ١ / ١٧ ، وغيث النفع : ٢١
(١٩) في ر : « يصبح »
(٢٠) أخرجه الاجري في : أخلاق حملة القرآن : ٩١ ، ٩٢ ، وابن كثير في : فضائل القرآن : ٤ / ٥٣ . وفي ر : « ... كما علمتكم » .
(٢١) الرعاية : ١٠١ - ١٠٢ ، ١٥٣ ، ٢٠٩ ، والتمهيد : ١٧٦ ، والمنح الفكرية : ٤٦
(٢٢) سورة البقرة / الاية ١٧ ومواضع أخر .
(٢٣) سورة البقرة / الاية ٩ ومواضع أخر .
(٢٤) سورة ال عمران / الاية ١٥٢ ، والاية ١٥٥ .
(٢٥) في ر : « هوى »
(٢٦) ينظر : الكشف : ١ / ٤٥ - ٤٦
(٢٧) قال الاهوازي في « ايضاحه » : « المثلان اذا اجتمعا وكانا واوين قبل الاول منهما ضمة ، او ياءين قبل الاول منهما كسرة ، فانهم اجمعوا على انهما يمدان قليلاً ويظهران بلا تشديد ولا افراط في التكمين » . (المفيد : ٨٧) .
(٢٨) سورة البقرة / الاية ٢٥
(٢٩) « ما قبلهما » ليس في ر .
(٣٠) وعليه اجماع الائمة ، لان الواو والياء اذا انفتح ما قبلهما زال منهما المد الذي كان مانعاً من الادغام ، وصارا كسائر الحروف ، فادغما لزوال المانع (المفيد : ٨٩) .
(٣١) سورة المائدة / الاية ٩٣
(٣٢) سورة الانفال / الاية ٧٢ ، ٧٤
(٣٣) استعمل ابو عمرو الداني مصطلح : الطبيعي والمتكلف (التحديد : ١٧٣) وسماها ابن الطحان وابن الجزري بالمد الطبيعي والمد العرضي (مرشد القارىء الورقة ١٣٣ أ والتمهيد : ١٧٣) واكثر المتاخرين على تسمية المؤلف الاصلي والفرعي (تحفة نجباء العصر : ٦٢ ، والمنح الفكرية : ٤٦) .
(٣٤) (فان قيل) ليس في ر .
(٣٥) التمهيد : ٩٠
(٣٦) الاقناع : ١ / ٤٦٩ ، والمفيد : ٦٧ ، والمنح الفكرية : ٤٦
(٣٧) في ر : « تنقسم مع الهمزة على ثلاثة اقسام » ولم يذكر القسم الثالث عند الشرح .
(٣٨) سورة البقرة / الاية ٩ ومواضع أخر . سورة الطور / الاية ٢١
(٣٩) سورة البقرة / الاية ١٠١ ومواضع أخر .
(٤٠) في ر : « فهو مقصور لابي العلاء »
(٤١) هو الامام ابو عمرو بن العلاء المازني البصري المقرىء النحوي ، احد القراء السبعة المشهورين ، توفي سنة ١٥٤ هـ (مراتب النحويين : ومعرفة القراء الكبار : ١ / ١٠٠ - ١٠٥ ، وغاية النهاية : ١ / ٢٨٨ - ٢٩٢)
(٤٢) هو ابو عمرو عثمان بن سعيد المصري المقرىء الملقب بورش ، وهو راوية نافع بن عبد الرحمن احد القراء السبعة . توفي ورش بمصر سنة ١٩٧ هـ (معجم الادباء : ٥ / ٣٣ - ٣٥ ، وغاية النهاية ١ / ٥٠٢ - ٥٠٣ . والتحفة اللطيفة : ٣ / ٢٨٣) .
(٤٣) الكشف : ١ / ٤٦ - ٤٨ ، والاقناع : ١ / ٤٧١ - ٤٧٧ ، والمفيد : ٦٤ - ٦٥ ، والنشر : ١ / ٣١٥ - ٣٣٨ ، وتحفة نجباء

العصر : ٦٣
(٤٤) « اللاحق » ليس في ر (٢) في ر : « الاول المد المتصل » .
(٤٥) سورة النساء / الاية ٤٣ ومواضع أخر (٤) سورة البقرة / الاية ٢٠ ومواضع أخر
(٤٦) سورة الزمر / الاية ٦٩ وسورة الفجر / الاية ٢٣
(٤٧) سورة النساء / الاية ١٧ ومواضع اخر (٧) سورة البقرة / الاية ٢٢٨
(٤٨) الموضح : ١٢٨ ، ١٣٥ ، والمفيد : ٦٥ ، والتمهيد : ١٧٣ ، وتحفة نجباء العصر : ٦٣ ، والمنح الفكرية : ٤٩ .
(٤٩) « في » ليس في الاصل ، و « آخر » ليس في ر .
(٥٠) سورة البقرة / الاية ٤ (١١) سورة القصص / الاية ٥٩
(٥١) سورة التحريم / الاية ٦ .
(٥٢) الموضح : ١٣٥ ، والمفيد : ٦٥ ، والتمهيد : ١٧٤ ، وتحفة نجباء العصر : ٦٤ ، والدقائق المحكمة : ٤٨ ، والمنح الفكرية : ٤٩ .
(٥٣) في الاصل : « منه » .
(٥٤) هو الامام ابو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري البغدادي المقرىء النحوي ، وهو راوية قراءتي ابي عمرو بن العلاء والكسائي ، توفي سنة ٢٤٦ هـ (تاريخ بغداد : ٨ / ٢٠٣ – ٢٠٤ ، ومعرفة القراء الكبار : ١ / ١٩١ – ١٩٢ ، وطبقات المفسرين : ١ / ١٦٢ – ١٦٣) .
(٥٥) هو الامام ابو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله السوسي الرقي المقرىء ، احد راوي قراءة ابي عمرو بن العلاء ، توفي سنة ٢٦١ هـ (مرآة الجنان : ٢ / ١٧٣ ، وغاية النهاية : ١ / ٣٣٢ – ٣٣٣ ، وتهذيب التهذيب : ٤ / ٣٩٢) .
(٥٦) المفيد : ٦٥ ، والنشر : ١ / ٢٣٢ – ٢٣٤ ، والدقائق المحكمة : ٤٨ ، والمنح الفكرية : ٤٩ .
(٥٧) العنوان : ليس في ر
(٥٨) الى هنا ينتهي الساقط من ر
(٥٩) « ينقسم » ليس في ر
(٦٠) في ر : « اما المدغم نحو »
(٦١) سورة عبس / الاية ٣٣
(٦٢) سورة البقرة / الاية ١٦٤
(٦٣) سورة النازعات / الاية ٣٤
(٦٤) سورة الفاتحة / الاية ٧
(٦٥) سورة المجادلة / الاية ٢٢
(٦٦) سورة الزمر / الاية ٧٥
(٦٧) سها المؤلف عن ذكر اصل (الضالين) وهو الضاللين .
(٦٨) ينظر : الرعاية : ٢٢٧ ، والموضح : ١٤٢ – ١٤٣ .
(٦٩) سورة البقرة / الاية ٣٠ ومواضع أخر
(٧٠) سورة الانعام / الايتان ١٤٣ ، ١٤٤ .
(٧١) الكشف : ١ / ٦٠ – ٦١ ، والاقناع : ١ / ٤٦٠ ، والتمهيد : ١٧٤ ، وتحفة نجباء العصر : ٦٤ – ٦٥ ، والدقائق المحكمة : ٤٧ ، والمنح الفكرية : ٤٦ .
(٧٢) سورة يونس / الاية ٥١ ، والاية ٩١ . ورسمت في المصحف الشريف ﴿ آلْئٰنَ ﴾
(٧٣) الاقناع : ١ / ٤٧٣ ، والنشر : ١ / ٣٤١ ، وجهد المقل : ١٩٣ ، والمنح الفكرية : ٤٦ .
(٧٤) سورة الانعام / الاية ١٦٢
(٧٥) الكشف : ١ / ٦٢ ، والتيسير : ١٠٨ ، والاقناع : ١ / ٤٦٠ ، والتمهيد : ١٧٦ ، والنشر : ١ / ٣١٤ ، والمنح الفكرية : ٤٦ .
(٧٦) « أوائل » ليس في ر
(٧٧) في ر : « وأوسطه » .
(٧٨) « حرف » ليس في ر
(٧٩) سورة ص / الاية ١
(٨٠) سورة ق / الاية ١
(٨١) سورة مريم / الاية ١ ﴿ كهيعص ﴾
(٨٢) سورة البقرة / الاية ١
(٨٣) سورة البقرة / الاية ١
(٨٤) سورة الشعراء / الاية ١ وسورة القصص / اية ١ ﴿ طسم ﴾
(٨٥) سورة القلم / الاية ١
(٨٦) « حرف واحد » ليس في ر
(٨٧) في الاصل « غير »
(٨٨) الاية الاولى ﴿ كهيعص ﴾
(٨٩) الاية الثانية ﴿ عسق ﴾
(٩٠) سورة طه / الاية ١
(٩١) سورة طه / الاية ١
(٩٢) سورة يس / الاية ١
(٩٣) سورة المؤمن / الاية ١ وهو اول السور القرآنية الاتية : فصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والاحقاف .
(٩٤) يضاف الى ماذكر المؤلف حرف « الراء » في ﴿ الر ﴾ من اول السور الاتية : يونس ، وهود ، ويوسف ، وابراهيم ، والحجر .
(٩٥) الكشف : ١ / ٦٤ – ٦٩ ، والاقناع : ١ / ٤٧٨ – ٤٧٩ ، والتمهيد : ١٧٥ ، والمنح الفكرية : ٤٦ ، وجهد المقل : ١٩٣ – ١٩٥
(٩٦) « تنبيه » ليس في ر
(٩٧) سورة ال عمران / الايتان ١ ، ٢
(٩٨) سورة العنكبوت / الايتان ١ ، ٢ .
(٩٩) « على » ليس في الاصل .
(١٠٠) في ر : « مقتصد به » .
(١٠١) في ر : « اعتماداً بحركتها » .
(١٠٢) الكشف : ١ / ٦٤ – ٦٦ ، والتيسير : ٣٥ ، والاقناع : ١ / ٤٧٩ – ٤٨٠ ، والتمهيد : ١٧٥ ، والنشر : ١ / ٣٥٩ ، وتحفة نجباء العصر : ٦٦ ، وجهد المقل : ١٩٤
(١٠٣) هو الامام الجليل صاحب المصنفات المفيدة عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد القرطبي الداني ، احد الائمة في علم القرآن ، رواياته وتفسيره ، ومعانيه ، وطرقه ، واعرابه ، توفي سنة ٤٤٤ هـ (جذوة المقتبس : ٣٠٥ ، والصلة لابن بشكوال : ٢ / ٤٠٥ – ٤٠٧ ، وانباه الرواة : ٢ / ٣٤١ – ٣٤٢ ، ومعرفة القراء الكبار : ١ / ٤٠٦ – ٤٠٩) .
(١٠٤) التيسير : ٣٥ .
(١٠٥) « الواقع » ليس في ر
(١٠٦) في ر : « وهو على قسمين » .
(١٠٧) سورة البقرة / الاية ٢٤٧ ومواضع أخر .
(١٠٨) سورة البقرة / الاية ١١٧

(١٠٩) سورة المؤمنون / الاية ١٠١
(١١٠) سورة البقرة / الاية ٢
(١١١) سورة الفاتحة / الايتان ٣ ، ٤ ومواضع اخر
(١١٢) سورة الفاتحة / الاية ١ ، ٢ ومواضع اخر
(١١٣) سورة الاعراف / الاية ٤١
(١١٤) سورة الفاتحة / الاية ٤
(١١٥) سورة البقرة / الاية ٤
(١١٦) سورة ال عمران / الاية ٩٦
(١١٧) سورة البقرة / الاية ٣٨ ومواضع اخر
(١١٨) الموضح : ١٣٣ ـ ١٣٤ ، والاقناع : ١ / ٤٨٠ ، والتمهيد : ١٧٥ ، ١٧٦ ، والنشر : ١ / ٣٣٥ ، وتحفة نجباء العصر : ٦٦ ، وجهد المقل : ١٩٥ ـ ١٩٦ ، والمنح الفكرية : ٤٧ .
(١١٩) « فصل » ليس في ر
(١٢٠) في ر « ينتهي »
(١٢١) لسند المرادي في (المفيد : ٥٨) مثل هذه الرواية الى القارىء المشهور حمزة الزيات فقال : « وروي بالاسناد الى عبد الله ابن صالح قال : قرأ اخ لي اكبر مني على حمزة فجعل يمد ، فقال له حمزة : لاتفعل أما علمت ان ماكان فوق الجعودة فهو قطط ، وما كان فوق البياض فهو برص ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة » . وانظر : كتاب السبعة : ٧٦ ، والتحديد : ٩٠ ، ومنهاج التوفيق : ٣٣٢ ، ومعرفة القراء الكبار : ١ / ١١٥ ، وغاية النهاية : ١ / ٢٦٣ . ونص مؤلفنا مضطرب والخلل فيه واضح .
والقطط : شدة جعودة الجلد
والبرص : شدة بياض الجلد
(١٢٢) التحقيق : ان يؤتي بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه . (التحديد : ٧٢ ، ومنهاج التوفيق : ٣٣١) .
(١٢٣) الحدر : سرعة القراءة مع تقويم الالفاظ وتمكين الحروف (التمهيد : ٦٢)
(١٢٤) في ر : « تحكمه »
(١٢٥) من « تحت الرسالة ... اجمعين » ليس في ر

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم
١ ب ـ اخلاق حملة القرآن ـ لابي بكر محمد بن الحسين الاجري (٣٦٠ هـ) تحـ : غانم قدوري حمد ـ بغداد ـ ١٩٨٩ م
٢ ـ أساس البلاغة ـ لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) بيروت ـ دار صادر ـ ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .
٣ ـ الاقناع في القراءات السبع ـ لابي جعفر أحمد بن علي الانصاري ابن الباذش (ت ٥٤٠ هـ) تحـ : عبد المجيد قطامش ، دمشق ـ ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
٤ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ـ لجمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ) تحـ : محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ دار الكتب المصرية ـ ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م .
٥ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ لاسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ) اسلامبول ـ ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م .
٦ ـ البرهان في علوم القرآن ـ لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تقديم وتعليق : مصطفى عبد القادر عطا ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
٧ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ لمحب الدين محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) الكويت ـ وزارة الارشاد والانباء ـ الاجزاء (من ١ ـ ٢٠) بتحقيق : جماعة من العلماء العرب .
٨ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام ـ للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) مصر ـ مطبعة السعادة ـ ١٣٤٩ هـ = ١٩٣١ م .
٩ ـ التحديد في الإتقان والتجويد ـ لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني الاندلسي (ت ٤٤٤ هـ) تحـ د : غانم قدوري حمد ، بغداد ـ دار الانبار ـ ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٨ م .
١٠ ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ـ لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) القاهرة ـ مطبعة السنة المحمدية ـ ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .
١١ ـ تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر ـ لشيخ الاسلام زكريا بن محمد الانصاري الشافعي (ت ٩٢٦ هـ) تحـ د : محيي هلال السرحان ، فصلة من مجلة كلية الشريعة ـ العدد التاسع ١٩٨٦ م .
١٢ ـ التمهيد في علم التجويد ـ لشمس الدين محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) تحـ : غانم قدوري حمد ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .
١٣ ـ تهذيب التهذيب ـ لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) الهند ـ دائرة المعارف العثمانية ـ ١٣٢٥ هـ
١٤ ـ التيسير في القراءات السبع ـ لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) تحـ : اوتوبرتزل ، اسلامبول ـ ١٩٣٠ م
١٥ ـ جذوة المقتبس في ولاة الاندلس ـ لابي عبد الله محمد بن فتوح الازدي الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) القاهرة ـ مطبعة الدار المصرية ـ ١٩٦٦ م .
١٦ ـ جهد المقل ـ لمحمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زادة (ت ١١٥٠ هـ) رسالة دكتوراه تحقيق السيد سالم قدوري حمد ، كلية الاداب ـ جامعة بغداد ـ ١٩٩٣ م .
١٧ ـ الدقائق المحكمة في شرح المقدمة ـ لشيخ الاسلام زكريا محمد الانصاري (ت ٩٢٦ هـ) طبع على هامش ـ المنح الفكرية ـ القاهرة ـ المطبعة الميمنية ١٣٠٨ هـ .
١٨ ـ الدليل الشافي على المنهل الصافي ـ لجمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ) تحـ : فهيم محمد شلتوت ـ مكة المكرمة ـ منشورات جامعة أم القرى ـ ١٩٨٢ م .
١٩ ـ الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ـ لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تحـ د : أحمد فرحات ، دمشق ـ دار المعارف للطباعة ـ ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .
٢٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ لابي الفلاح عبد الحي بن

أحمد ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) القاهرة ـ ١٣٥٠ هـ .

٢١ ـ الصلة ـ لابي القاسم خلف عبد الملك المعروف بابن بشكوال الاندلسي (ت ٥٧٨ هـ) القاهرة ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ ١٩٦٦ م .

٢٢ ـ طبقات المفسرين ـ لمحمد بن علي بن أحمد الداودي (ت ٩٤٥ هـ) تحـ : علي محمد عمر ، مصر ـ مطبعة الاستقلال ـ ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٢٣ ـ الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ـ لشمس السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) القاهرة ـ نشر مكتبة حسام الدين القدسي ـ ١٣٥٣ هـ

٢٤ ـ غاية النهاية في طبقات القراء ـ لشمس الدين ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) نشره : ج ١ برجستراسر ، القاهرة ـ ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م .

٢٥ ـ غيث النفع في القراءات السبع ـ لعلي النوري السفاقسي غيث (ت ١١١٨ هـ) القاهرة ـ مطبعة الاستقامة ـ ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م .

٢٥ ب ـ فضائل القرآن ـ لعماد الدين اسماعيل بن بكر بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) طبع مع كتاب « تفسير القرآن العظيم » له في الجزء الرابع ـ القاهرة ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي (د . ت) .

٢٦ ـ كتاب السبعة في القراءات ـ لابي بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد التميمي (ت ٣٢٤ هـ) تحـ د : شوقي ضيف ، القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٢ م .

٢٧ ـ كتاب العين ـ للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) تحـ د : مهدي المخزومي ، د : ابراهيم السامرائي ، بغداد ـ دار الرشيد للنشر ـ ١٩٨٠ م ـ ١٩٨٥ م .

٢٨ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

٢٩ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ـ لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تحـ د : محيي الدين رمضان ، دمشق ـ ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

٣٠ ـ لسان العرب ـ للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١ هـ) بيروت ـ دار صادر ودار بيروت ـ ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م .

٣١ ـ مجمل اللغة ـ لابي الحسين أحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥ هـ) تحـ : السيد زهير عبد المحسن سلطان ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٩٨٤ م .

٣٢ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ـ لابي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) بيروت ـ مؤسسة الاعلمي ـ ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

٣٣ ـ مراتب النحويين ـ لابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت ٣٥١ هـ) تحـ : محمد أبو الفضل ابراهيم ، بيروت ـ دار الفكر . (د . ت)

٣٤ ـ مرشد القارىء الى تحقيق معالم المقارىء ـ لابي الاصبغ عبد العزيز بن علي الشماتي الاندلسي (ت بعد ٥٦٠ هـ) نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة جستربيتي دبلن برقم (٣٩٢٥ / ٤) .

٣٥ ـ معجم الادباء ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب . لياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ) مطبوعات دار المامون أحمد فريد الرفاعي ـ القاهرة ـ ١٩٣٦ م .

٣٦ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ـ ليوسف اليان سركيس ، القاهرة ـ مطبعة سركيس ـ ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

٣٧ ـ معجم مقاييس اللغة ـ لابي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) تحـ : عبد السلام محمد هارون ـ القاهرة ـ مطبعة عيسى البابي ـ ١٣٦٦ هـ .

٣٨ ـ معجم المؤلفين ـ تراجم مصنفي الكتب العربية ـ لعمر رضا كحالة ـ دمشق ، مطبعة الترقي ـ ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .

٣٩ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار ـ لشمس الدين الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) تحـ د : بشار عواد معروف والشيخ شعيب الارناؤوط وصالح مهدي عباس ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٩٨٤ م .

٤٠ ـ المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد ـ لبدر الدين الحسن بن قاسم ابن عبد الله المرادي (ت ٧٤٩ هـ) تحـ د : علي حسن البواب ، الاردن ـ الزرقاء ـ المكتبة المنار ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٤١ ـ المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية ـ للملا علي بن سلطان القاري (ت ١٠١٤ هـ) القاهرة ـ المطبعة الميمنية ـ ١٣٠٨ هـ .

٤٢ ـ منهاج التوفيق الى معرفة التجويد والتحقيق ـ لعلم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) تحـ : صالح مهدي عباس ، مجلة المورد العراقية / المجلد السابع عشر / العدد الرابع / ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م .

٤٣ ـ الموضح في التجويد ـ للشيخ عبد الوهاب بن محمد القرطبي الاندلسي (ت ٤٦١ هـ) تحـ د : غانم قدوري حمد ، الكويت ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة ـ ١٩٩٠ م .

٤٤ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ لجمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) القاهرة ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٣٩ ـ ١٩٥٦ م .

٤٥ ـ النشر في القراءات العشر ـ لشمس الدين محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) صححه وراجعه : علي محمد الضباع ، بيروت ـ دار الفكر (د . ت)

٤٦ ـ هدية العارفين اسماء الكتب وآثار المصنفين ـ لاسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ) الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

• • •

كتاب تسهيل العروض الى علم العروض

تأليف الشيخ عبد الملك العصامي الاسفراييني

المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ

د . فاخر جبر مطر
كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد

القسم الثاني

المديد : هو كما مرّ مبني في الدائرة من ثمانية أجزاء ، على هذه الهيئة :
فاعلاتُنْ فاعِلُنْ فاعِلاتُنْ فاعِلُنْ ، فاعلاتُنْ فاعِلُنْ فاعِلاتُنْ فاعِلُنْ . ولايستعمل إلّا مجزوءً . وله ثلاثُ اعاريض وستة اضرب[٩] العروض الأولى صحيحة ، ولها ضرب واحد مثلها ، وبيته[١٠] .

يـاَلبكرٍ أنشروا لي كُلَيبـاً　　　يـاَلبَكْـرٍ أينَ أينَ الفـرارُ؟

فقوله لي كُلَيبن هو العروض ، وقوله نلفرارو هو الضرب ، وزن كل منهما فاعِلاتُن . العروض الثانية محذوفة ، وزنها فاعِلُنْ ، ولها ثلاثة أضرب ، الأول مقصور ، وزنه فاعِلاتُنْ ، وبيته[١١] :

لايغُرَّنْ أمرءاً عيشُهُ　　　كلُّ عيشٍ صائرٌ للزوالْ

فقوله عيشهو هو العروض ، وزنه فاعِلُنْ ، وقوله للزوال هو الضرب ، وزنه فاعِلانْ .
الضرب الثاني محذوف مثلها على وزن فاعِلُنْ ، وبيته[١٢] :

اعلموا أنّي لكم حافِظ　　　شاهداً ماكنتُ او غائبا

فقوله حافِظُن هو العروض ، وقوله غائبا هو الضرب ، وزن كل منهما فاعِلُنْ . الضرب الثالث ابتر ، وزنه فَعْلُنْ ، باسكان العين ، وبيته[١٣] :

إنّما الذلفاءُ ياقوتةٌ　　　أُخرِجَتْ من كيسِ دُهقانِ

فقوله قوتتن هو العروض ، وزنه فاعِلُنْ ، وقوله قاني هو الضرب ، وزنه فَعْلُنْ .
العروض (٤٣ ب) من الثالثة محذوفة مخبونة ، لها ضربان ، الاول مثلها على وزن فَعِلُنْ بتحريك العين ، وبيته[١٤] :

• نشر (القسم الاول) في المجلد الرابع والعشرين / العدد الاول / لسنة ١٩٩٦ .

للفتى عقلٌ يعيشُ بهِ   حيثُ تَهدي ساقَهُ قدمُهْ

فقوله شُبهي هو العروض ، وقوله قَدَمُهْ هو الضرب ، وزن كل منهما فعلُنْ . الضرب الثاني أبتر ، وزنه فَعْلُنْ باسكان العين ، وبيته[95] :

رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْمُقُها   تَقْضَمُ الهنديَّ والغارا

فقول مُقُهَا هو العروض ، وزنه فعلُنْ ، وقوله :غارا هو الضرب ، وزنه فَعْلُنْ .
ويدخل هذا البحر من الزحاف الخبن وهو حسن ، والكف وهو صالح ، والشكل وهو قبيح[96] . فبيت الخبن[97] :

ومتى مايَعِ منكَ كلاماً   يتكلَّمْ فَيُجِبْكَ بعقلِ
أجزاؤه كلها مخبونة . وبيت الكف[98] :
لَن يزال قومُنا مُخصبينَ   صالحينَ ما اتَّقوا واَستقاموا

أجزاؤه السباعية كلها مكفوفة إلّا الضرب فإنّه لم يكف ، حذراً من الوقوف على الوقوف المتحرك[99] . وبيت الشكل[100] :

لِمَنِ الدِّيارُ غيَّرهُنَّ   كلُّ جَوْنِ المُزْنِ داني الرَّبابِ ؟

فقوله لِمَنِدِّيـ . وقوله يَّرْهُنْنَ كل منهما مشكول ، وزنه فعلاتُ . وقد مرَّ أنَّ المعاقبة ثابتة في هذا البحر بين كل سببين اجتمعا ، وأنَّ فيه صدراً وعجزاً وطرفين . فبيت الطرفين[101] :

ليت شعري هَلْ لنا ذاتَ يومٍ   بِجَنوبٍ فارغٍ مِن تلاقي

قوله بجَنوبٍ وزنه فَعِلاتُ ، فيه الطرفان ، لأنَّ ألفَهُ حذفت لثبات نون الجزء الذي قبله ، ونونه لثبات ألف الجزء الذي بعده .
واعلم أنَّه يجوز في العروض الأولى من الزحاف ماجاز في الحشو من الخبن والكف والشكل ، وأمّا الضرب الأول فلم يوافق الحشو إلا في الخبن . وأمّا ضرب العروض الثانية المقصور ، فمنع الخليل[102] دخول الخبن فيه ، وأجازه الأخفش[103] .

xxxxxxxxx

البسيط : كما مر مبني في الدائرة من ثمانية اجزاء على هذه الصورة :
مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ .

وله ثلاث اعاريض وستة اضرب . العروض الاولى مخبونة ، ولها ضربان ، الاول مثلها ، وبيته[104] :

ياحارِ لا أُرْمَيَنْ منكمْ بداهيةٍ لم يَلْقَها سُوقَةٌ قبلي ولا مَلِكُ

فقوله هيُتِنْ هو العروض، وقوله ملكو هو الضرب، وكل منهما فعِلُنْ بتحريك العين.
الضرب الثاني مقطوع. (٤٤ أ) وبيته(١٠٥):

قد أشهدُ الغارةَ لشعواءَ تَحمِلُني جرداءُ معروقةُ اللَّحْيَيْنِ سُرْحوبُ

فقوله مِلُني هو العروض، وزنه فعِلُنْ بتحريك العين، وقوله حُوبُو هو الضرب، وزنه فعْلُنْ بالاسكان.
العروض الثانية مجزوءة صحيحة، ولها ثلاثة أضرب، الأول مذال، وبيته(١٠٦):

إنّا ذَمَمْنا على ماخَيَّلَتْ سعدَ بنَ زيدٍ وعمراً من تميمْ

فقوله ماخيلت هو العروض، وزنه مُسْتَفْعِلُنْ، وقوله رَنْ مِنْ تَميمْ هو الضرب، وزنه مُسْتَفْعِلَانْ.
الضرب الثاني مثل العروض صحيح، وبيته(١٠٧):

ماذا وقوفي على ربعٍ خَلَا مُخْلَوْلِقٍ دارسٍ مُسْتَعْجِمِ

فقوله ربعن خلا هو العروض، وقوله مستعجمي هو الضرب، وزن كل منهما مُسْتَفْعِلُنْ.
الضرب الثالث مقطوع، وبيته(١٠٨):

سيروا معاً إنّما ميعادُكم يومَ الثلاثاءِ، بطنُ الوادي

فقوله ميعادُكم هوالعروض، وزنه مُسْتَفْعِلُنْ، وقوله نلوادي هو الضرب، وزنه مَفْعُولُنْ.
العروض الثالثة مجزوءة مقطوعة لها ضرب واحد مثلها، وبيته(١٠٩):

ماهَيَّجَ الشَّوقَ مِن أطلالٍ أضحتْ قفاراً كوَحْيِ الواحي

فقوله أطلالِن هو العروض، وقوله يلواحي هو الضرب، وزن كل منهما مَفْعُولُنْ.
ويدخل هذا البحرَ من الزحاف الخبنُ في الخماسي والسباعي، وهو حسن فيهما، والطي في السباعي وهو صالح، والخبل وهو قبيح(١١٠). فبيت الخبن(١١١):

لقد مضتْ حقبٌ صروفُها عجبٌ فأحدثتْ عبراً وأعقبتْ دولا

أجزاؤه كلها مخبونة. وبيت الطي(١١٢):

ارتحلوا غُدوةً وانطلقوا سحراً   في زُمرٍ مِنْهُم تَتْبعُها زُمَرْ

أجزاؤه السباعية كلها مطوية . وبيت الخبل[113] :

وزَعَموا أنَّهم لَقِيَهُم رَجُلٌ   فأخذوا مالَهُ وضَرَبُوا عُنُقَهْ

أجزاؤه السباعية كلها مخبولة .

واعلم أنّ هذا الزحاف جميعه يدخل في الضرب المذيّل ، والخبن يدخل في الضرب المقطوع وفي العروض المقطوعة وضربها . فبيت الخبن في الضرب المذيّل[114] :

قد جاءكم أنكم يوماً إذا   ما ذُقْتُمُ الموتَ سوفَ تُبعثونْ

فقوله فَتُبعثونْ هو الضرب ، وزنه مُفَاعِلانْ . وبيت الطيّ فيه[115] :

ياصاحِ قد أُخلفتْ أسماءُ ما   كانت تُمَنّيكَ من حُسْنِ وصالْ

فقوله حسنِ وصالْ هو الضرب ، وزنه مُفْتَعِلانْ . وبيت الخبل فيه[116] :

هذا مقامي قريباً من أخي   كلُّ امرىءٍ قائمٌ مَعَ أخيهْ

فقوله مَعَ أخيهْ هو الضرب ، وزنه فَعِلَتان . وبيت الخبن في الضرب المقطوع[117] :

قلتُ استجيبي فلما لم تُجِبْ   سالتْ دموعي على ردائي

فقوله ردائي هو الضرب ، وزنه فَعُولُنْ . (٤٤ ب) وبيت الخبن في العروض والضرب المقطوعين[118] :

أصبحتُ والشَّيبُ قَدْ عَلاني   يدعُو حَثيثاً الى الخضابِ

فقوله علاني هو العروض ، وقوله خضابي هو الضرب ، وزن كل منهما فَعُولُنْ ، وهذا هو المسمّى عندهم بالمخلّع ، والمولدون التزموا الخبن في هذه العروض لحسن ذوقه ، وهو من التزام مالايلزم[119] . وهنا كملت الدائرة الاولى .

×××××××××

الوافر : هو كما مرّ مبني في الدائرة من ستة أجزاء على هذه الصورة :

مُفاعَلَتُنْ مُفاعَلَتُنْ مفاعَلَتُنْ ،   مُفاعَلَتُنْ مُفاعَلَتُنْ مُفاعَلَتُنْ .

وله عروضان وثلاثة أضرب . العروض الاولى مقطوفة . لها ضرب واحد مثلها ، وبيته[120] :

لنا غَنَمٌ نُسَوِّقُها غِزارٌ   كأنَّ قرونَ جِلَّتِها العِصِيُّ

فقوله غِزارُنْ هو العروض ، وقوله عِصِيُّوْ هو الضرب ، وزن كل منهما فَعُولُنْ.العروض الثانية مجزوءة صحيحة ، ولها ضربان ، الاول مثلها ، وبيته[121] :

لَقَدْ عَلِمَتْ ربيعةُ أَنْ نَ حَبْلَكَ واهِنُ خَلِقُ

فقوله ربيعةُ أَنْ هو العروض ، وقوله هِنُنْ خَلِقُ هو الضرب ، وزن كل منهما مُفَاعَلَتُنْ .
الضرب الثاني معصوب ، بالصاد المهملة ، وبيته[122] :

أُعاتِبُها وآمُرُها فَتُغْضِبُني وتعصيني

فقوله وآمُرُها هو العروض ، وزنه مُفاعَلَتُنْ ، وقوله وتعصيني هو الضرب ، وزنه مُفاعِيلُنْ . ويدخل هذا البحر من الزحاف العَصْبُ وهو حسن ، والعقلُ وهو صالح ، والنقصُ وهو قبيح . فبيت العَصْب[123] :

إذا لم تَسْتَطِعْ شيئاً فَدَعْهُ وجاوِزْهُ الى ماتَستطيعُ
أجزاؤه السباعية كلها معصوبة . وبيت العقل[124] :
منازِلُ لقومِنا قفارُ كأنَّما رُسومُها سُطُورُ
وبيت النقص[125] :
لسلامة دارٌ بحفيرٍ كباقي الخَلَقِ السَّحقِ قِفارُ

ويدخله في الجزء الاول من البيت العضبُ بالضاد المعجمة ، والقصمُ ، والعقصُ ، والجمُّ . فبيت العضب[126] :

إنْ نَزَلَ الشتاءُ بدارِ قومٍ تَجَنَّبَ جارَ بيتِهِمُ الشتاءُ

فقوله إنْ نَزَلَشْ معضوب ، وزنه مُفْتَعِلُنْ . وبيت القصم[127] :

ماقالوا لنا سَدَداً ولكن تفاحَشَ أَمرُهُم فَأتَوْا بِهُجْرِ

فقوله ماقالوا أقصم ، وزنه مَفْعُولُنْ . وبيت الجمم[128] :

أنتَ خيرُ مَنْ رَكِبَ المطايا وأَكرَمُهُم أَباً وأَخاً وأُمّا

الجزء الاول (٤٥ أ) وهو قوله أنتَ خَيْ أجم ، وزنه فاعِلُنْ . وبيت العقص[129] :

لولا مَلِكٌ رؤوفٌ رحيمٌ تداركني بِرَحْمَتِهِ هَلَكْتُ

جزؤه الاول وهو قوله لَوْلَامُ معقوص ، وزنه مفْعُولُ .

××××××××××

الكامل : هو كما مر مبني في الدائرة من ستة اجزاء على هذه الصورة : مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ ، مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ وله ثلاث اعاريض ، وتسعة اضرب . العروض الاولى صحيحة ، ولها ثلاثة أُضرب ، الاول مثلها ، وبيته(١٣٠) :

وإذا صحوتُ فما أُقَصِّرُ عن ندًى وكما علمتِ شمائلي وتكرُّمي

فقوله صِرُعَنْ نَدَنْ هو العروض ، وقوله وتكرُّمي هو الضرب ، وزن كل منها مُتَفَاعِلُنْ .

الضرب الثاني مقطوع ، وبيته(١٣١) :

وإذا دَعَوْنَكَ عَمَّهُنَّ فإنَّهُ نَسَبٌ يُزيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبالَا

فقوله نفْنِنْنهو هو العروض ، وزنه مُتَفَاعِلُنْ ، وقوله نَخَبالَا هو الضرب ، وزنه فَعلاتُنْ .

الضرب الثالث أحذُّ مضمر ، وبيته(١٣٢) :

لِمَنِ الدِّيارُ برامَتَيْنِ فَعَاقِلٍ دَرَسَتْ وغَيَّرَ آيَها القَطْرُ

نِفَعَاقِلِنْ هو العروض ، وزنه مُتَفَاعِلُنْ ، وقوله قطرو هو الضرب ، وزنه فَعْلُنْ باسكان العين .

العروض الثانية حذّاء ، لها ضربان ، الاول مثلها ، وبيته(١٣٣) :

لِمَنِ الدِّيارُ عَفَا معالِمَهَا هَطِلٌ أجشُّ وبارِحٌ تَرِبُ

فقوله رِلِمَهَا العروض ، وقوله تربو هو الضرب ، وزن كل منهما فَعِلُنْ بتحريك العين .

الضرب الثاني أحذّ مضمر ، وبيته(١٣٤) :

وَلأَنْتَ أشجعُ من أُسامةَ إذ دُعِيَتْ نَزالِ ولُجَّ في الذُّعْرِ

فقوله مَتُنِذْ هو العروض ، وزنه فَعِلُنْ بتحريك العين ، وقوله ذُعْرِي هو الضرب ، وزنه فَعْلُنْ باسكان العين .

العروض الثالثة مجزوءة صحيحة ، ولها أربعة أضرب ، الأول مجزوء مرفّل ، وبيته(١٣٥) :

وَلَقَدْ سَبَقْتَهُمُ إليَّ فلمِ نَزَعْتَ وأَنتَ آخِرْ؟ !

فقوله تَهُمُو إِلَيَّ هو العروض ، وزنه مُتَفَاعِلُنْ ، وقوله تَوَ أَنْتَ آخِرْ هو الضرب ، وزنه مُتَفَاعِلَاتُنْ .

الضرب الثاني مذيّل ، وبيته(١٣٦) :

جَدَثٌ يكونُ مُقامُهُ أَبداً بمُخْتَلَفِ الرِّياحْ

فقوله تُمُقامُهو هو العروض، وزنه مُتَفاعِلُنْ، وقوله تَلِفِرْ رِياحْ هو الضرب، وزنه مُتَفاعِلانْ.
الضرب الثالث معرّى، وبيته[١٣٧]:

وإذا افْتَقَرْتَ فَلَا تكُنْ متخشِّعاً وتَجَمَّلِ

فقوله تَفَلَاتكُنْ هو العروض، وقوله وتَجَمْمَلي هو الضرب، وزن كل منهما مُتَفاعِلُنْ.
الضرب الرابع مقطوع، وبيته[١٣٨]:

وإذا هُمُ ذَكَروا الإسا ءَةَ أكثر [وا][١٣٩]الحَسَناتِ

(٤٥ ب) فقوله ذَكَرُ لْاَسا هو العروض، وزنه مُتَفاعِلُنْ، وقوله حسناتي هو الضرب، وزنه فَعِلاتُنْ.
ويدخل هذا البحرَ من الزحاف الاضمارُ وهو حسن، والوقصُ وهو صالح، والخزلُ وهو قبيح، فبيت الاضمار[١٤٠]:

إنّي امرؤٌ من خيرِ عَبْسٍ منصباً شطري وأَحمِي سائري بالمُنصُلِ

أجزاؤه كلها مضمرة، فان قلت: يلتبس هذا البحر عند اضماره ببحر الرجز، أُجيب بأَنَّهُ يبيِّنُهُ ماقبله ومابعده، فإن فُقِدَ المبيِّنُ حُمِلَ على الرجز، لأصالة مُسْتَفْعِلُنْ فيه وفرعيته في الكامل.
فإن قلت: فمع الوقص والخزل في جميع الأجزاء؟ أُجيب بأنّهُ يحمل على الرجز أيضاً، لان مَفَاعِلُنْ فيه ناشيء عن الخبن وهو حذف ساكن، وفي الكامل عن الوقص وهو حذف متحرك، ومُفْتَعِلُنْ في الرجز ناشيء عن تغيير واحد وهو الطيّ، وفي الكامل عن تغييرين وهما الاضمار والطيّ، فتعين الحمل على الرجز إيثاراً لارتكاب أخف الأمرين[١٤١]وبيت الوقص[١٤٢]:
يَذُبُّ عن حريمِهِ بسيفِهِ وَرُمْحِهِ وَنَبْلِهِ ويحتَمي
وبيت الخزل[١٤٣]:
منزلةٌ صَمَّ صَداها وعَفَتْ أَرْسُمُها إنْ سُئِلَتْ لَمْ تُجِبْ
واعلم أَنّهُ يجوز في الضرب المرفّل والمذيّل من الزحاف مايجوز في الحشو[١٤٤]. فبيت الإضمار في المرفل[١٤٥]:
وغَرَرْتَني وَزَعَمْتَ أَنْـ ـكَ لابنٌ في الصَّيفِ تامِرْ
فقوله فِصْصَيفِتامِرْ هو الضرب، وزنه مُسْتَفْعِلاتُنْ، وبيت الوقص في الضرب المرفّل[١٤٦]:
وَلَقَدْ شَهِدْتُ وفاتَهُمْ ونَقَلْتُهُمْ الى المقابِرْ
فقوله اللمقابر هو الضرب، وزنه مُفَاعَلاتُنْ. وبيت الخزل فيه[١٤٧]:
صَفَحُوا عَنِ ابْنِكَ إِنَّ في ابْـ ـنِكَ حِدَّةً حينَ يُكَلَّمُ
فقوله حينَ يُكَلْلَمُ هو الضرب، وزنه مُفْتَعِلاتُنْ. وبيت الإضمار في الضرب المذيَّل[١٤٨]:
وإذا اغْتَبَطْتُ او ابْتَأَسْـ ـتُ حَمِدْتُ رَبَّ العالمينْ

فقوله بِلْغَالمينْ هو الضرب ، وزنه مُسْتَفْعِلَانْ : وبيت الوقص فيه[149] :

كُتِبَ الشتاءُ عليهما فَهُما لَهُ مُيَسْرانْ

. فقوله مُيَسْرانْ هو الضرب ، وزنه مُفَاعِلَانْ . وبيت الخزل فيه[150] :

وأجِبْ أخاكَ إذا دعا ك مُغالِناً غيرَ مُخافْ

فقوله غيرَ مُخافْ هو الضرب ، وزنه مُفْتَعِلانْ . وبيت الاضمار الجائز في الضرب المقطوع من البيت الوافي[151] :

وإذا أفتقرت الى الذخائر لم تَجِدْ ذُخراً يكونُ كصالح الأعمالِ

فقوله أعمالي هو الضرب ، وزنه مَفْعُولُنْ . (٤٦ أ) وبيت الاضمار الجائز في الضرب الاخير المقطوع[152] :

وأبو الحُسَيْنِ وَرَبِّ مكَّةَ فارغٌ مَشْغُولُ

فقوله مَشْغُولو هو الضرب ، وزنه مفعُولُنْ . وهنا كملت الدائرة الثانية .

××××××××××

الهزج : هو كما مر مبني في الدائرة من ستة اجزاء على هذه الصورة : مَفاعِيلُنْ مَفاعِيلُنْ ، مَفاعِيلُنْ ، مَفاعِيلُنْ مَفاعِيلُنْ . مَفاعِيلُنْ وله عروض واحدة وضربان . ولم يستعمل الامجزوءاً ، فالعروض صحيحة ، وضربها الاول مثلها ، وبيته[153] :

عَفَامن آل ليلَى السَّهْـ ـبُ فالأملاحُ فالغَمْرُ

فقوله لِلَيلسَّهْ هو العروض ، وقوله حُفَلْغَمْرُو هو الضرب ، وزن كل منهما مَفاعِيلُنْ .

الضرب الثاني محذوف ، وبيته[154] :

وما ظَهري لِباغي الضَّيْـ ـمِ بالظَّهر الذَّلُولِ

فقوله لِباغِضْضَيْ هو العروض ، وزنه مَفاعِيلُنْ ، وقوله ذَلُولِي هو الضرب ، وزنه فَعُولُنْ .

ويدخل هذا البحرَ من الزحاف القبضُ وهو قبيح ، والكفُّ وهو حسن . ويدخل الجزءَ الأول الخرمُ والشترُ والخربُ . فبيت القبض[155] :

فقلتُ لاتَخَفْ شيئاً فما عليكَ منْ بَاسِ

جزؤه الأول والثالث مقبوضان . وبيت الكف[156] :

فهذانِ يذودانِ وذا مِنْ كَثَبٍ يرمي

أجزاؤه ماعدا الضرب مكفوفة ، وبيت الخرم[157] :

أدّوا ماأستعاروهُ كذاكَ العيشُ عارِيَّةْ

فقوله أدْدُوْمَسْ مخروم ، وزنه مَفْعُولُنْ . وبيت الشتر[158] :

في الذينَ قَدْ ماتُوا وفيما خَلَّفوا عبرَةْ

فقوله فِلْلَذِي وزنه مَفاعِلُنْ . وبيت الخرب[159] :

لو كانَ أبو موسى أميراً مَارَضِيناهُ

فقوله لَوْ كَانْ ، مَفْعُولُ .

××××××××××

الرجز : هو كما مرَّ مبني في الدائرة من ستة اجزاء هكذا :

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ ، مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ ،

وله اربع أعاريض وخمسة أضرب . العروض الاولى صحيحة ، لها ضربان ، الاول مثلها ، وبيته[160] :

دارٌ لِسَلْمَى إذ سُلَيْمَى جارةٌ قَفْرٌ ترى آياتِها مِثْلَ الزُّبُرْ

فقوله ماجارَتُنْ هو العروض ، وقوله مِثْلَزْزُبُرْ هو الضرب ، وزن كل منهما مُسْتَفْعِلُنْ .

الضرب الثاني مقطوع ، وبيته[161] :

القلبُ منها مُستريحٌ سالمٌ والقلبُ منّي جاهدٌ مجهودُ

فقوله حُنْ سالِمُنْ هو العروض ، وزنه مُسْتَفْعِلُنْ ، وقوله مجهودو هو الضرب ، وزنه مَفْعُولُنْ .

العروض الثانية مجزوءة صحيحة ، لها ضرب واحد مثلها ، وبيته[162] :

قَدْ هاجَ قَلْبِي مَنزِلٌ مِن ام عمروٍ مُقْفِرُ

فقوله بِيمَنْزِلُنْ هو العروض ، وقوله رِنْمُقْفِرُو هو الضرب ، وزن كل منهما (٤٦ ب) مُسْتَفْعِلُنْ .

العروض الثالثة مشطورة ، وضربها مثلها ، وبيته[163] :

ما هاجَ أحزاناً وشجواً قَدْ شَجَا

فقوله وَنْقَدْ شَجَا وزنه مُسْتَفْعِلُنْ .

العروض الرابعة منهوكة ، ضربها مثلها ، وبيته[164] :

ياليتني فيها جَذَعْ

فقوله فِيها جَذَعْ وزنه مُسْتَفْعِلُنْ .

ويدخل هذا البحرَ من الزحاف الخبنُ وهو صالح ، والطيُّ وهو حسن ، والخبلُ وهو قبيح . فبيت الخبن[165] :

وطالما ، وطالما ، وطالما كُفِي بكفِّ خالدٍ مخُوفُها

اجزاؤه كلها مخبونة الا الرابع . هكذا قال ابن بري[166] ، وزعم ان الرواية فيه : (كَفَّي) بفتح الكاف وتشديد الفاء . قال : ولامعنى له . والصواب (كُفِيْ) بضم الكاف وتخفيف الفاء من الكفاية ، وسكنت الياء فيه للضرورة ، وانما كان هذا صواباً لثلاثة أوجه :

الأول : ان له معنى صحيحا حسناً ، وعلى الرواية الاولى لامعنى له .

الثاني : ان فيه ضرباً من البديع وهو التجنيس .

الثالث : ان يكون هذا الجزء مخبوناً كسائر الاجزاء وهو اللائق بماجرت به العادة من تحري دخول الزحاف في جميع الاجزاء . انتهى كلامه . وبيت الطيّ[167] :

ما ولدتْ والدةٌ مِنْ ولدٍ أكرمَ مِنْ عبدِ منافٍ حَسَبا

أجزاؤه كلها مطوية . وبيت الخبل[168] :

وَثِقَلٍ مَنَعَ خيرَ طلبٍ وعَجَلٍ مَنَعَ خيرَ تُؤَدَةْ

أجزاؤه كلها مخبولة . ويدخل الضرب الثاني الخبن ، وبيته[169] :

لا خيرَ فِيمَنْ كَفَّ عنّا شَرَّهُ إنْ كانَ لا يُرجَى ليومٍ خَيْرِ

فقوله خيري هو الضرب ، وزنه فَعُولُنْ .

تنبيه : للعروضيين في البيت المشطور سبعة مذاهب :

الأول : أنّه عروضٌ وضربٌ مماثل لها .

الثاني : أنّ ثلاثة أجزاء كلها ضربٌ لاعروضَ له .

الثالث : أنّه عروض لاضربَ لها .

الرابع : أنَّ العروضَ والضربَ منهوكان ، والجزء الثالث زِيدَ في الضرب كما زِيدَ فيه الترفيل والتذييل .
الخامس : أنّ العروض مجزوءة ، اي ذهب منها جزء واحد فبقيت جزئين ، والضرب منهوك ، أي ذهب منه جزءان وبقي جزء واحد . وعليه فتكون العروض هي الجزء الثاني والضرب هو الثالث[١٧٠] .
السادس . عكس هذا ، أي نهك الصدر ، فالعروض هي الجزء الاول وجزء العجز ، فالضرب هو الجزء الثالث .
السابع : أن المشطوز نصفُ بيتٍ لابيتٌ كاملٌ ، فحينئذٍ لامشطورَ في التحقيق عند صاحب هذا القول ، واليه ميلُ ابن الحاجب[١٧١] .

وأما المنهوك ففيه اقوال ، أحدهـا كالاول في المشطور ، اي يجعل الجزءان كلاهما عروضاً وضرباً ممزوجين . وقيل الجزء الاول عروض والثاني ضرب . (٤٧ أ) وقيل كلاهما ضرب بلا عروض . وقيل العكس . وقيل مصرَّعٌ من العروض الثانية وضربها[١٧٢] .

والأخفش يجعل المشطور والمنهوك من قبيل السجع ، ولايجعلهما شعراً البتة[١٧٤] :

تنبيه آخر : اتّفقوا على جواز استعمال القطع مع التمام في ضرب الارجوزة المشطورة اجراء للعلة مجرى الزحاف ، كقول امرأة من جديس[١٧٥] :

لا أحدٌ أذلُّ من جديسِ ... أهكذا يُفعلُ بالعروسِ
يرضى بهذا يالقومي حُرّ ... أهدى وقد أعطى وسيقَ المهرْ
لَخَوْضُهُ بحرَ الرّدى بنفسهِ ... خيرٌ من ان يُفعلَ ذا بعرسهِ

وعليه قول الاخر[١٧٦] :

والنفسُ من أنفس شيءٍ خَلَقا ... فكُنْ عليها ماحييت مشفقا
ولاتسلط جاهلًا عليها ... فقد يسوق حتفها إليها

قال ابن بري : وهذا اكثر مايستعمله المحدثون في الاراجيز المشطورة المزدوجة . قال : ولقائل أنَّ يقول إنَّ كل شطرين من ذلك شعر على حِدَتِهِ ، إلّا أنّهُ لايسمّى قصيدة حتى ينتهي الى سبعة اشطار فما زاد[١٧٧] :
قال الدماميني[١٧٨] : الذي يظهر لي في ذلك ان يجعل كل شطرين من ذلك شعراً على حدته ، ولايجعل ذلك كله قصيدة واحدة وان تجاوزت الابيات سبعة ، لانهم لايلتزمون اجراءها على روي واحد ولاعلى حركة واحدة ، بل يجمعون فيها بين الحروف المختلفة المخارج بالقرب والبعد والحركات الثلاث ، لايتحاشون ذلك ولااختلاف اوزان الضروب ، وانما يلتزمون ذلك في كل شطرين ، فلو جعل الكل قصيدة واحدة للزم وجود الاكفاء والاجازة والاقواء والاصراف في القصيدة الواحدة ، وتكرر ذلك فيها ، وتلك عيوب يجب اجتنابها ، وهم لايعدون مثل ذلك في هذه الاراجيز عيباً ، ولاتجد نكيراً لذلك من العلماء ، فدل على ماقلناه . انتهى . وهو حسن ظاهر .

××××××××××

الرمل : هو مبني كما مر في الدائرة من ستة اجزاء على هذه الصورة : فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ ، فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ . وله عروضان وستة اضرب ، فالعروض الاولى محذوفة ، ولها ثلاث اضرب ، الاول صحيح ، وبيته[١٧٩] :

مِثْلَ سَحْقِ البُرْدِ عَفَّى بَعْدَكَ الـ ... قَطْرُ مَغْنَاهُ وتأويبُ الشَّمالِ

فقوله بَعْدُ كلْ هو العروض ، وزنه فاعِلُنْ ، وقوله بُشَشَمالي هو الضرب ، وزنه فاعِلاتُنْ .

الضرب الثاني مقصور ، وبيته[180] :

أَبلغِ النعمانَ عنّي مالُكاً أنّهُ قد طالَ حَبْسِي وانْتِظارْ

قوله مالُكَنْ هو العروض ، وزنه فاعِلُنْ ، وقوله وَانْتِظارْ هو الضرب وزنه فاعِلانْ . (٤٧ ب) الضرب الثالث محذوف مثلها ، وبيته[181] :

قالَتِ الخنساءُ لما جئتُها : شابَ بَعدي رأسُ هذا واشْتَهَبْ

فقوله جئتُها هو العروض ، وقوله وَشْتَهَبْ هو الضرب ، وزن كل منهما فاعِلُنْ العروض الثانية مجزوءة صحيحة ، لها ثلاثة أضرب مجزوءة الاول مسبغ ، وبيته[182] :

ياخليليَّ اْرْبِعا واسْ ـتَخْبِرا رَبْعاً بِعُسْفانْ

فقوله يَرْبعنْ وَسْ هو العروض ، وزنه فاعلاتُنْ ، وقوله عَنْبِعُسْفانْ هو الضرب ،وزنُهُ فاعلاتان

الضرب الثاني مثلها وهو المُعَرّى ، وبيته[183] :

مُقْفِراتٌ دارِساتٌ مِثْلُ آياتِ الزَّبُورِ

فقولهُ دارِساتُنْ هو العروض ، وقوله رِزْزَ بُوري هو الضرب ، وزن كل منهما فاعِلاتُنْ .

الضرب الثالث محذوف ، وبيته[184] :

مالِما قَرَّتْ بهِ العَيْـ نانِ ، مِنْ هذا ، ثَمَنْ

فقوله رَتْبِهِلْعَيْ هو العروض ، وزنه فاعِلاتُنْ ، وقوله ذا ثَمَنْ هو الضرب وزنه فاعِلُنْ .

ويدخل هذا البحرَ من الزحاف الخبنُ وهو حسن ، والكفُ وهو صالح ، والشكل وهو قبيح . فبيت الخَبن[185]

وَإِذا رايةُ مجدٍ رُفِعَتْ نَهَضَ الصَّلْتُ إليها فَحَواها

أجزاؤه كلها مخبونة . وبيت الكف[186] :

ليسَ كلُّ مَنْ أرادَ حاجةً ثُمَّ جَدَّ في طِلابِها قَضاها

أجزاؤه إلاالضرب مكفوفة . وبيت الشكل[187] :

إنَّ سعداً بطلٌ ، مُمارِسٌ صابرٌ ، مُحْتَسِبٌ لما أصابَهْ

جزؤه الثاني والخامس مشكولان ، وفيهما الطرفان . ويدخل الخبنُ أيضًا في الضرب المقصور ، وبيته[188] .

أقْصَدَتْ كِسرى ، وأمسى قيصرٌ مُغلقاً ، مِنْ دونِهِ ، بابُ حَديدْ

فقوله بْحديدْ هو الضرب ، وزنه فَعِلانْ . ويدخل أيضًا الخبنُ في الضرب ، وبيته[189] :

واضِحاتٌ ، فارسيا تٌ ، وأُدْمٌ ، عَرَبِيّاتْ

فقوله عَرَبِيّاتْ هو الضرب ، وزنه فَعِلاتانْ . وهنا انقضت الدائرة الثالثة .

xxxxxxxxx

السريع : هو كما مر مبني في الدائرة من ستة أجزاء على هذه الصورة : مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ ، مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ . وله أربع أعاريض وستة أضرب ، العروض الأولى مطوية مكشوفة ، لها ثلاثة أضرب . الأول مطوي موقوف[190] ، وبيته[191] :

أزمانَ سَلْمى لايَرى مِثْلَها الرّا ؤونَ في شامٍ ، ولافي عراقْ

فقوله مِثْلَهَرْ هو العروض ، وزنه فاعِلُنْ ، وقوله في عِراقْ هو الضرب ، وزنه فاعِلانْ الضرب الثاني مثل العروض مكشوف مطوي ، وبيته[192] :

هاجَ الهوى رسمٌ بذاتِ الغَضَا مُخْلَوْلِقٌ مُسْتَعْجِمٌ مُحْوِلُ

فقوله يَلفَفْنَا هو العروض ، وقوله مُحْوِلُوْ هو الضرب ، وزن كل منهما فاعِلُنْ .

الضرب الثالث أصلم ، وبيته[١٩٣] :

قالَتْ ولم تقصدْ لِقيلِ الخَنَا   مَهْلاً فَقَدْ أبلغتَ أسماعِي

فقوله لِلْخَنَا هو العروض ، وزنه فاعِلُنْ ، وقوله ماعي (٤٨ أ) هو الضرب ، وزنه فَعْلُنْ باسكان العين .

العروض الثانية مكشوفة مخبولة ، لها ضرب واحد مثلها ، وبيته[١٩٤] :

النشرُ مِسْكٌ ، والوُجوهُ دَنا   نيرٌ وأطرافُ الأكفِّ عَنَمْ

فقوله هُدَنا هو العروض ، وقوله فِعَنَمْ هو الضرب ، وزن كل منهما فَعِلُنْ بتحريك العين .

العروض الثالثة مشطورة موقوفة ، وضربها مثلها ، وبيته[١٩٥] :

يَنْضَحْنَ في حافاتِهِ بالأبوالْ

فقوله بالأبوالْ وزنه مفعولانْ .

العروض الرابعة مشطورة مكشوفة ، ضربها مثلها ، وبيته[١٩٦] :

ياصاحِبَيْ رَحْلِي أقِلاَّ عَذلِي

فقوله لاعذلي وزنه مفعولُنْ .

ويدخل هذا البحرَ من الزحاف الخبنُ وهو صالح ، والطيُّ وهو حسن ، والخبلُ وهو قبيح . فبيت الخَبن[١٩٧] :

أرِدْ مِنَ الأمُورِ مايَنْبغي   وماتُطيقُهُ ومايَستقيمْ

كل مُسْتَفْعِلُنْ فيه مخبون . وبيت الطيّ[١٩٨] :

قالَ لها وَهْوَ بها عالمٌ   وَيْحَكِ أمثالُ طريفٍ قليل

كل مُسْتَفْعِلُنْ فيه مطوي . وبيت الخبل[١٩٩] :

وبلدٍ قطعهُ عامِرٌ   وجَمَلٍ نَحَرَهُ في الطَّريقْ

كل مُسْتَفْعِلُنْ فيه مخبول . ويدخل الخبن أيضا في المشطور الموقوف ، وبيته[٢٠٠] :

لابُدَّ مِنْهُ فاحذرنْ وارْقَيْنْ

فقوله تورَقَيْنْ وزنه فَعُولانْ .

ويدخل الخبن أيضاً في المشطور المكشوف ، وبيته[٢٠١] :

يارَبِّ ، إنْ أخطأتُ أو نسيتُ

وزنه فعُولُنْ .

تنبيه : أثبت بعضهم للعروض الثانية ضرباً أصلم كقوله[٢٠٢] :

ياأيُّها الزاري على عُمَرٍ   قد قلتَ فيه غيرَ ماتَعْلَمْ

وعلى ذلك مشى ابن السقاط[٢٠٣] وابن الحاجب وكثير من العروضيين[٢٠٤] . قال ابن بري[٢٠٥] : ويجوز اجتماع هذا الأصلم مع الضرب الآخر في قصيدة واحدة كقول المرقش[٢٠٦] :

النشرُ مِسْكٌ والوجوهُ دنا   نيرٌ وأطرافُ الاكفِّ عَنَمْ

مع قوله[٢٠٧] :

ليسَ على طولِ الحياةِ نَدَمْ   ومِن وراءِ المرءِ مايُعْلَمْ

xxxxxxxxxxx

المنسرح ، هو كما مر مبني في الدائرة من ستة أجزاء على هذه الصورة : مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ ، مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ . وله ثلاث أعاريض وثلاثة أضرب .

العروض الاولى صحيحة ، لها ضرب واحد مطوي ، وبيته[٢٠٨] :

إنَّ ابنَ زيدٍ لازالَ مُستعمِلاً   للخيرِ يُفشي في مِصْرِهِ العُرُفا

فقوله مُسْتَعْمِلَنْ هو العروض ، وزنه مُسْتَفْعِلُنْ ، وقوله هِلْعُرُفا هو الضرب ، وزنه مُفْتَعِلُنْ .

العروض الثانية منهوكة موقوفة ، وضربها مثلها ، وبيته[٢٠٩] :

صَبْراً بني عَبْدِ الدّار

فقوله عبدِ ندّار وزنه مَفْعُولاتْ.

العروض الثالثة منهوكة مكشوفة، وضربها مثلها، وبيته(٢١٠):

وَيْلُ اُمّ سَعْدٍ، سَعْداً

فقوله بِنْسَعْدن وزنه مَفْعُولُنْ.

(٤٨ ب) ويدخل هذا البحرَ من الزحاف الخبنُ، وهو صالح إلّا في مَفْعُولاتُ، فانه قبيح، والطيّ وهو حسن، ولايدخل في العروض إلّا الاولى لما يؤدي اليه من اجتماع خمس حركات، وهو لايتصور في شعر عربي أصلاً. والخبلُ وهو قبيح. فبيتُ الخبن(٢١١):

منازل عفاهُنّ بذي الأراكِ كلُّ وابلٍ مُسْبِلٍ، هَطِلٍ

اجزاؤه الا الضرب مخبونة. وبيت الطي(٢١٢):

إنّ سُمَيْراً أرَى عشيرتَهُ قد حَدِبوا دونَهُ وقد أَنِفُوا

أجزاؤه مطوية. وبيت الخبل(٢١٣):

وبلدٍ متشابهٍ سَمْتُهُ قَطَعَهُ رَجُلٌ على جَمَلِهْ

أجزاؤه ماعدا العروض والضرب مخبولة. وبيت الخبن في العروض الثانية(٢١٤):

لَمّا التقَوْا بسُولافْ

فقوله بِسُولافْ وزنه فَعُولانْ. وبيت الخبل في العروض الثالثة(٢١٥):

مابالدِّيارِ إنَسْ

فقوله رِإنَسُو وزنه فَعُولُنْ.

××××××××××

الخفيف: هو كما مر مبني في الدائرة من ستة أجزاء على هذه الصورة: فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلاتُنْ، فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلاتُنْ. وله ثلاث أعاريض وخمسة أضرب. العروض الاولى صحيحة، لها ضربان، الاول مثلها، وبيته(٢١٦):

حلَّ أهلي مابينَ دُرْنا فبادَو لي وحلّتْ عُلْويّةً بالسِّخالِ

فقوله نافَبادُو هو العروض، وقوله بسِّخالي هو الضرب، وزن كل منهما فَاعِلاتُنْ.

الضرب الثاني محذوف، وبيته(٢١٧):

ليت شعري هَلْ ثُمّ هل آتِيَنْهُمْ أم يحولنّ من دون ذاك الرَّدَى

فقوله آتِيَنْهُمْ هو العروض، وزنه فَاعِلاتُنْ، وقوله كرّدَى هو الضرب، وزنه فَاعِلُنْ.

العروض الثانية محذوفة، لها ضرب واحد مثلها، وبيته(٢١٨):

إنْ قَدَرْنا يوماً على عامرٍ نَنْتَصِفْ منهُ او نَدَعْهُ لَكُمْ

فقوله عامِرِن هو العروض، وقوله هُو لكُمْ هو الضرب، وزن كل منهما فاعِلُنْ. العروض الثالثة مجزوءة صحيحة، لها ضربان، الاول مثلها، وبيته(٢١٩):

ليتَ شعري ماذا تَرَى أُمُّ عمروٍ في أمرِنا

فقوله ماذا تَرَى هو العروض، وقوله في أمرِنا هو الضرب، وزن كل منهما مُسْتَفْعِ لُنْ. الضرب الثاني مقصور مخبون، وبيته(٢٢٠):

كلُّ خطبٍ إنْ لَمْ تكو نُوا غَضِبْتُمْ يَسِيرُ

فقوله: إنْ لم تكو هو العروض، وزنه مُسْتَفْعِلُنْ، وقوله يَسِيرُو هو الضرب، وزنه فَعُولُنْ.

ويدخل هذا البحر من الزحاف الخبنُ وهو حسن، والكفُّ وهو صالح، والشكلُ وهو قبيح، وفيه المعاقبة بين نون فَاعِلاتُنْ وسين مُستفع لنْ بعده، وبين نون مُسْتَفْعِ لُنْ والف فاعِلاتُنْ بعده، (٤٩ أ) فيُتصوَّر فيه الصدرُ والعجزُ والطرفان، فالخبن في مُسْتَفْعِ لُنْ صدرٌ، والكف فيه او في فَاعِلاتُنْ عجزٌ، والشكل في مُسْتَفْعِ لُنْ او فاعِلاتُنْ إذا وقع وسطاً طرفان(٢٢١). فبيت الخَبن(٢٢٢):

وفؤادي كعهده لسُلَيْمَى بهوى لم يَزَلْ ولم يتغيَّرْ

أجزاؤه كلها مخبونة . وبيت الكف(٢٢٣) :

ياعُمَرُ ماتُظْهِرُ من هواكَ أوتُكِنُّ يُسْتَكْثَرُ حينَ يَبْدُو

أجزاؤه إلّا الضرب مكفوفة . وبيت الشكل(٢٢٤) :

صَرَمَتْكَ أسماءُ بعدَ وصالـ ـها فأصبحتَ مُكْتَئِباً حَزِيناً

أجزاؤه الأول والثالث والخامس مشكولة .

ويدخل الضربَ الأول التشعيثُ ، وبيته(٢٢٥) :

إنَّ قومي جحاجحةٌ كرامٌ مُتَقادِمٌ عهدُهُم أخيارُ

فقوله أخيارُوا هو الضرب ، وزنه مفعُولُنْ ، وفيه ايضا الشكل بالجزء الثاني والرابع ، وفي كل منهما الطرفان .

ويدخل الخبنُ في الضرب المحذوف ، وبيته(٢٢٦) :

والمنايا من بين سارٍ وغادٍ كلُّ حيٍّ في حبلها عَلِقُ

فقوله عَلِقُو وزنه فَعِلُنْ . ويدخل ايضاً في العروض الثانية وضربها المحذوفين ، وبيته(٢٢٧) :

بينما نحنُ بالمقيَّرِ معاً إذ أتى راكبٌ على جَمَلِهْ

فقوله قِمْمَنْ هو العروض ، وقوله جَمَلِهْ هو الضرب ، وزن كل منهما فَعِلُنْ .

xxxxxxxxx

المضارع : هو كما مر مبني في الدائرة من ستة أجزاء على هذه الصورة : مُفاعِيلُنْ فَاعِ لَاتُنْ مفاعيلن ، مَفَاعِيلُنْ فَاعِ لَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ . وله عروض واحدة وضرب واحد ، فالعروض مجزوءة صحيحة ، وضربها مثلها ، وبيته(٢٢٨) :

دَعاني الى سُعادٍ دَواعي هوى سُعادِ

فقوله لاسُعادِنْ هو العروض ، وقوله واسُعادِ هو الضرب ، وزن كل منهما فَاعِ لَاتُنْ ، وهي مفروقة الوتد لما مر .

وبين ياء مَفَاعِيلُنْ ونونها في هذا البحر مراقبة كما سبق ، فلا يثبتان معاً لايحذفان معاً ، بل يجب حذف أحدهما ، والبيت المتقدم شاهد على الكف وهو حذف النون من مَفَاعِيلُنْ(٢٢٩) .

وبيت القبض(٢٣٠) :

وقد رأيتُ الرجالَ فلا أرَى مِثْلَ زَيْدِ

وفيه أيضاً شاهد على الكف في العروض . ويدخل الجزء الاول من هذا البحر الشترُ والخربُ ، فبيت الشتر(٢٣١) :

سوفَ أهدي لِسَلْمَى ثناءً على ثناءِ

فقوله سوفَ أهْ وزنه فَاعِلُنْ ، دخله الشتر(٢٣٢) .

وبيت الخرب(٢٣٣) :

إنْ تَدْنُ منهُ شبراً يُقَرِّبْكَ منهُ باعا

فقوله إنْ تَدْنُ وزنه مَفْعُولُ .

فائدة : المضارع والمقتضب قليلان ، حتى انه لاتوجد منهما قصيدة لعربي ، وانما يُرْوَى من كل واحد منهما البيت والبيتان ، قاله الزجاج(٢٣٤) ، وأنكرهما الأخفش رأساً . وزعم أنهما لم يوجد منهما شيء في شعر العرب أصلاً(٢٣٥) .

xxxxxxxxx

المقتضب : هو كما مر مبني في الدائرة من ستة أجزاء على هذه الصورة : مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ ، مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ(٢٣٦) . وله عروض واحدة وضرب واحد ، وكلاهما مجزوء مطوي ، وبيته(٢٣٧) :

(٤٩٦ ب)

أقْبَلَتْ فلاحَ لها عارضانِ كالبَرَدِ

فقوله لاحَ لها هو العروض ، وقوله كالبَرَدِ هو الضرب ، وزن كل منهما مُفْتَعِلُنْ . وفي هذا البحر المراقبة بين فاء مَفْعُولَاتُ وواوها ، فلا يحذفان معاً ولايثبتان معاً .

ويدخل هذا البحر من الزحاف الخبنُ والطيّ في مَفْعُولَاتُ ، وأمّا العروض والضرب فقد مرَّ أنَّ طيّهما واجب ،

وبيت الزحاف في مَفْعُولاتُ(٢٣٨) :

أتانا مُبشِّرُنا بالبيانِ والنُّذُر

فقوله أتانامْ وزنه فعُولاتُ ، وقوله بالبيان وزنه فاعِلاتُ .

×××××××××

المجتث : هو كما مر مبني في الدائرة من ستة اجزاء على هذه الصورة : مُسْتَفْعِ لُنْ فاعِلاتُنْ فاعِلاتُنْ ، مُسْتَفْعِ لُنْ فاعِلاتُنْ فاعِلاتُنْ(٢٣٩) . وله عروض واحدة وضرب واحد ، وبيته(٢٤٠) :

البطنُ منها خميصٌ والوَجهُ مِثلُ الهلالِ

ويجري في هذا البحر ماجرى في الخفيف من خبنٍ وكفٍّ وشكل ، وتجري فيه المعاقبة والصدر والعجز والطرفان .

والمعاقبة هنا بين نون مُسْتَفْعِ لُنْ والف فاعِلاتُنْ . وحذف الف فاعِلاتُنْ اولى لاعتمادها على وتد مجموع بَعْدِيٍّ .

وتقع بين نون فاعِلاتُنْ وسين مُسْتَفْعِ لُنْ . قال بعضهم(٢٤١) : ويمكن ان يكون حذف النون اولى ، لان الوتد الذي اعتمدت عليه السين وان كان بَعْدِيّاً فإنه مفروق .

وقد ظهر بما ذكر تصور الطرفين . وبيت الخبن(٢٤٢) :

ولو عَلِقْتَ بِسَلْمَى عَلِمْتَ أنْ ستموتُ

أجزاؤه كلها مخبونة . وبيت الكف(٢٤٣) :

ما كانَ عطاؤُهُنَّ وإلّا عِدَةً ضِمارا

أجزاؤه مكفوفة إلاالضرب . وبيت الشكل(٢٤٤) :

أولئكَ خيرُ قومٍ إذا ذُكِرَ

الجزء الاول والثالث كل منهما مشكول ، لكن الطرفان في الثالث ، والعجز في الاول .

وقد مر في باب ما أجري من العلل مُجْرَى الزحاف التنبيه على أنّ التشعيث يدخل في ضرب المجتث ، ويجوز احتماعه بجزء آخر غير مُشَعَّثٍ لاجرائهِ مُجْرَى الزحاف ، وبيته(٢٤٥) :

لم لايَعي ماأقولُ ذا السيّدُ المأمولُ الخيارُ

فقوله مأمولو هو الضرب ، وزنه مَفْعُولُنْ . ولايجوز خبن هذا الجزء المشعث لما مرّ في الخفيف .

××××××××××

المتقارب : هو كما مرّ مبني في الدائرة من ثمانية أجزاء على هذه الصورة : فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ ، فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ . وله عروضان وستة أضرب ، فالعروض الأولى تامة لها أربعة أضرب . الأول مثلها ، وبيته(٢٤٦) :

فأمّا تميمٌ تميمُ بنُ مُرّةَ فألفاهُمُ القومُ رُوبَى نِياما

فقوله نُمُرْرَنْ هو العروض ، وقوله نِياما (٥٠ أ) هو الضرب ، وزن كل منهما فَعُولُنْ .

الضرب الثاني مقصور ، وبيته(٢٤٧) :

ويأوي الى نسوةٍ بائساتٍ وشُعْثٍ مراضيعَ مثلِ السَّعالْ

فقوله نِساتِنْ هو العروض ، وزنه فَعُولُنْ ، وقوله سَعالْ هو الضرب ، وزنه فَعُولْ .

الضرب الثالث محذوف ، وبيته(٢٤٨) :

وأروي من الشعرِ شعراً عويصاً يُنَسِّي الرواةَ الذي قد رَوَوْا

فقوله عويصن هو العروض ، وزنه فَعُولُنْ ، وقوله رَوَوْا هو الضرب ، وزنه فَعَلْ .

الضرب الرابع أبتر ، وبيته(٢٤٩) :

خليليَّ عوجا على رسمِ دارٍ خَلَتْ من سُلَيْمَى ومن مَيَّهْ

فقوله مِدارِنْ هو العروض ، وزنه فَعُولُنْ ، وقوله يَهْ هو الضرب ، وزنه فَلْ او فَعْ على خلاف .

العروض الثانية مجزوءة محذوفة ، لها ضربان ، الاول مثلها ، وبيته(٢٥٠) :

أمِنْ دِمْنَةٍ أقْفَرَتْ لِسَلْمَى بذاتِ الغضا

فقوله فَرَتْ هو العروض ، وقوله غضا هو الضرب ، وزن كل منهما فَعَلْ . الضرب الثاني ابتر ، وبيته(٢٥١) :

تَمَكَّنْ ولاتبتئِسْ فما يُقضَ ياتيكا

فقوله تَئِسْ هو العروض ، وزنه فَعِلْ ، وقوله كاهو الضرب ، وزنه فَلْ او فَعْ .

ويدخل هذا البحر من الزحاف القبض الا في الجزئين اللذين قبل الضربين الأبترين ، وهما الضرب الرابع والضرب السادس ، فانه لايدخلهما . وهل القبض في هذا البحر احسن من التام لكثرته فيه ، او التمام احسن لان الاول تكثر فيه السواكن ؟ قولان[٢٥٢] .

وبيت القبض[٢٥٣] :

افاذ فجاذ وساذ فزاذ وقاذ فذاذ وعاذ فأفْضَلْ

أجزاؤه إلّا الضرب مقبوضة .

ويدخل في الجزء الاول من البيت من هذا البحر الثلم والثرم . فبيت الثلم[٢٥٤] :

لولا خداشٌ أخذتُ جِمالا تِ بكرٍ ولم أُعْطِهِ ماعليها

فقوله لولا أثلم ، وزنه فَعْلُنْ باسكان العين . وبيت الثرم[٢٥٥] :

قلتُ سداداً لِمَنْ جاءني فأَحسنتُ قولًا وأَحسنتُ رأيا

فقوله قلتُ أثرم ، وزنه فَعْلُ . وفي هذا البيت شاهد على جواز دخول الحذف في العروض ، لان قوله أني هو العروض ، وزنه فَعِلْ

والله تعالى أعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب [illegible] محمد وآله وسلم خير آلٍ وأصحاب ، سبحان الله والحمد لله ولا إله الا [illegible] العظيم .

× × × ×

هوامش النص

(٩٠) لمهلهل بن ربيعه ، الاغاني ٥٩/٥ . وينظر الكتاب ٢١٥/٢ ، والحور العين ٥٣ .

(٩١) بلا عزو في الوافي ٤٨ – ٤٩ ، واللسان (قصر) ، والعيون الغامزة ١٥١ .

(٩٢) بلا عزو في العقد الفريد ٤٧٨/٥ ، والعيون الغامزة ١٥٢ .

(٩٣) بلا عزو في الوافي ٥٠ ، واللسان (بتر ، ذلف ، قطع) .

(٩٤) لطرفة بن العبد ، ديوانه ٧٥ .

(٩٥) لعدي بن زيد ، ديوانه ١٠٠ .

(٩٦) ينظر العيون الغامزة ١٥٢ .

(٩٧) بلا عزو في الاقناع ١٤ ، والمعيار ٤٠ .

(٩٨) بلا عزو في العقد الفريد ٤٧٨/٥ ، والوافي ٥٥ .

(٩٩) ينظر العيون الغامزة ١٥٣ .

(١٠٠) بلا عزو في الاقناع ١٥ ، والكافي ١٢٤ .

(١٠١) بلا عزو في الاقناع ١٥ ، والعيون الغامزة ١٥٣ .

(١٠٢) ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ، عالم العربية ، وواضع علم العروض ، وعنه اخذ سيبويه توفي سنة ١٧٠ هـ . وقيل غير ذلك . (مراتب النحويين ٥٤ ، طبقات النحويين ٤٧ ، نزهة الالباء ٤٧) .

(١٠٣) ابو الحسن سعيد بن مسعدة ، تلميذ سيبويه ، واحد علماء البصرة في اللغة والادب ، توفي سنة ٢١١ هـ . وقيل ٢١٥ (انباه الرواة ٣٦/٢ – ٤٣ ، بغية الوعاة ٥٩٠/١ – ٥٩١) . وينظر رايه في العيون الغامزة ١٥٣ – ١٥٤ .

(١٠٤) لزهير بن ابي سلمى ، شعره ٨٧ .

(١٠٥) لامرىء القيس ، ديوانه ٢٢٥ .

(١٠٦) للاسود بن يعفر ، ديوانه ٦٩ .

(١٠٧) نسب الى الاسود في اللسان (خلع) وفي (خلق) الى المرقش . ويروى : على رسم عفا ، مكان : على ربع خلا . وينظر الاقناع ١٧ ، والوافي ٦٠ .

(١٠٨) بلا عزو في الوافي ٦١ ، والمعيار ٤٤ ، والعيون الغامزة ١٥٧ .

(١٠٩) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٠/٥ ، والوافي ٦٢ .

(١١٠) ينظر العيون الغامزة ١٥٨ .

(١١١) بلا عزو في العقد الفريد ٤٧٩/٥ ، ويروى صدره فيه : لقد خلت صروفها عجب

وينظر للاقناع ١٩ ، والوافي ٦٣ .

(١١٢) بلا عزو في العقد الفريد ٤٧٩/٥ ، والاقناع ١٩ ، والعيون الغامزة ١٥٨ . ويروى البيت : فانطلقوا ، مكان : وانطلقوا وبكراً ، مكان : سحراً .

(١١٣) بلا عزو في الاقناع ٢٠ ، والمعيار ٤٥ .
(١١٤) بلا عزو في الوافي ٦٥ ، والعيون الغامزة ١٥٩ .
(١١٥) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٠/٥ برواية : حسن الوصال . وينظر الاقناع ٢٠ وشرح تحفة الخليل ١٣٤ .
(١١٦) بلا عزو في الاقناع ٢١ ، والعيون الغامزة ١٥٩ .
(١١٧) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٠/٥ ، وشرح تحفة الخليل ١٤٣ .
(١١٨) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٠/٥ ، والوافي ٦٧ .
(١١٩) ينظر العيون الغامزة ١٥٩ .
(١٢٠) لامرىء القيس ، ديوانه ١٣٦ برواية :
أَلاَ إِنْ لاتكن إِبِلٌ فَمِعْزَى كأنَّ قرونَ جلَّتِها العِصِيُّ
وينظر العقد الفريد ٤٨٠/٥ ، والعيون الغامزة ١٦٢ .
(١٢١) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨١/٥ ، والوافي ٧٤ .
(١٢٢) بلا عزو في الاقناع ٢٤ ، والعيون الغامزة ١٦٥ .
(١٢٣) لعمرو بن معد يكرب ، ديوانه ١٤٢ .
(١٢٤) بلا عزو في العقد الفريد ، ٤٨١/٥ ، والوافي ٧٩ ، والعيون الغامزة ١٦٦ . ويروى : لفرتني ، مكان : لقوعنا .
(١٢٥) بلا عزو في الاقناع ٢٥ ، والقسطاس ١٣٠ .
(١٢٦) للحطيئة ، ديوانه ٨٨ ، وفيه : بجار قوم ، مكان بدار قوم . وينظر الزاهر ٣١٥/٢ .
(١٢٧) بلا عزو في الاقناع ٢٦ ، والوافي ٨٠ – ٨١ .
(١٢٨) بلا عزو في الوافي ٨٢ ، والمعيار ٥٠ ، والعيون الغامزة ١٦٧ .
(١٢٩) بلا عزو في الاقناع ٢٧ ، واللسان (عقص) .
(١٣٠) لعنترة ، ديوانه ٢٠٧ .
(١٣١) للاخطل ، ديوانه ٤٣ .
(١٣٢) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٢/٥ ، والعيون الغامزة ١٧١ .
(١٣٣) بلا عزو في الوافي ٨٦ ، والقسطاس ١٤٠ ، والعيون الغامزة ١٧١ .
(١٣٤) لزهير بن ابي سلمى ، شعره ١١٦ ، ويروى صدره فيه :
وننعم حَشوُ الدرعِ أنتَ إذا
وينسب الى المسيب بن علس في حياته وشعره ٦٥ ، والى اوس ابن حجر في ديوانه ١٣٩ .
(١٣٥) للحطيئة ، ديوانه ٥٨ .
(١٣٦) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٣/٥ ، واللسان (ذيل) .
(١٣٧) بلا عزو في الاقناع ٣٢ ، والمعيار ٥٣ .
(١٣٨) الزيادة من مصادر التخريج .
(١٣٩) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٣/٥ ، والعيون الغامزة ١٧٢ .
(١٤٠) لعنترة ، ديوانه ٢٤٨ .
(١٤١) ينظر العيون الغامزة ١٧٣ .
(١٤٢) بلا عزو في الوافي ٩٥ ، واللسان (وقص) والعيون الغامزة ١٧٣ .
(١٤٣) بلا عزو في الاقناع ٣٣ ، والوافي ٩٥ – ٩٦ ، واللسان (خزل) .
(١٤٤) ينظر العيون الغامزة ١٧٣ .
(١٤٥) للحطيئة ، ديوانه ٥٦ ، وفيه : المرزتني ، بدلا من : وغررتني . وينظر الوافي ٩٦ ، وشرح تحفة الخليل ١٦٦ .
(١٤٦) بلا عزو في الاقناع ٣٤ ، والوافي ٩٧ .
(١٤٧) بلا عزو في الوافي ٩٧ ، والعيون الغامزة ١٧٥
(١٤٨) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٣/٥ ، والوافي ٩٨ .
(١٤٩) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٣/٥ ، والعيون الغامزة ١٧٥ .
(١٥٠) بلا عزو في الاقناع ٣٥ ، والوافي ٩٩ .
(١٥١) للاخطل ، ديوانه ١٥٨ .
(١٥٢) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٤/٥ ، والاقناع ٣٦ وفيهما : وابو الحليس .
(١٥٣) لطرفة بن العبد ، ديوانه ١٥٤ . وينظر معجم البلدان ٢٥٥/١
(١٥٤) بلا عزو في القسطاس ١٥٨ ، والعيون الغامزة ١٧٨ .
(١٥٥) بلا عزو في الوافي ١٠٩ ، والمعيار ٦٠ .
(١٥٦) لعبد الله بن الزبعرى ، الاغاني ٦١/١ – ٦٢ . وينظر اللسان (كثب) .
(١٥٧) بلا عزو في الاقناع ٣٩ ، والعيون الغامزة ١٧٨ ، وشرح تحفة الخليل ١٨٨ .
(١٥٨) بلا عزو في الاقناع ٤٠ ، والوافي ١١٢ ، والعيون الغامزة ١٧٩ . ويروى : جمعوا ، مكان : خلفوا .
(١٥٩) بلا عزو في الاقناع ٤٠ ، والقسطاس ١٦١ ، والعيون الغامزة ١٧٩ ، ويروى : ابو عمرو ، وابو بشر .
(١٦٠) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٥/٥ ، والوافي ١١٣ .
(١٦١) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٥/٥ ، والعمدة ١٨٢/١ .
(١٦٢) بلا عزو في العمدة ١٨٢/١ ، والوافي ١١٥ ، والعيون الغامزة ١٨٣ .
(١٦٣) للعجاج ، ديوانه ٧ .
(١٦٤) في العمدة ١٨٤/١ لدريد بن الصمة ، وفي اللسان (جذع) لورقة بن نوفل . وينظر القسطاس ١٧١ .
(١٦٥) بلا عزو في الاقناع ٤٣ ، والوافي ١١٧ .
(١٦٦) عبد الله بن بري عالم في العربية ، له مؤلفات في اللغة والنحو ، توفي سنة ٥٨٢ هـ . (بغية الوعاة ٣٤/٢ ، والاعلام ٧٣/٤) . وينظر رأيه في العيون الغامزة ١٨٣ .
(١٦٧) بلا عزو في العقد الفريد ٤٨٥/٥ ، والقسطاس ١٦٥ .
(١٦٨) بلا عزو في الاقناع ٤٤ ، والوافي ١١٩ ، والعيون الغامزة ، ويروى : سبق خير تؤده ، مكان : منع خير تؤده .
(١٦٩) بلا عزو في الاقناع ٤٤ ، والوافي ١١٩ ، وشرح تحفة الخليل ٢٠١ .
(١٧٠) اي هو الجزء الثالث . العيون الغامزة ١٨٦ .
(١٧١) ينظر العيون الغامزة ١٨٦ ، والجوهرة ٣٩ ، ٤٠ .
(١٧٢) ابو عمرو عثمان بن عمر ، جمال الدين ابن الحاجب ، من كبار العلماء بالعربية ، توفي سنة ٦٤٦ هـ . (بغية الوعاة ١٣٤/٢ – ١٣٥ ، ابن الحاجب النحوي (المقدمة) .
(١٧٣) ينظر العيون الغامزة ١٨٦ .
(١٧٤) المصدر السابق ١٨٥ – ١٨٦ .
(١٧٥) بلا عزو في العيون الغامزة ١٨٧ .
(١٧٦) بلا عزو في العيون الغامزة ١٨٨ .
(١٧٧) ينظر العيون الغامزة ١٨٨ .
(١٧٨) بدر الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الدماميني ،

ناظم نحوي ، عروضي ، فقيه ، توفي سنة ٨٢٧ او ٨٢٨ هـ . (الضوء اللامع ٧/١٨٤ ،حسن المحاضرة ٢/٥٣٨ ، والمنهل الصافي (الدراسة) . وينظر قوله في العيون الغامزة ١٨٨ .

(١٧٩) لعبيد بن الابرص ، ديوانه ١١٥ .

(١٨٠) لعدي بن زيد ، ديوانه ٩٣ ، وفيه : وانتظاري ، وينظر الاقناع ٤٥ ، واللسان قصر .

(١٨١) لامرىء القيس ، ديوانه ٢٩٣ .

(١٨٢) بلا عزو في الاقناع ٤٩ ، والوافي ١٢٤ .

(١٨٣) للنابغة الذبياني ، ديوانه ٥٤ .

(١٨٤) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٨٨ ، والمعيار ٦٦ ، والعيون الغامزة ١٩٢ .

(١٨٥) بلا عزو في الاقناع ٤٨ ، والوافي ١٢٧ .

(١٨٦) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٨٧ ، والعيون الغامزة ١٩٣ .

(١٨٧) بلا عزو في الاقناع ٤٩ ، والوافي ١٢٨ - ١٢٩ .

(١٨٨) بلا عزو في الاقناع ٤٩ ، والوافي ١٢٩ .

(١٨٩) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٨٨ ، والوافي ١٣٠ ، والعيون الغامزة ١٩٣ .

(١٩٠) الموقوف : ماسكن متحرك وتده المفروق كان اصله مفعولاتُ فطوي ، فبقي مفعولات ، فسكنت التاء فبقي مفعلاتْ ، فنقل الى فاعِلان . وسمي موقوفاً لانك وقفت على حركته . الوافي ١٣٨ .

(١٩١) بلا عزو في الكامل ١/٢٤٧ ، والعيون الغامزة ١٩٥ .

(١٩٢) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٨٨ ، والوافي ١٣٩ .

(١٩٣) لابي قيس بن الاسلت ، شرح اختيارات المفضل ٣/١٢٣٢ - ١٢٣٣ .

(١٩٤) للمرقش الاكبر ، المفضليات ٢٣٨ .

(١٩٥) للعجاج ، ديوانه ٢/٣٢٢ .

(١٩٦) بلا عزو في الاقناع ٥٣ ، والعيون الغامزة ١٩٧ .

(١٩٧) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٨٨ ، وشرح تحفة الخليل ٢٣٠ .

(١٩٨) للحطيئة ديوانه ، ٢٩٧ ، ويروى صدره فيه : قلتُ لها اصبرها صادقاً . ينظر العيون الغامزة ١٩٧ .

(١٩٩) بلا عزو في الاقناع ٥٥ ، والقسطاس ١٩٠ ، والوافي ١٤٤ ، وفيها : حسره ، مكان : نحره .

(٢٠٠) لابي ميمون النضر بن سلمة العجلي ، شرح اختيارات المفضل ٢/٧١٥ برواية : لابُدَّ منه فانحدرَنْ وارقَيَنْ .

(٢٠١) ينسب الى رؤبة في ديوانه ٢٥ ، واللسان (خطا) ، والى العجاج في ديوانه ٢/١٨٢ .

(٢٠٢) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٨٩ ، والوافي ١٤٥ ، واللسان (زكي) .

(٢٠٣) ابو عبد الله محمد بن علي بن خالد الانصاري ، فقيه ، ومقرىء ، وعروضي . من آثاره : النموض من مسائل العروض ، لم نقف له على سنة وفاة ، غير ان صاحب معجم المؤلفين ذكر انه من رجال القرن الثاني عشر الهجري ، وهذا مستبعد ، اذ ان وفاة صاحب هذا الكتاب عبد الملك الاسفرايني هي ١٠٣٧ هـ . فيحتمل ان تكون وفاته في القرن الحادي عشر الهجري . تنظر ترجمته في : ايضاح المكنون ٢/١٤٧ ، ومعجم المؤلفين ١١/٦ .

(٢٠٤) العيون الغامزة ١٩٨ .

(٢٠٥) المصدر السابق ١٩٨ .

(٢٠٦) تقدم تخريجه في الهامش ١٩٤ .

(٢٠٧) للمرقش في المفضليات ٢٣٩ ، وشرح اختيارات المفضل ٢/١٠٦١ .

(٢٠٨) بلا عزو في الوافي ١٤٦ ، والعيون الغامزة ٢٠٠ .

(٢٠٩) لهند بنت عتبه ، سيرة ابن هشام ٣/١٣ .

(٢١٠) لأم سعد بن معاذ ، سيرة ابن هشام ٣/٢٧٢ .

(٢١١) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٩٠ ، والمعيار ٧٦ .

(٢١٢) لمالك بن العجلان الخزرجي في الاغاني ٣/٢٠ . وينظر الحور العين ٦٦ .

(٢١٣) بلا عزو في الاقناع ٥٨ ، والوافي ١٥١ ، والعيون الغامزة ٢٠٢ .

(٢١٤) بلا عزو في الوافي ١٥٢ ، والقسطاس ١٩٨ .

(٢١٥) بلا عزو في الاقناع ٥٩ ، والوافي ١٥٢ ، وفيهما : هل بالديار اشيُ .

(٢١٦) للاعشى ، ديوانه ٣ . ورواية صدره فيه :

حلّ اهلي بطن الغميس فبادو لي ...

وينظر العقد الفريد ٥/٤٩١ ، ومعجم البلدان ٣/١٩٦

(٢١٧) البيت للكميت بن زيد في شرح الهاشميات ٣٤ ، وفيه : حمامي ، مكان : الردى . ونسبه السيوطي في شرح شواهد المغني ٢/٧٧١ الى الكميت بن معروف برواية : حمامُ وقال : ويروى بدله : الردى . وينظر الوافي ١٥٤ ، ومغني اللبيب ٤٥٨ .

(٢١٨) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٩١ ، والوافي ١٥٥ .

(٢١٩) بلا عزو في الاقناع ٦١ ، والقسطاس ٢٠٦ ، والعيون الغامزة ٢٠٥ .

(٢٢٠) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٩٣ ، والمعيار ٧٩ .

(٢٢١) ينظر العيون الغامزة ٢٠٥ .

(٢٢٢) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٩١ ، والقسطاس ٢٠٣ .

(٢٢٣) بلا عزو في الوافي ١٥٩ ، والعيون الغامزة ٢٠٦ ، وفيهما اوتجُنَّ ، مكان : اويُكن .

(٢٢٤) بلا عزو في الوافي ١٦٠ ، والمعيار ٨٠ .

(٢٢٥) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٩١ ، والوافي ١٦٢ .

(٢٢٦) بلا عزو في الاقناع ٦٤ ، والوافي ١٦٠ .

(٢٢٧) لجميل بثينة ، ديوانه ١٨٨ ، وفيه : بالأراك ، بدلا من : بالعقيق .

(٢٢٨) بلا عزو في العقد الفريد ٥/٤٩٢ ، والعيون الغامزة ٢٠٧ .

(٢٢٩) ينظر العيون الغامزة ٢٠٧.

(٢٣٠) بلا عزو في الاقناع ٦٦ ، والمعيار ٨٤ .

(٢٣١) بلا عزو في الاقناع ٦٦ ، والعيون الغامزة ٢٠٨ .

(٢٣٢) الشترهو اجتماع الخرم والقبض . ينظر العيون الغامزة ٢٠٨ .

(٢٣٣) بلا عزو في الوافي ١٦٥ ، وشرح تحفة الخليل ٢٦٨ .

(٢٣٤) ابو اسحاق ابراهيم بن السري ، ت ٣١١ هـ . (تاريخ بغداد ٦/٨٩ ، ومعجم الادباء ١/١٣٠ ، وطبقات المفسرين ١/١٧) .

(٢٣٥) ينظر الكافي ٢٢٠ ، والوافي ١٦٣ ، والعيون الغامزة ٢٠٩ .

(٢٣٦) ورد في الاصل : مفعولات مستفعلن مفعولات مفعولات مستفعلن مفعولات . وما اثبتناه من كتب العروض المعتمدة في التحقيق .

(٢٣٧) بلا عزو في الوافي ١٦٧، والعيون الغامزة ٢١٠.
(٢٣٨) بلا عزو في الكافي ٢٢٦، والعيون الغامزة ٢١١.
(٢٣٩) ورد في الاصل: مستفع لن فاعلاتن مستفع لن مستفع لن فاعلاتن مستفع لن، وماثبتناه من كتب العروض المعتمدة في التحقيق.
(٢٤٠) بلا عزو في الاقناع ٦٨، والوافي ١٧٠.
(٢٤١) هو بدر الدين الدماميني كما في العيون الغامزة ٢١٣.
(٢٤٢) بلا عزو في العقد الفريد ٤٩٣/٥، والوافي ١٧٢.
(٢٤٣) لا عزو في الاقناع ٦٩، والعيون الغامزة ٢١٣.
(٢٤٤) بلا عزو في الاقناع ٦٩، والوافي ١٧٣.
(٢٤٥) بلا عزو في الاقناع ٦٩، والوافي ١٧٣.
(٢٤٦) لبشر بن ابي خازم، ديوانه ١٩٠.
(٢٤٧) لامية بن ابي عائذ، شرح اشعار الهذليين ٥٠٧/٢ برواية:
له نسوةٌ عاطلاتُ الصدو رِعوجٌ مراضيعُ مثلُ السعالي
وينظر العقد الفريد ٤٩٤/٥، والعيون الغامزة ٢١٦.
(٢٤٨) بلا عزو في الاقناع ٧٣، والوافي ١٨٥، واللسان (عوص)
(٢٤٩) بلا عزو في العقد الفريد ٤٩٤/٥، والمعيار ٩١.
(٢٥٠) بلا عزو في الاقناع ٧٤، والوافي ١٨٨.
(٢٥١) بلا عزو في الاقناع ٧٤، والوافي ١٨٩، والعيون الغامزة ٢١٧.
وقد اثبتت الياء الثانية في (يأتيكا) وهو مجزوم، للضرورة.
(٢٥٢) القولان: قول للخليل، وقد خالفه الاخفش والزجاج في القول الاخر. ينظر العيون الغامزة ٢١٧ - ٢١٩.
(٢٥٣) لامرىء القيس، ديوانه ٤٧١.
(٢٥٤) بلا عزو في الاقناع ٧٥، والوافي ١٩١، وفيهما: سعد مكان بكر.
(٢٥٥) بلا عزو في العقد الفريد ٤٩٤/٥، والاقناع ٧٥.

فهرست المصادر والمراجع

ابن الحاجب النحوي، آثاره ومذهبه: طارق عبد عون الجنابي، دار التربية، بغداد ١٩٧٢.
الاعلام: الزركلي، خير الدين، ت ١٩٧٦، الطبعة الثانية ١٩٥٦.
الاغاني: ابو الفرج الاصبهاني، علي بن الحسين، ت نحو ٣٦٠ هـ، طبعة دار الكتب المصرية.
الاقناع في العروض وتخريج القوافي: الصاحب بن عباد، ت ٣٨٥ هـ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٠.
انباه الرواة على انباه النحاة: القفطي، جمال الدين، علي ابن يوسف، ت ٦٤٦ هـ، تحقيق ابي الفضل ابراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥ - ١٩٧٣.
انوار الربيع في انواع البديع: ابن معصوم، صدر الدين، علي ابن احمد، ت ١١٢٠ هـ، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الاشرف ١٩٦٩.
ايضاح المكنون: البغدادي، اسماعيل باشا، ت ١٣٣٩ هـ، استانبول ١٩٤٥.
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: الشوكاني، محمد ابن علي بن محمد، ت ١٢٥٠ هـ، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٤٨ هـ.
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن ابي بكر، ت ٩١١ هـ، تحقيق ابي الفضل ابراهيم الحلبي بمصر ١٩٦٤.
بلوغ المرام من حل قطر ابن هشام: الاسفراييني، عبد الملك بن جمال الدين العصامي الاسفراييني، ت ١٠٣٧ هـ، تحقيق هيام فهمي ابراهيم، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الاداب ١٩٩٠.
تاج العروس: الزبيدي، محمد مرتضى، ت ١٢٠٥ هـ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ.
تاريخ الادب العربي: بروكلمان، ت ١٩٥٦ هـ، (بالالمانية).
تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، احمد بن علي، ت ٤٦٣ هـ، مطبعة السعادة بمصر.
الجوهرة في العروض والقافية: الشهابي، ياسين بن حمزة، كان حيا سنة ١٠٨٦ هـ، تحقيق د. عبد الحسين المبارك وفاخر جبر مطر، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة ١٩٨٧م.
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: السيوطي، تحقيق ابي الفضل ابراهيم، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٧.
الحور العين: ابو سعيد بن نشوان الحميري، ت ٥٧٣ هـ، تحقيق كمال مصطفى، طهران ١٩٧٢.
خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر: المحبي، محمد امين ابن فضل الله، ت ١١١١ هـ، بيروت.
ديوان الاخطل: تحقيق صالحاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩١.
ديوان الاسود بن يعفر: تحقيق د. نوري حمودي القيسي، بغداد ١٩٧٠
ديوان الاعشى: تحقيق د. محمد محمد حسين، مكتبة الاداب، الجماميز، المطبعة النموذجية، مصر.
ديوان امرئ القيس: تحقيق ابي الفضل ابراهيم، مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٨٤.
ديوان اوس بن حجر: تحقيق د. محمد يوسف النجم، بيروت ١٩٦٠
ديوان بشر بن ابي خازم: تحقيق د. عزة حسن، دمشق ١٩٦٠.
ديوان جميل بثينة: تحقيق د. حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة.
ديوان الحطيئة: تحقيق د. نعمان امين طه. مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٧.
ديوان رؤبة (مجموع اشعار العرب) نشره وليم بن الوورد البروسي، برلين ١٩٠٣.
دوان طرفة بن العبد (بشرح الاعلم الشنتمري) طبعة برطرند، شالون ١٩٠٠ م

ديوان عبيد بن الابرص ؛ تحقيق د. حسين نصار القاهرة ١٩٥٧ .

ديوان العجاج ؛ نشره وليم الوورد ، ليبسيغ ١٩٠٢ .

ديوان عدي بن زيد ؛ تحقيق محمد جبار المعيبد ، بغداد ١٩٦٥ .

ديوان عمرو بن معد يكرب ؛ صنعة هاشم الطعان ، المؤسسة العامة للصحافة ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ١٩٧٠ .

ديوان عنترة بن شداد ؛ تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي ، دمشق ١٩٧٠ .

ديوان النابغة الذبياني ؛ (صنعة ابن السكيت) تحقيق د. شكري فيصل ، بيروت ١٩٦٨ .

ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا ؛ الخفاجي ، شهاب الدين احمد ابن محمد بن عمر ، ت ١٠٦٩ هـ ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٧ .

الزاهر في معاني كلمات الناس ؛ ابن الانباري ، ابو بكر محمد ابن القاسم ، ت ٣٢٨ هـ ، تحقيق د. حاتم الضامن ، بغداد ١٩٧٩ .

سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ؛ ابن معصوم ، الدوحة ١٩٦٣ .

سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ؛ عبد الملك العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ، ت ١١١١ هـ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٠ هـ .

السيرة النبوية ؛ ابن هشام ، ابو محمد ، عبد الملك ، ت ٢١٣ هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة .

شذرات الذهب ؛ ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي ، ت ١٠٨٩ هـ ، مكتبة القدسي بمصر ١٣٥٠ هـ .

شرح اختيارات المفضل ؛ الخطيب التبريزي ، يحيى بن علي الخطيب ، ت ٥٠٢ هـ ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٧ .

شرح اشعار الهذليين ؛ (صنعة السكري) ، الحسن بن الحسين ، ت ٢٧٥ هـ ، تحقيق احمد فراج ، دار العروبة بمصر ١٩٦٥ .

شرح تحفة الخليل في العروض والقافية ؛ عبد الحميد الراضي ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٥ .

شرح ديوان لبيد ؛ تحقيق د. احسان عباس الكويت ١٩٦٢ .

شرح شواهد المغني ؛ السيوطي ، تصحيح وتعليق الشنقيطي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

شرح هاشميات الكميت بن زيد الاسدي ت ١٢٦ هـ ؛ مطبعة التمدن الصناعية بمصر .

شعر زهير بن ابي سلمى (صنعة الاعلم الشنتمري) ، يوسف ابن سليمان ، ت ٤٧٦ هـ . تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٠ .

الضرائر ومايسوغ للشاعر دون الناثر ؛ الالوسي ، محمود شكري الالوسي ، ابو الثناء ، شهاب الدين ، ت ١٢٧٠ هـ ، مكتبة دار البيان ، بغداد .

الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ؛ السخاوي ، شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن ، ت ٩٠٢ هـ ، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .

طبقات المفسرين ؛ الداودي ، محمد بن علي ، ت ٩٤٥ هـ ، تحقيق علي محمد عمر ، القاهرة ١٩٧٢ .

طبقات النحويين واللغويين ؛ ابو بكر الزبيدي ، محمد بن الحسن ، ت ٣٧٩ هـ ، تحقيق ابي الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

العقد الفريد ؛ ابن عبد ربه ، احمد بن محمد ، ت ٣٢٨ هـ ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ؛ ابن رشيق : الحسن ابن رشيق القيرواني ، ت ٤٥٦ هـ ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٢ .

العين ؛ الخليل بن احمد الفراهيدي ، ت ١٧٠ هـ ، تحقيق د. مهدي المخزومي ، ود. ابراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية ١٩٨٢ ...

العيون الغامزة على خبايا الرامزة ؛ بدر الدين الدماميني ، محمد ابن ابي بكر ، ت ٨٢٧ ، او ٨٢٨ هـ تحقيق الحساني حسن عبد الله ، مطبعة المدني ، القاهرة.

القسطاس المستقيم ؛ الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر ، ت ٥٣٨ هـ ، تحقيق د. بهيجة الحسني ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ١٩٦٩ .

الكافي في العروض والقوافي ؛ الخطيب التبريزي ، تحقيق حميد حسن الخالصي ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٨٢ .

الكامل ؛ المبرد ، محمد بن يزيد ، ت ٢٨٦ هـ ، تحقيق ابي الفضل ابراهيم والسيد شحاته ، مكتبة نهضة مصر ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ .

الكتاب ؛ سيبويه ، ابو بشر عمرو بن عثمان ، ت ١٨٠ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٢ ، الهيئة المصرية ، القاهرة ١٩٧٧ .

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ؛ حاجي خليفة ، ت ١٠٦٧ هـ ، استانبول ١٩٤١ .

لسان العرب ؛ ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت ٧١١ هـ ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ .

المخصص ؛ ابن سيدة ، علي بن اسماعيل ، ت ٤٥٨ هـ ، بولاق ١٣١٨ هـ .

مراتب النحويين ؛ ابو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي ، ت ٣٥١هـ ؛ تحقيق ابي الفضل ابراهيم ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة .

المسيب بن علس حياته وشعره ؛ د. ابهم عباس ، مجلة المورد ، م ٢٠ ، ع ١ ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م بغداد .

معاهد التنصيص ؛ العباسي ، عبد الرحيم بن احمد ، ت ٩٦٣ هـ تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ هـ .

معجم الادباء ؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين ، ياقوت ابن عبد الله ، ت ٦٢٦ هـ ، مطبعة دار المأمون بمصر ١٩٣٦ .

معجم البلدان ؛ ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ .

معجم المؤلفين ؛ عمر رضا كحالة ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٥٧ .

المعيار في اوزان الاشعار ؛ ابن السراج الشنتريني ، محمد ابن عبد الملك ، ت نحو ٥٥٠ هـ ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ، دمشق ١٩٧١ .

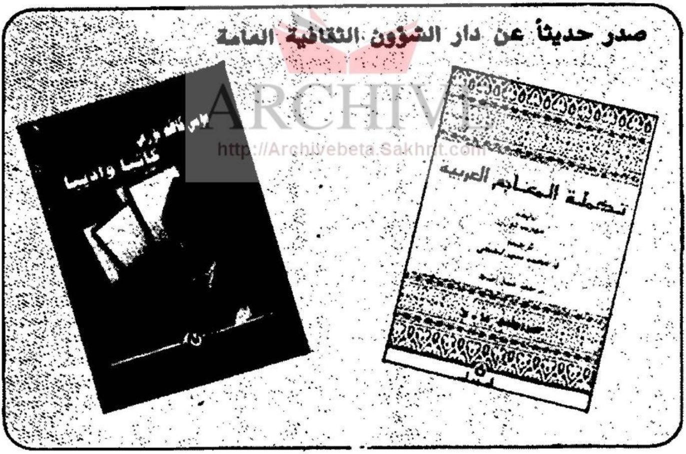
مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ؛ ابن هشام الانصاري ، جمال الدين ، ابو محمد عبد الله بن يوسف ، ت ٧٦١ هـ ، تحقيق مازن

المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٩ .
المفضليات ؛ المفضل الضبي ، ابو العباس ، محمد بن علي ، ت ١٦٨ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٥٢ .

المنهل الصافي في شرح الوافي ؛ بدر الدين الدماميني ، تحقيق فاخر جبر مطر ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ـ كلية الاداب ١٩٨٩ .

نزهة الالباب في طبقات الادباء : ابو البركات بن الانباري تحقيق د. ابراهيم السامرائي ، نشر مكتبة الاندلس ، بغداد ١٩٧٠.
النوادر في اللغة : ابو زيد الانصاري ، سعيد بن اوس ، ت ٢١٠ هـ ، تحقيق د. محمد عبد القادر احمد ، دار الشروق ، بيروت ١٩٨١ .
هدية العارفين : اسماعيل باشا البغدادي ، استانبول ١٩٥٥ .
الوافي في العروض والقوافي : الخطيب التبريزي ، تحقيق عمر يحيى ، ود . فخر الدين قباوة ، المطبعة العربية ، حلب ١٩٧٠ .

××××××××××××××



« الندوة العالمية للمخطوطات واجتماع رؤساء مراكزها في العالم الاسلامي »

اسامة ناصر النقشبندي
دار صدام للمخطوطات ـ بغداد

عقد في القاهرة في الفترة من ١٠ ـ ١٢ محرم الحرام عام ١٤١٧هـ الموافق ٢٨ ـ ٣٠ / ٦ / ١٩٩٦ الندوة العالمية للمخطوطات والاجتماع الثاني لرؤساء مراكزها في العالم الاسلامي والتي نهضت بها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيكو) والهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية في جمهورية مصر العربية وقد شارك في هذه الندوة عدد من رؤساء مراكز المخطوطات في العالم الاسلامي وعدد من الاساتذة الباحثين والمحققين وممثل منظمة اليونسكو وممثل معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية وقد قدمت في هذه الندوة مجموعة من الدراسات والتقارير كشفت عن اوضاع المخطوطات في الدول المشاركة وما تحتاجه بعض هذه المراكز من الخبرة والعون في ميدان الحفظ والصيانة والترميم والتصوير وتيسير الانتفاع بالمخطوطات وقد صاحبت القاء البحوث بعض المداخلات التي اغنت الندوة بالمعلومات المفيدة التي تخدم هدف الندوة . كما صدرت خلال عقد الندوة صحيفة خاصة لتغطية نشاطات الندوة والمشاركين وكانت الندوة الاولى لاجتماع رؤساء مراكز المخطوطات التي نضمتها المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم قد عقدت في الرباط عام ١٩٩٤ .

افتتحت الندوة في القاعة الكبرى بجامعة الدولة العربية تحدث فيها الاستاذ محمد غنيم وكيل وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية نوه فيها بالمجهودات الكبيرة التي تقوم بها المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم في سبيل تدعيم التعاون والتفاهم بين دول العالم الاسلامي ووضع اسس فنية للعمل الثقافي ثم تحدث الاستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي رئيس الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية بجمهورية مصر العربية والاستاذ الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة وقد ابرز في حديثه اهتمام المنظمة الاسلامية بالمخطوطات واستعراض برامجها التي تعنى بخدمة التراث وقال : ان اهتمام المنظمة بالمخطوطات ليس حنيناً الى الماضي او تعلقاً به دون وعي وفهم انما مصدره الحرص على معرفة ما انتجته الحضارة الاسلامية من ثمرات العلوم عبر العصور مبرزاً ان من شان هذه المعرفة ان تقوي فينا الشعور بالانتماء الى امتنا العظيمة وحضارتها الباذخة . وختمت جلسة الافتتاح بكلمة السفير الدكتور سعود عبد العزيز زبيدي نائباً عن الامين العام لجامعة الدول العربية فدعى للندوة بالتوفيق في اعمالها . بعد جلسة الافتتاح عقدت على مدى ثلاثة ايام اربع جلسات لقراءة ومناقشة الدراسات المقدمة الى الندوة . بدأت اعمال الجلسة الاولى برئاسة الدكتور عادل سليمان جمال تحدث فيها الاستاذ الدكتور احمد شوقي بنبين مدير الخزانة الحسنية في المملكة المغربية الذي تحدث عن مسيرة المخطوط العربي في المغرب واهم مراكز المخطوطات فيها وقدم عرضاً موجزاً عن الخزانة الحسنية الملكية والعناية التي تحضى بها المخطوطات فيها من حفظ وصيانة وترميم وفهرسة .

بعد ذلك تكلم الاستاذ احمد بن محمد يحيى رئيس قسم المخطوطات في المعهد الموريتاني في نواكشوط عن المخطوطات في موريتانيا واهم خزائن المخطوطات فيها ونوادرها وما تحتاجه من الخبرة والعناية اللازمة في حفظها وصيانتها وفهرستها .

ثم تحدث الدكتور احمد خان مدير مركز حماية المخطوطات في اسلام آباد بباكستان عن تاريخ استخدام اللغة العربية في باكستان واهمية ذلك في التواصل الحضاري وتدوين العلوم الاسلامية خصوصاً بعد الفتح الاسلامي حيث دونت المخطوطات بالعربية وجلبت الكثير من المخطوطات من مختلف بلدان العالم الاسلامي وخصوصاً من مكة المكرمة خلال الحج وذكر ان عدد المخطوطات في خزائن المخطوطات في باكستان تقدر بنحو (١٠٠) الف مخطوط معظمها لم يفهرس وتحتاج الى عناية في الحفظ والصيانة والترميم .

ثم تحدث الدكتور ايمن فؤاد سيد المستشار بدار الكتب والوثائق القومية المصرية عن مكتبات الاقاليم في مصر والمخطوطات المحفوظة فيها والظروف السيئة في حفظها وحمايتها وصيانتها كدرجات الحرارة والرطوبة وعدم اعداد فهارس للتعرف بمحتوياتها واقترح القيام بصيانتها وترميمها وتصويرها وفهرستها .

بعد ذلك تناول الدكتور احمد الشامي موضوع وثائق البردي المصرية في دار الكتب وجهود المستشرق جروهان في دراستها والتعريف بها واعداد فهارس بها واتمامه لهذه الفهارس بعد وفاته .

وتحدث السيد اسامة ناصر النقشبندي مدير دار صدام للمخطوطات عن الخلفية التاريخية للمخطوطات في العراق والجهود التي بذلت في صيانة المخطوط في التاريخ واهم خزائن

الكتب التي اشتهرت في مختلف العصور وما تعرضت له المخطوطات خلال الاحتلال الاجنبي السلجوقي والمغولي وعملية السرقة والاستلاب التي تعرضت لها المخطوطات عند مجيء طلائع الاستعمار في القرن السابع عشر الميلادي المتمثلة بالشركات الاجنبية والهيئات الدبلوماسية والمنقبين عن الاثار. كما تناول العناية بالمخطوطات في مطلع هذا القرن. كما استعرض التجربة العراقية الحديثة التي بدأت في مطلع السبعينات في رصد المخطوطات وجمعها وحمايتها وتسجيل المخطوطات في المكتبات الخاصة والعامة في الحيازة وقيام دار صدام للمخطوطات عام ١٩٨٨ التي اصبحت الدائرة المركزية للمخطوطات في العراق. واهم نشاطاتها في اصدار الفهارس الوصفية الموضوعية وطبع سلسلة من نوادر مخطوطاتها المحققة. واضافة قسم فني لصيانة وترميم وتجليد المخطوطات عام ١٩٩٤ والذي انجز لحد الان صيانة وتجليد نحو (٤٠٠٠) مخطوط واستحدثت شعبة فنية لصيانة وزخرفة اللوحات والرقع الفنية والخطية. واستخدام الحاسب الالي في برمجة المعلومات الخاصة بمخطوطات الدار ومخطوطات العراق. ثم دعا منظمة الاسيسكو ومنظمة اليونسكو الى الاسهام في دعم برامج صيانة المخطوطات وفهرستها وتصويرها وشمول مخطوطات دار صدام ومراكز المخطوطات الاخرى في العراق بمشروع (ذاكرة العالم) الذي تنهض به منظمة اليونسكو باستخدام الحاسوب المتطور (سي دي روم) الذي ينتج قرص قراءة بالليزر ومشاركة اليونسكو الفنية في تنفيذه.

وفي اليوم الثاني ٢٩ / ٦ عقدت الجلسة الثانية التي ترأسها الدكتور محمود فهمي حجازي تحدث فيها الاستاذ فيصل عبد السلام الحفيان عن معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية وجهوده في تصوير وفهرسة المخطوطات وضرورة التعاون بين مراكز المخطوطات والمعهد.

بعد ذلك تحدث الدكتور عبد العزيز عبيد عن قسم البرامج العامة والاعلام في منظمة اليونسكو عن مشروع (ذاكرة العالم) الذي تنهض به المنظمة وانتاج قرص قراءة الليزر الذي نفذ في سبعة دول بظلمنها تركيا واليمن هدفه انقاذ التراث المهدد بالضياع والاستفادة منه والتعريف به ونشره.

وتكلم الدكتور يوسف زيدان من جامعة الاسكندرية عن مخطوطات رفاعة الطهطاوي التي تضم مجموعة نفيسة من المخطوطات التي قام بفهرستها ثم تحدث عن خزائن المخطوطات في الاسكندرية وهي خزانة جامعة الاسكندرية ومكتبة البلدية ومكتبة المرسي.

وتحدث الاستاذ سعيد مغاوري عن انشاء قسم البرديات في دار الكتب المصرية واهمية البرديات المصرية في مراسلات بعض الخلفاء الراشدين وولاتهم في مصر وظروف تهريب البرديات من مصر الى اوربا.

أما الاستاذ محمد عادلوف نائب مدير معهد المخطوطات الاذربيجاني فقد استعرض تاريخ المخطوطات في اذربيجان وتشتتها عند التقسيم الذي ادى الى تلف الكثير من المخطوطات ودعا الى المساعدة في عملية صيانة المخطوطات وترميمها وحفظها وفهرستها.

وتحدث الاستاذ حسن دومان من تركيا عن المخطوطات في تركيا واهميتها والتي يبلغ عددها نحو (١٠٠) الف مخطوط ٨٠ ٪ منها باللغة العربية موزعة على مختلف العلوم والمعارف العربية الاسلامية وقال: برغم اهتمام الدولة بهذا التراث فانها تحتاج الى الخزن والحفظ الجيد والصيانة والترميم.

كما تحدثت الانسة هيا الدوسري عن المخطوطات في الكويت ودعت الى استكمال فهرستها وتصويرها.

وعقدت الجلسة الثالثة برئاسة الدكتور محمود محمد الطناحي تحدث فيها الدكتور جمعة شيخة مدير عام دار الكتب الوطنية بتونس عن مشاكل التحقيق في تونس ودعا الى المساعدة في طبع الكتب المحققة خصوصاً المخطوطات العلمية.

كما تكلم الاستاذ عبد الملك بن محمد امين عام دار المخطوطات المركزية في صنعاء عن خزائن المخطوطات في اليمن وما تحتويه من النفائس، واهم الانجازات التي تحققت في صيانة وترميم المخطوطات وفهرستها في دار المخطوطات المركزية.

وفي جلسة العمل الرابعة التي عقدت صباح يوم ٣٠ / ٦ / ١٩٩٦ وتحدثت السيدة مارليز شارك مديرة قسم الترميم في المكتبة الوطنية بفينا عن مجموعة كلازر التي اقتناها من اليمن في القرن التاسع عشر وتضم بعض المخطوطات النادرة والنفيسة والتي تحتاج الى ترميم وصيانة.

ثم تناول الدكتور احمد ظريف نائب مدير مركز المعلومات في القاهرة موضوع الثورة التكنولوجية والافاق الجديدة التي فتحتها امامنا لتطبيقات حفظ التراث العربي الاسلامي.

كان الدكتور علي القاسمي مدير الثقافة والاتصال بالمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة قد ترأس الجلسة التنظيمية للندوة تحدث فيها عن اهداف الندوة وضرورة التعاون والتكامل بين مراكز المخطوطات في العالم الاسلامي لخدمة التراث العربي الاسلامي.

ولابد من الاشارة بالدور الفاعل للاستاذ الدكتور عبد العزيز التويجري مدير عام المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة والاستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي رئيس الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية بجمهورية مصر العربية ومساعدتهم الذين اسهموا في تنظيم هذه الندوة ونجاحها وفقهم الله تعالى لكل خير.

وفي ختام الندوة تليت التوصيات التي توصلت اليها

الندوة وهي :

التوصيات

أ ـ الجانب القانوني :

١ ـ وضع تشريع لحماية المخطوطات خاص بالدول الاسلامية عامة استكمالاً لقانون حماية المخطوطات العربية والعمل على استعادة المخطوطات التي نقلت بصورة غير مشروعة الى الخارج .

٢ ـ صياغة قانون في كل بلد يقضي بتجميع ملك الدولة من المخطوطات في مركز واحد .

ب ـ تدريس علم المخطوطات :

٣ ـ انشاء شعبة لعلم المخطوطات باقسام المكتبات والوثائق بالجامعات العربية .

٤ ـ انشاء معهد متخصص لصيانة البرديات ودراستها وكذلك الرقم الطينية وتصوير ما هو موجود في المتاحف الاجنبية .

٥ ـ ادخال « مقرر » عن التراث العربي الاسلامي في الكليات بالجامعات العربية والاسلامية .

جـ ـ جمع المخطوطات :

٦ ـ ادراج المخطوطات غير العربية الموجودة في العالم العربي الاسلامي ضمن المخطوطات التي يجب الاهتمام بها . وخاصة المخطوطات المكتوبة بالحرف العربي وبلغات اجنبية كالاسبانية والجرمانية .

٧ ـ جمع المخطوطات النادرة المكتوبة بخط مؤلفيها .

٨ ـ جمع المخطوطات النادرة المتقدمة بالمنظومات العلمية .

٩ ـ جمع المخطوطات المكتوبة على الرق .

د ـ صيانة المخطوطات :

١٠ ـ صيانة وحفظ المخطوطات الموجودة في اماكن تتسبب في اتلافها . او في خطر كالمخطوطات الموجودة في اذربيجان وفلسطين والبوسنة والهرسك .

١١ ـ عقد ندوة موسعة لدراسة شؤون الفهرسة واشكالياتها وتوحيد اساليبها .

١٢ ـ عقد مزيد من الدورات التدريبية لصيانة الوثائق والمخطوطات وترميمها .

١٣ ـ تصوير مجموعات البرديات في العالم والاستفادة من التقنيات الحديثة والمتطورة في وسائل حفظ وصيانة وقراءة وتحليل نصوص هذه البرديات .

١٤ ـ ايجاد حلول لتعري بعض المخطوطات وبالتالي تلفها من الجانب الفيزيائي والكيميائي وتبادل الخبرات في هذا الميدان بين الدول العربية والاستعانة بخبرات بعض المنظمات الدول العالمية .

١٥ ـ الإسراع بتقديم « برنامج مضبوط » لليونسكو في نطاق مشروع ذاكرة العالم .

١٦ ـ تصوير المخطوطات على الميكروفيلم والميكروفيش حسب التطورات التكنولوجية الحديثة وادخالها في الحاسب الالي ثم في الاقراص الضوئية CO – Rom .

١٧ ـ تسليم الباحثين صور المخطوطات لا المخطوطات الاصلية حفظاً لهذه الاصول وهذا يتطلب تمكين بعض المراكز من الات التصوير .

هـ ـ فهرسة المخطوطات :

١٨ ـ الاستفادة من القواعد الدولية في الموضوعات التقنية مثل مجموعة المصطلحات والفهرسة والتصنيف وتوحيد المقاييس مع هذه القواعد .

١٩ ـ عقد ندوة موسعة لدراسة شؤون الفهرسة واشكالياتها وتوحيد اساليبها .

٢٠ ـ اقامة دوائر مركزية للمخطوطات في كل دولة تاخذ على عاتقها جمع المخطوطات لا سيما في المكتبات الخاصة وتسجيلها وفهرستها .

٢١ ـ انشاء مؤسسة عربية مشتركة للتنسيق بين مختلف هذه المراكز لتسهيل الاسراع بالتسجيل والفهرسة .

٢٢ ـ اصدار الفهرس الشامل للمخطوطات العربية في العالم العربي في مرحلة اولى ثم فهرس شامل للمخطوطات في العالم الاسلامي في مرحلة ثانية .

و ـ المخطوطات والبحث العلمي :

٢٣ ـ عدم الوقوف في مرحلة جمع المخطوطات وصيانتها بل لابد من تجاوزها للاعتناء بالمخطوطات تحقيقاً ودراسة ونشراً حتى نستفيد من هذا التراث .

٢٤ ـ تبادل فهارس المخطوطات بين المراكز والمكتبات حتى يتسنى للباحثين الاطلاع عليها .

٢٥ ـ تشجيع المحققين للتراث تحقيقاً علمياً منهجياً باسناد جوائز محلية او عربية او اسلامية .

٢٦ ـ الاعتناء بالمفهرسين نظرياً وتطبيقياً خاصة .

٢٧ ـ اصدار نشرة دورية ثابتة بها قائمة المخطوطات المحققة حتى لايعاد تحقيقها لما في ذلك من مضيعة للوقت والجهد .

ز ـ المخطوطات والتكنولوجيا المتطورة :

٢٨ ـ قيام مراكز المخطوطات في العالم بتنفيذ مشروعات لاستخدام تكنولوجيا المعلومات في حفظ المخطوطات واتاحة هذه المعلومات للمستخدمين من خلال المنتجات الالكترونية وشبكات المعلومات العالمية .

٢٩ ـ تعاون مراكز المخطوطات في تكامل قواعد بيانات المخطوطات من خلال الاتفاق على صيغة موحدة للبيانات والصور التي يتم تسجيلها وصولاً الى انشاء المكتبة التخيلية الشاملة للمخطوطات .

• • •